AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00975 7984

04-B5495

DG
209
T5
1886

تاريخ

الرومانيين

من بناء رومية الى تلاشي الحكومة
الجمهورية

تاليف
نجيب ابرهيم طراد

طبع بنفقة جرجي حنا غرزوزي
مدير المطبعة اللبنانية

حق اعادة طبعه محفوظ لمؤلفه

طبع في بيروت بالمطبعة اللبنانية سنة ١٨٨٦

1٧
937
T176h
٩٢٧
ط ن . ش

المقدمة

5024

ان التاريخ هو شاهد الازمنة ونور الحقيقة وحيوة الذاكرة ومدرسة الحيوة ورسول القدم كما قال ذلك اشهر خطباء الرومانيين فاي شيء اذًا اعظم من التاريخ واي انسان لا يحتاج اليهِ اذا اراد ان يكون على بصيرة في احوال حياتهِ الدنيا نعم هو مشكاة هدى تنير عقولنا فتقيها من العثار في حنادس الجهل ناشرة لنا فعال الاولى طوتهم الارض فاصبحوا بعد العز والفخار هباءً منثورًا لتكون اعمالهم للناس ما حيوا تبصرة وذكرى تحذرهم من ارتكاب المنكرات وتنذرهم بسوء العاقبة وشر العقاب وتحرضهم على فعل الخير لرفع شان الانسانية وتوفير اسباب التمدن العائد على المجتمع البشري بالراحة والسلام

ولما كان لكل شيء آفة كانت آفة التاريخ الاختلاق ولقد نطق بعضهم عن الهوى فسقط وما كتبهُ في زاوية الذل والنسيان فيجب على المورخ ان يكون عليمًا خبيرًا قد عرك الدهر وعرف طباع الانام ومكرهم حتى اذا ما اراد تدوين حادث محصهُ بفكر ثاقب ونشرهُ صحيحًا يعتمد عليهِ المعاصرون والخلف

ولا يخفى ما لتاريخ الرومانيين من الفائدة والشهرة في العالم فان الاوربيين يدرسونهُ في مدارسهم كعلم لا بد منهُ لذلك قد عنيت بجمعهِ

من عدة كتب انكليزية وفرنسوية وجعلته تحفة لبني الوطن
اما لغتنا العربية فمحتاجة كل الاحتياج الى كتب كثيرة فليت
ابناءَها الكرام يقتدون بالغربيين ويقبلون على
تنشيط طلبة العلم واهلهِ فيرفعوا منارهُ ويخطوا
لهم على جبهة الدهر ذكرًا لا يمحى وليتهم
يقرأون التواريخ بالغدو والآصال
فيدروا اسباب نجاح الامم وكيف
افلح اليونانيون وغيرهم في الازمنة
القديمة والحديثة ليجنوا مطايا
الجهد والاقدام ويحاكوا
اعظم امم الارض
تمدنًا وفلاحًا

فاتحة الكتاب

في اصل الرومانيين وبناء رومية

لم يستول اليونانيون على ترواده الا بعد حروب طويلة سالت فيها على الارض فخضبتها دماء الابطال ومهج الرجال ولقد اظهر الفريقان في جميع المعامع التي حدثت من البسالة والباس ما يشهد لجبابرة تلك الاعصر بثبات الجنان والخبرة بالضرب والطعن عند احتدام نار الوغى على ان ما رونه عنهم الشعراء . وما اثبتته في هذا الشان كتب المتقدمين مملوء بالخرافات والمبالغات الشعرية التي لا يعول عليها المؤرخون ولا يعتد بها المحققون عند قص اخبارهم القديمة العهد . ولما كان القصد من ذكر خراب ترواده معرفة تاريخ اسلاف الرومانيين الاولين او بالحري بيان نسب مؤسس رومية حسب راي الاكثرين لان ذلك كما لا يخفى بمثابة توطئة لتاريخ هذه الامة نقول بالاختصار ان أنياس وهو امير ترواديّ حينما كلّ من العراك واصبح غير قادر على رد الاعداء الذين دخلوا المدينة عنوة او بخيانة اولاد انتينور لجأ مع عائلته وقسم من التروادين الى معاقل جبل ايدا وتحصن فيها آمناً لظنه ان اليونانيين سيتركونهم ويرحلون غير ان المحاصرين هدموا المدينة وجمعوا الاسلاب وقصدوا أنياس ليوقعوا به وبمن تبعه فجزع جداً وارسل يسالهم السلام فاجابوا طلبه بشرط ان يغادر على الاثر وطنه وتلك الربوع فسافر بحراً الى شبه جزيرة بلّيني في مكدونيا وبنى فيها مدينة دعاها أنيا اسكن بها قسماً من جمهور التروادين الذين تبعوهُ ورحل بعد ذلك الى سيسيليا (صقلية) فترك قسماً اخر من رجاله بدريانم وهي مدينة

استعمر فيها قبيل وصولهم أليمس واجسنس فئة تروادية وظلت سفنة تمخر البحر حتى وصلت الى لاتيوم وهي ارض واقعة الى الجانب الشرقي من نهر التيبر وسكانها هم الأُبورِجِينَ (الوطنيون) المعروفون باللاتينيين نسبةً الى ملكهم لاتينس الذي كان مالكاً عليهم في ذلك الحين فعسكر التروأديون عند مصب النهر ودعوا معسكرهم هذا ترواده تذكاراً لوطنهم العزيز آملين نيل الراحة والسلام بعد تلك المحن والاخطار

وبلغ الملك لاتينس ان اقواماً غرباء قد احتلوا بلاده قصد الاقامة فيها وكانت الحرب وقتئذٍ ثائرة بينه وبين الرُتليين فقلق جداً واشفق على ملكهِ من حدثان الدهر وفي الحال نهض بعساكرهِ لمحاربتهم ولما دنا منهم نظر جيشاً مرتباً ومتاهباً للقتال فاخذته الرعدة وخاف الفشل فرام المحاورة قبل النزال فتقدم اليهِ اينياس وحدثهُ بحديث حروبهم مع اليونانيين وكيف انهم خاطروا بالنفس والنفيس دفاعاً عن ترواده مدينتهم المحبوبة الى ان قال

ايها الملك

قد اتينا هذه البلاد نطلب مكاناً نلجئ اليهِ ونسكن فيهِ بامان فما نحن ممن يرغب في ضررك انما الضرورة قد احوجتنا ان ناخذ جبراً ما هو لازم لنا فغضَّ الطرف عما حدث واعلم اننا نودُّ ان نعيضك مما اخذناهُ اضطراراً ونجتهد في صون ارضك من الاعداءِ وشنّ الغارة على من يناوِئك ولا تظننا نخشى قتالك ان أبيت محالفتنا اذ حربك ليست اول واعظم حرب خضنا عجاجها غير مبالين

فعجب لاتينس من شهامة وجسارة التروأديين وعرف انهم يكونون لهُ في الشدائد حصناً منيعاً لذلك رضي بما طلبوهُ فانتصروا لهُ من اعدائهِ واذلوا من ناواه

وتزوَّج أينياس لافينيا ابنة لاتينس واحبها جداً حتى انهُ دعا معسكرهُ

لافينيوم بدلاً من تروادة اسمه الاول وتزوج التروادبون بنات لاتينيات فاصبح الفريقان شعباً واحداً

وكان ترنس ابن اخ الملكة يرغب في زواج لافينيا املاً ان يتسلط على اللاتينين بعد موت الملك لاتينس على انهُ لما راى خيبتهُ ونجاح انياس حنق جداً واراد الانتقام فحضَّ الرتليين على قتال اللاتينين فثارت بين الفريقين حرب شديدة مات فيها لاتينس وترنس فاستتب الامر لانياس وملك بلا معارض على بلاد اللاتيوم وبعد ثلاثة اعوام مات هو ايضاً في حرب حدثت بينهُ وبين الرُتليين والاتروريين فحسبهُ قومهُ في عداد الالهة واقاموا ملكاً عليهم ابنهُ اسكانيوس من كريوزا ابنة بريام ملك تروادة فاخذ اسكانيوس بثار ابيهِ وبدد شمل الاعداء. ووطد شوكتهُ بما ابدى من الحمية والباس في ساحة القتال

واستبدَّ اسكانيوس بالملك بعد هذا الانتصار واظهر من العظمة والجبروت ما دعا لافينيا الى الحسد والخوف على نفسها وعلى ولدها الذي كانت وقتئذٍ حبلى بهِ فعمدت الى الهرب سرًّا فرارًا من دسائسهِ ومكرهِ واختفت في غابة عند رئيس رعاة ابيها لاتينس وولدت هناك ابنًا دعتهُ سلفيوس ولما شاع خبر هرب الملكة اخذ الشعب يؤوّل الامر بما يعود على اسكانيوس بالشين والشنار ويحط رفعة شانهِ فوجب عليهِ اذ ذاك ارضاء للجميع ان يبحث عن لافينيا ويرجعها الى المدينة مع ابنها الذي لم ينظر اليهِ قط نظرة الاخاء. ولم يعاملهُ معاملة شفيق في سائر الاحوال وبنى اسكانيوس اخيرًا مدينــة جديدة دعاها ألبا لونغا وترك لافينيوم لسلفيوس وما ذلك الا لكون هذه المدينة ملكاً شرعياً للافينيا قد وهبها اياها اياس اذ سماها باسمها

اما بناء البا لونغا فكان في السنة الثلثين بعد بناء لافينيوم وملك اسكانيوس اثنتي عشرة سنة على البا ومات مخلفًا ابنهُ ايلوس الا ان اللاتينين

ا وا الانقياد لى ايلوس وكرهوا انقسام المملكة الى شطرين فملكوا سنعبوس على جميع البلاد زاعمين انه احق بالملك من غيره لانه حفيد لاتينس وارصوا ايلوس بحعلو رئيساً على كهنتهم ومدبراً للمعابد والدين

وتمتع الشعب بالراحة والسلام نحو اربعمئة سنة فلم يحدث حينئذٍ حادث مهم يحملنا على بسط الكلام في تاريخ هذه المدة لذلك نجتزئ بذكر اسماء الملوك الذين ملكوا بعد اسكانيوس ومدة ملك كل منهم

ملك	سنعبوس	٢٩	سنة	وخلفه	ابنه	ابياس سلعبوس
.	ابياس سلعوس	٣١	.	.	.	لاتيس سلعبوس
.	لاتينس سلعبوس	٥١	.	.	.	ألبا
	البا	٣٩		.		كابتس
.	كابتس	٣٦	.	.	.	كابس
	كابس	٢٨	.	.	.	كالبتس
	كالبتس	١٣	.	.	.	تيبرينيس
.	تيبرينيس	٨	.	.	.	اغريبا
.	اغريبا	٤١			.	ألاديوس
	. الادبوس	١٩				قسبس
	اسبيس	٢٧				بروكاس
	بروكاس	٢٢				

وكان لبروكاس ابنان اسم احدهما نومتور واسم الآخر اميليوس فلما مات اوصى بالملك لنوميتور لانه البكر

ويظهر ان اميليوس كان اشجع واقدر من نومتور واكثر منه مكراً واسمى فطنة وتدبيراً فلم يحفظ حقوق اخيه الشرعية ولم يبال بوصية ابيه بل جعلهُ عن سرير مملكته واستبد بعده بالملك ظلماً وحكم عنوانا بعد معرلاً عن السياسة والناس ولكي يوحد سلطة ويامن كل منازع له عمد

لى ابادة نسل حيوة فقتل اجنتس ابنه الوحيد ومنع ابنته ريا سلفيا من
الزواج بان جعلها تنذر العفة وتنخرط في سلك العذارى الفستيات في هيكل
فستا لخدمة هذه الالهة وعبادتها غير ان حذره هذا لم يجده نفعاً لان ريا سلفيا
لم تحافظ على العفة بل حبلت وولدت توأمين وحينما شاع خبر حبلها اذاعت
ان المريخ اله الحرب قد فض بكارتها لتنجو من القصاص الشديد المعدّ
لاولئك العذارى خادمات فستا عندما يرتكبن فاحشة ولما علم اموليوس
بما حدث غضب جداً وامر بقتل بنت اخيه وقيل بدفنها بل امر بسجنها سجناً
مؤبداً اما ابناها التوأمان فوضعا في سفط والقيا الى نهر التيبر وحمل
السفط عائماً الى ان صدمته صخرة بالقرب من ضفة النهر فصدمته وسقط الطفلان
على الارض وزعم الرومانيون ان ذئبة سمعت بكاءهما فقدمت اليهما وبامر
الآلهة ارضعتهما لتنقذهما ثم ان فوستيلس رئيس رعاة الملك
سمع بامرهما فقدمهما لزوجته لارنتيا فربتهما واعتنت بهما عناية
الاعتناء وقد سمى فوستيلس روملس وريمس وارسلهما الى مدينة غابي ليتعلما
اللاتينية ليتعلما علوم وآداب اليونانيين لانه على ما نص كان عالماً بامرهما
فاراد ان يربيهما تربية حسنة ويهذبهما تهذيباً يليق بهما فبرعا في كل ما تعلماه
وكانا مهيبين تلوح عليهما سمات العظمة والبأس فاحبهما جميع سكان المدينة
واعتدوا لهما حتى غضبوا وحدثت مشاجرة بين رعاة اموليوس ورعاة نوميتور
فانتصر الاخوان لرعاة نوميتور وانتقموا من رعاة اموليوس اولاً والكل
نصر هؤلاء على الذل وفي قلوبهم من روملس وريمس حزازات لا
تشفيها سوى الانتقام منهم فباتوا يترقبون الفرصة ويبحثون عن الوسائل التي
تبلغهم مآربهم

وفي احد الاعياد بيناه تلك الاحوال كذا خرج اخوان لبعض امور دينية
احاط بهم لصوص ريمس من كل جهة وقدموه اسيراً الى نوميتور الذي كان
يشق كثيراً عليه في التربية وشكوه اليه فظن ان هذا الرجل صار متعدّ

لا يرعى عبدا حرمة ولا يحفظ له ذمامًا فعاملهم الامير حسبما يأمر العدل
والانصاف وبذا احبوه وشكروه ثم [illegible] بعد ما استاذن في
ذلك اخاه مبليوس الا انه ارتجا تنبيد الحكم [illegible] فاعلى راعِ اظهر من
الشجاعة [illegible] معهود وابدى من الصفات الحميدة
ما ينزهه عن دناءة [illegible] وطنه وابيه فاجابه رمس
لا علم لي بذلك [illegible] رومس [illegible]
وانه قد وجد [illegible] مصر [illegible] بينما [illegible] عبثا
وما سمع [illegible] في عمره وهو في
عشرين سنة يوافق [illegible] وبما [illegible] في نهر النيل
فحول [illegible] على [illegible] بالوداد
العصم [illegible] مولدها واطلعه على [illegible] وارجعه الى البرية ليدبر
مع رومس على [illegible] ذلك ان رومس لما رأى
[illegible] على الفور [illegible] من عدوه واراد
من هو [illegible] واجرة [illegible] ولادته وحاله
[illegible] وكان عمه
[illegible] عمه رمس [illegible]
[illegible] من الرجال وقبلا
[illegible] وارجعا جده
[illegible] ومحمر
رومس [illegible] على [illegible] صرختهم
الامواج [illegible] واذت [illegible]
[illegible]
[illegible] رومس ورمس [illegible]
[illegible] واحد [illegible]

[illegible] وحسن [illegible] وما [illegible] على [illegible] المدينة ووقع بينهما الشقاق
واحتد [illegible] في الامر الى [illegible]
[illegible] الذي [illegible]
[illegible] الآلهة قد حكمت به [illegible]
في اليوم [illegible] الذي [illegible] المدينة فيه واقام شهوداً
[illegible] ما روملس [illegible] ولكي [illegible] ارسل رسلاً
[illegible] حقيقة [illegible]
عقبان فركض الى اخيه ليتحقق صدقه ولما وصل الى هناك ابصر روملس
[illegible] واشار اليه بيده قائلاً انظر يا اخي
[illegible] اعدائه فكان
[illegible] واحد من [illegible]
[illegible] كل الامر [illegible]
[illegible]
[illegible] الموت

[illegible] في هذه المعركة [illegible] البعض
الآخر [illegible]
[illegible] روملس [illegible]

وقيل [illegible] على جبل بالاتين [illegible]
[illegible] في تلك النيران
[illegible] واحدة حول [illegible]
[illegible] من بلادهم [illegible] ودعوة
[illegible] حول المدينة [illegible]
[illegible] واحد [illegible]
[illegible]

وقد اختلف المؤرخون في تاريخ بناء رومية فقال فريق انها شيدت في السنة الثالثة من الالومبياد السادس اي سنة ٤٣١ بعد حرب تروادة و سنة ٧٥٢ ق م ويقول الرومانيون ان ذلك كان في ٢١ نيسان حاجر عبد باليس إلهة الرعاة لذلك كانوا يعيدون العيدين في يوم واحد

الباب الاول

في ملوك رومية وحكومتها
من سنة ٧٥٢ الى سنة ٥١٠ ق م
او من سنة ١ الى سنة ٢٤٤ ب ر

الفصل الاول

في ملك رومليس
من سنة ٧٥٢ الى سنة ٧١٦ ق م
او من سنة ١ الى سنة ٣٧ ب ر

لما اتم رومليس بناء المدينة جمع الشعب وخاطبهم بما معناه

لو كانت قوى الامم تنحصر في علو اسوارها وعمق خنادقها لوجب علينا ان نخاف شديد الخوف على مدينتنا الآن اذ لا يعسر على المقاتل الجبار ان يتسور الاسوار ويهدمها من تحت وما دام نبع الحصون لدى الفتن والحروب الاهلية مع انها تحمي الشعب من عدو غريب يدهمه بغتة

لكنهم لا تستطيع ردّه وقهره فسكن تمكنكم على الشجاعة والسياسة والتدبير
[illegible] وانتصروا وارموا الاعداء وعندي يقين صادق ان بسري بينكم وتصيروا
من بعض الاشياء لانكم مدن جنسية قد تتعلق في بدي عدتها حين
عتب وانتسبتم وتصرفوا همكم ذا ستقيم بجود ومرعاة تتقانون ذمتي كل
[illegible] وتعلمون ان تحتج الامم موقف بعد على من حر مهم جدًّا وهو قيمة
حكومة [illegible] وتعلمون ما ترومونه حتى [illegible] تستطيع بكل ما ترومون حر [illegible]
وعند سميكم مدينة تسمى [illegible] غضبانا حرمة في الابد

وحين فرغ رومولس من كلامه وتعجب الشعب في شجاعته وشهد به رئيسة
ملكا على رومية واتفق به تدبير الامور

وحين رومولس عدد [illegible] نومة فبلغ عددهم ثلثة آلاف رجل وستمائة
فارس فقسمهم الى ثلثة اقسام متساوية واقام على كل قسم رئيسا وقسم ايضا
كل قسم الى عشر فرق واقام لكل فرقة رئيسا وقسم ارض رومية الى ثلثة
اقسام غير متساوية وخصص قسما منها لخدمة الدين وجعل قسما خراجا للحكومة
[illegible] وهو القسم الاكبر لعامة الشعب

وقسم الشعب الى اشراف وعوام وخصص [illegible] وبين كل [illegible] العامة
[illegible] لكل واحد من العوام ان يختار [illegible] من [illegible] الاشراف
ووضع [illegible] هذا الامر ما انه يجب على الولي ان يحضر عمل [illegible] وان
[illegible] في [illegible] وان يدافع عن [illegible] وعلى [illegible] اذا
كان الشريف فقيرًا [illegible] بيوم [illegible] بزوجه وان [illegible] وبعدية
و[illegible] [illegible] في الحرب ولا يسوغ لاحد منهم ان يشكو الآخر
ولا ان يشهد عليه ولا [illegible] في امر ولا [illegible] بعد [illegible] ويكون [illegible]
وشكر رومولس [illegible] مؤلد من [illegible] على السياسة [illegible]
وبه [illegible] امور الشعب وجعل [illegible] حسب [illegible] ووضع في شرائعه النساء
عن شرب الخمر على الاطلاق ومنع الرجل عن الزوج باكثر من امرأة واحدة

وجعل المرأة ترث زوجها اذا مات ولم يكن لها اولاد واذا ماتت عن اولاد فلهما من الميراث كواحد منهم وفرض على البنين الخضوع التام لآبائهم واعطى الآباء حق ان يتصرفوا فيهم كيف يشاؤن وان يبيعوهم عبيدًا اذا ارادوا ومنع الوطنيين من مباشرة الاشغال التي لا يلزمها حركة عضلية وخص هذه الاعمال بالغرباء والعبيد وفرض على الرومانيين جميعًا ان الخدمة في الوطن وخدمته وحرث الارض وجعل مدينته ملجأ للمذنبين وحتى لمن اقترف الذنوب كافة فتقاطرت اليه اللصوص والقتلة من كل فج واتخذها من سنن الحياة في وطنه ولم يكن لاكثر الرومانيين نساء . فسأل ملك الصابيين والامم المجاورة ان يرخصوا لرجاله ان يتزوجوا بناتهم فرفض الصابيون طلبه وردوا رسله خائبين فلو جعل رومولس مدينته ملجأ للعواهر والجواري لجمعهم حتى يتزوجوا ولكنه ركب ذل السؤال وحصل على ما يروم ولم يسع رومولس بعد هذا الجواب وعدم صدوده عليهم واراد الانتقام منهم على خطف بناتهم وتزويج رجاله بهن غصبًا وحدث بعد ذلك انه بين كان قوم يحفرون بالقرب من رومية وجدوا مذبحًا تحت الارض للاله كونسس اله المشورة فعزم رومولس على الاحتفال بعيد هذا الاله واجرى العابًا عمومية واعلن ذلك للصابيين فهرعوا الى رومية رجالًا ونساء فبالغ الرومانيون في اكرامهم وعمل كل ما يرضيهم مدة ايام العيد الا انه في اليوم الاخير من الالعاب كانت حاربة وابصار المتفرجين شاخصة اليها هجم الرومانيون على البنات الصابيات وخطفوهن قوةً واقتدارًا ولم يستطع الصابيون مدافعة عن بناتهم لانهم كانوا عزلًا لذلك ولوا منهزمين

وفي الغد جمع رومولس البنات الصابيات وكلمهن قائلًا

لم يخطفكن الرومانيون امس شرًا وجورًا بل لتكن لهم حلائل طاهرات وان هذه الطريقة مألوفة في بلاد اليونان وهي تعود بالفخر على النساء اكثر من غيرها فخففن عنكن الاحزان ولو فرض ذلك ذنبًا

فاذهب وارجع بلا ريب الى آبائكن الذين رفضوا طلبنا باحتقار وما
عليكن الآن سوى محبة رجال يعدون ازواجهن بكل سعادة عظيمة ومعموم
ان عطف والالفة قد تخص قد يكون سبب ضد فيه ووداده فستشاهدن
من نعومتكن حتى ينسيكن آباءكن والاوطان

وارسل الصابيون رسلاً الى رومولس يسألونه رد بناتهم لانهم لم يريدوا
خوض عجاج حرب قبل استعمال الوسائل السلمية فابى رومولس اجابة ما
سألوه به وطلب اليهم ان يعقدوا رباط الدم بهذه الزواج وبينما المخابرات
كانت جارية في هذه الاثناء نهض كروين ملك سابينا واغار على
الرومانيين وكان كروين فارساً مغواراً وقرماً شجاعاً وسبب حربه انه لما
رأى تقدم الرومانيين وما ظهر من الجسارة في خطف بنات الصابيين
خاف على مملكته منهم واراد ان يذلهم قبل ان تقوى شوكتهم فخرج اليه رومولس
بجنوده ونشب القتال بين الفريقين ودام برهة فاتفق ان التقى الملكان وطلب البراز
دون تفرق الجيشان فتطارد الملكان وقدر رومولس على ان يوقع به اذ غلب
حصة بتقدم السلالة عيبة جوبتير فسقط حينئذ لانكبو على الاله وطعن
كروين طعنة فخرت بجوده ولما رأى الصابيون رئيسهم قتيلاً ولوا منهزمين
فتبعهم الرومانيين ودخلوا مدينتهم ظافرين واعتقد رومولس الامن
غير انه هدم سابينا ونقل سكانها الى رومية وبعدهم حنوق كانوطيين وورق
بدره جوبتير بان بنى له هيكلاً صغيراً وضع فيه سلاب كروين واجتمع
بعد ذلك الانتمنيين وغيرهم في رومية وارسل قسماً من شعبه يسكن بلدهم
واشتهر رومولس في شجاعته والحلم فتسابق الاتروريون في الخضوع له
جبراً

واضاف رومولس الى المدينة راية ساتربوس المدعوة بالكابيتوليس
وبنى على قمتها قلعة حصينة واحاطها بالاسوار والابراج المنيعة وكل هذه
الحصون كانت عالية تشرف على المدينة وعلى الارض المجاورة لها الصابيون

فلم ترهبهم قوى رومولس المتكاثرة ولم ترعهم جنوده ولا حصونه بل زحفوا الى رومية بجيش عرمرم حتى ربضوا بمقربة منها تحت قيادة طاطيوس مبين الاخذ بالثار واراد الاول الوقوف في وجههم فجمع ملك رومية العسكر ورتب الجنود في مقدمتهم جنده من الروميين والاتروريين وصف جيوشه هذه على رابيتي سكيلنوس وكويرينالس واقام بسهل الصابيين ليوقع بهم وعسكر الصابيون عند سفح رابية سارتوس ولم يجسروا على مقاتلة الرومانيين لان مركز هؤلاء كانت جيدة فباتوا يطوفون حول تلك الرابية لعلهم يجدون بابا مفتوحة وكانت طاربايا ابنة حاكم الحصون قد نظرت الى الصابيين ورات في سواعدهم واصابعهم سوارة وخواتم فادهشها ذلك المنظر ورغبت في الحصول على تلك الحلى فارسلت احدى جواريها تسال قواد الصابيين مقابلتها في مكان عينته له ولما دهم الليل قبل طاطيوس الى مكان الموعود والتقى معها فاتفقا على ان يعطيها ما ترغب فيه بشرط ان تفتح لجنوده احد ابواب الحصون [illegible] بعد ذلك [illegible] يحملون [illegible] الى شرك توقع فيه الاعداء. فسالت رومولس ارسال فرقة من الجند [illegible] طاطيوس [illegible] من الدخول الى القلعة من باب مفتوحة [illegible] رومولس ما طلبته [illegible] تلك الصابيين بما [illegible] في الوقت المعين بعدد عديد من العسكر والفرسان واستولى على قلعة وحصون رابية سارتوس اما طاربايا فقد قتلها الجنود لانهم رموا بمجانهم عليها بدل ما وعدوها كما زعموا لذلك دعا الشعب تلك الرابية [illegible] وقد عرفت بهذا الاسم الى ان سموها كابيتوليس كما ستعلم

واما الصابيون فباستيلائهم على حصون عوامل الحرب ومضت مدة [illegible] الحرب [illegible] موقعة [illegible]

موقعة انتيه فان الرومانيون بادئ بدء وكسروا جناحي عدوهم ولما رأى مانيوس كورنيوس القائد الثاني تقهقر قومه هجم على وسط جيش الروماني ليمكن جناحي جيشه من الاجتماع فكسره ولحق منهزمين الى ابواب رومة وحينما نظر رومس ذلك رجع وهجم على كورنيوس وشدد هجومه وصدمته واشغله بالقتال حتى سهل لاصحابه الاتصال والرجوع الى معسكرهم ودامت رحى الحرب دائرة حتى سار القائد وجرح كورنيوس جرحا فوق فوهن وضعف وإذ هو محاط بالاعداء من كل جانب فرمى نفسه في بحيرة بجانب ساحة معركة رومس وانصرف لقتال الفابيين ظانا انه يغرق فيها لكن كورنيوس تخلص من الموت بما حيل بسبب موته ودعي ذلك المكان بحيرة كورنيوس

وسابق رومليس اعداءه وهجم عليهم هجمة الاسد لكنهم لم يدعوا وولوا هاربين ولجأوا الى القلعه وسعى الرومانيون رجين استرجاعها حينئذ جعل الفابيون يدحرجون عليهم الاحجار من قمة الرابية فصاب رومس بحجر كاد يذهب بحياته فوقع مغشيا عليه ولما رأى قومه ما صابه جبنوا ورجعوا الى المدينة منهزمين امام الفابيين وحينئذ فاق جميع الجنود وخرج للقاء الاعداء وقيل ان نساء الفابيين خرجن ناشرات شعورهن وحاملات اولادهن واعترضن بين الفريقين باكيات يسألن بعولتهن وآباءهن ان يكفوا عن القتال

وقد روى ديونيسيوس ما حدث قال ان الفابيين لم يكن لهم طاقة لقتال بعد تلك المعمعة ... وبقي الفابيون يفكرون في امرهم حيارى مترددين في هل يرحلون بعدما يجربون رحى الرومانيين او يفسون ... وهكذا ... لا يدرون ماذا يفعلون لانهم يعلمون ... على تعويض خسارتهم ... الحصون ... الامنة ...

بالملك واعتنى وأذن لهن في ذلك بشرط ان يغادرن في المدينة اولادهن فلبسن المسوح ونثرن الاتربة واخذن وخرجن الى معسكر الصابيين ولما وصلن اليو رميس تسيهن على رجل ... واخذن في البكاء والعويل فحركن الشفقة في صدور الجميع وعقد الملك تاتيوس مجلساً من قواده وعظماء رجاله ... في هذا الامر فوقفت احدى النساء ... هرسليا وخطبت قائلة

... قد ... هذه الحرب ... ... لكم ... تكونوا شفقة عليه ورحمة ... ... التي الذين خطفونا ... الازواج وقد ... ... مدة طويلة فعدونا مرتبطات مع الاولى كما ... وعرى الود ... عنهم الان ان لم ... ... فقصوا ... لولاكم لم تأتوا لتأخذوا ... ... من رجالهن وحصلت امهات من اولادهن ... لا ... ... شد ... عيبا من ... الاول

وما كان ... قد ... ... اهاليهن رضوا بكف الحرب واجتمع ... ... عقد ... بموجب عهدة مآلها ان ... ... روسة ويكونون متساويين في السلطة وانه يسكن فيها ... ... ويكون ... ... حقوق و... ... رومية الا ... يدعون كورنس وهو اسم ... ... مائة عضو ... حقوق واما ... مؤسس رومية و... ... عشيرة ... فقد ... ... من ... فولكانس وقد دعي ذلك المكان لالتئامهم فيه كوميتيوم اي محل الاجتماع

... الرومانيون ... اسماء ... ... كيف ولا وهن

سوائي [illegible] من [illegible] حرب [illegible] بمكة بالعهدة [illegible]
على [illegible] ملك [illegible] ونعوا [illegible] روماني [illegible]
يكم كلاماً غير [illegible] في [illegible] وان [illegible] يعس في اعناق
اولادهن كرات ذهبية [illegible] الاولاد [illegible] لبست لا يمكن
غيرهم لبسة

وعاش [illegible] خمسة [illegible] وكان رومس ساكناً على
رابية بالاتيس وطاطيس على رابية طاربيس [illegible] الذين
هاجروا الى رومية على الرابية [illegible] دعوها [illegible] سالس [illegible]
كورس او نبركا باسم الههم كويرينس واتسعت الارض [illegible] بين [illegible]
[illegible] سوق [illegible] فورم وكانوا
[illegible]

و[illegible] على [illegible] رومية [illegible] منهم [illegible] وكسروهم ونقلوا
من مدينتهم [illegible] وارسلوا من رومية [illegible] تسكن
[illegible] وحدث [illegible] عن [illegible] الاوفيس
[illegible] وحدث [illegible]
[illegible] رفض ذلك وقال
[illegible] الغرباء وانه من الواجب
على [illegible] فعلوا خصومهم [illegible] وحدث [illegible]
[illegible] وطاطيس [illegible] اوطانهم عدا بهم اللصوص المشار
[illegible] جدد اللاوفيون شكواهم فبض
[illegible]
[illegible] ذلك [illegible]
وخلص رجاله من ايديهم

وكان ملكا رومية يذهبان [illegible] الافيوم [illegible] الغر [illegible] لبعض

آلهة لاوينيوم بزعمهم فانضم الى مملكتهم واذ كان يقدمان الذبائح في هذه السنة كما جرت العادة ثار بعض ورثة واصدقاء اللاوينيين المقتولين على طاطيوس وقتلوه عند المذبح فاحضر رومولس جثة رفيقه الى رومية ودفنها بكل اكرام على جبل افنتينس

واستتب حينئذٍ الامر لرومولس ومَلَك وحدهُ بلا معارض فنفى من المدينة قتلة الرسل اللاوينيين ودعا الى رومية قاتلي طاطيوس وبعد ما فحص دعواهم صرفهم بلا قصاص لانهم حسبوا ان قتلهم اياه كان انتقاماً عادلاً لا يوجب عليهم عقاباً

وجاهر الكمريون بالعصيان فحصرهم رومولس بعد قتال عنيف وسبى بعضهم الى رومية وارسل الى كمريوم عدداً منهم فصارت رومانية وجعل المدينة واحدة من مدنهم واسكن فيها قوماً من الرومانيين وتصدى له في هذه الفيدينيون فقتلهم واستعبد بعضهم واسر منهم جماعة كبيرة وبعد زمن ما لما رأوا امرهم ارسلوا رسلاً يسألونه السلام فاجابهم الى ما سألوه وعقد معهم صلحاً مائة سنة فسلموا اليه قطعة من مدينتهم الصغيرة واقعة على شاطئ نهر التبر

ومن العجب العجاب ان رومولس الذي كان صرف همهُ في توسيع نطاق مملكته ولم يدّخر جهدهُ في خضوع الامم المجاورة لمدينته ولم يستولِ على البا حين موت جده نوميتور وهو وارثه الشرعي بل وجد من تركها ممتعة بالحرية والاستقلال مكتفياً بان يكون له حق ان ينتخب كل سنة حاكماً يسوس شعبها ويدبر احكامها ويظهر ان رومولس بعد نصرته العديدة وفوزه العظيم احتقر ابّهة حسبه وتحكّم مستبداً بالملك وعين مجلساً بعضاً والآباء (هذا لقب اعضاء المجلس العالي) فشق ذلك من اعماله هذه ووغرت صدورهم عليه وعمدوا الى الانتقام منه باية وسيلة كانت

وفي اليوم السابع من شهر تموز في السنة السابعة والثلثين من تأسيس رومية والسنين وقبل الخمسة والخمسين من عمر رومولس عرض ملك

جيشه خارج المدينة في سهل هناك وحضرت الآباء هذا العرض وفيما الملك يخطب العسكر وبينما هو يخاطبهم هبت الريح وعصفت وهطلت الامطار فتفرقت الجنود من سوء ذلك الطقس. فحينئذ احاطوا به من كل جانب وقتلوه وأخفوا جثته وأشاعوا ان الآلهة قد رفعته الى السماء في مركبة نارية فسرت الجهال بهذا الخبر وصدقه المعتقدون فتوسموا فيه خديعة ومكراً. وكان يوليوس بروكيلوس احد الآباء رجلاً معتبراً مشهوداً له بالصدق ومعروفاً بالتدين برومولس فخيم بهذا سؤاله عسى ان يبرز خديعة فيعمل ولما كان الشعب مجتمعاً قص عليه ان رومولس قد ظهر له بغتة خارج المدينة فتصور به واذا هو لابس سلاحه يخطف الابصار بريقه ومنظره منظر الآلهة تخشع عند رؤيته وخاطبه بهذه الكلمات

ــ بعد هنا سنة ولأي ذنب قد تركت هدف سهام مرجفين الاول رموني بالعصيان وتخلصت منهم ومنذ غادرت مدينتك وحسب بن معبدك للنوح والاشجان فاجابه رومولس قد ارادت الآلهة يا بروكيلوس ان اعيش بين الناس لارفع شأن رومية الى اعلى درجات المجد والفخر وبما اني قد رجعت الى السماء من حيث نشأت فاذهب وحرض الرومانيين على محبة الشجاعة والممارسات الحربية لانهم بهذين الامرين سيملكون يوماً جميع الارض

ولما سمع الشعب هذا الكلام ابتهج جداً وقرر عبادة رومولس كإله ودعاه كويرينس وهكذا سرّ الشعب ان يضع في مصاف الآلهة من لم يرضه ملكاً على رومية

[illegible] ني

[illegible]

[illegible] سنة ٨ [illegible]

[illegible] لشعب واجمع على انتخاب [illegible] على [illegible] مدى [illegible] الآراء وكان [illegible] حتى [illegible] بروميه هدنة [illegible] وتعاونوا على رسم الاحكام [illegible] حكم على سوالي [illegible] الشبهة [illegible] حصلوا الرومانيين [illegible] يكون [illegible]

وكان في [illegible] سنة وما وسبيوس مشهورًا [illegible] وسوى ومحب [illegible] ولا بروم عبر الشط على [illegible] وكل [illegible] مرتبة [illegible] ملك [illegible] لا تحب [illegible] وتوثر الرحمة في [illegible] على [illegible] والاكرام في قصور [illegible] سنة في [illegible] عشر [illegible] ولما [illegible] عكاف [illegible] على [illegible] في [illegible] الآخرة فغادر مدينة وعاش

في المدينة منفرداً ياوي الكهوف ويتردد الى المنابع والعيون المقدسة

فهذا اتفق الرومانيون لينتخبوه عليهم وارسلوا اليه الاثنين بوليوس بروكيلوس الالبي وفاليريوس فولسس الصابيني ليحملاه بذلك على قبول ما عرضوه واجاب الرسولين قائلاً حيث ان لحوح في التعبير غير بعيد من الجنون اذا كان المرء موسراً وحاصلاً على كل ما هو ضروري له فان تنصب تغيير حالته الحاضرة او ان يرضى بذلك المعبر لانه يكون قد آثر امنيته على رخوه منفرزة ومن سكر ما دون. فتسلط على الرومانيين من ابعاد ويعذب ، ترى أكيف انهم ظنوا رومبس قد قتل طاطيس رفيقه وكيف انهم اتهموا غش بقتل اميلث مع انهم يحسبون روملس سليل الاله قد حصلت في طفوليته من الاخطار بطريقة عجيبة ما انا فانسان قد اشتهر بصفات لا تؤهله ان يسوس الناس ولا ان يدافع عن رومية ويصونها من اعدائها الكثيرين فهي تحتاج شدة الاحتياج الى امير مغوار شجاع واني سامعة ياتري باسمه الشعب من ملك يصرف همته في توطيد السلام والعدل وحث الناس على التقوى ولا ريب ان امرءاً كهذا يكون محتقراً من رعاياه الذين دابهم الطمع وشن الغارة على السوى

ورغب ابيه الرسولان الا يرفض طلب الرومانيين كي يتقدم من المراع الدائم والسفق والح عليه ابوه وصديقه مارسيوس في قبول ما قدم له قائلين هب انك راضٍ بحالتك الحاضرة ولا تود السلطة والاموال لست تحفل بامر الآلهة التي عينتك ملكاً ولعلك تظن انها قد اثارت فيك محبة العدل لتتبع في تربية بلا فائدة فسرير الملك هو المقام العالي للذي يتلألأ منه انوار الفضيلة صاعدة في جذب قلوب الناس اليها واخضاعهم لسلطتها ثم تنظر الى اكرام الرومانيين للملك طاطيس وحبهم لروملس الذي عبدوه بعد موته ولربما تفتر همة اترك تخمين حاجة كبريائها وتنزع منها محبة الحرب والغارات عاكفة على التقوى والعبادة فاقتنع هذ

الفيلسوف بما قيل له ورضي بما طلب اليه وبعد ما قدم القرابين للآلهة مشى في المدينة فسعدهُ في الطريق عظماء الشعب وهم يرحبون به ويهنئونه لانتخابه

ولما وصل الى رومية لم يرد بادئ بدء ان يسمع لناس الملك بل ذهب توًّا الى رابية طاربيس ليستشير الآلهة وجلس على حجر حيث متجهًا الى الجنوب ومغطيًا رأسهُ فرفع ووقف رئيس العرافة وراءهُ مادًّا يدهُ اليمنى فوق رأسهِ ومصليًا ثم نظر الى السماء متبصرًا فرأى بعض طيور تأكل بها الحاضرون وعدُّوها دليلًا على قبول الآلهة بهذا الانتخاب فنزل ملك حينئذٍ من الرابية وذهب الى الشعب لمعدنه واحد من ذلك الوقت في تهذيب الشعب وتوطيد السلام وزرع الالفة بين الجميع ووسع المدينة بان مدَّ اسوارها حول الرابية كورينالس

قال سبلوكوس ان نوما كان يعتقد باله واحد واجب الوجود غير متغير وغير محصور ولذلك منع الرومانيين من تمثيل الالهة بصورة رجل او بهيمة ومنعهم ايضًا من ذبح الذبائح وفرض عليهم فقط تقديم قرابين للآلهة من خبز وعسل وخمر ولبن

ورتب المعابد وعيَّن الكهنة وكثَّر الاحتفالات الدينية ليسرَّ الشعب ويشغلهُ عن الحروب والاضرع وبنى هيكلًا للاله جانس رب الفطنة والتدبير واله بدء كل عمل ونهايته وامر ان يغلق هذا الهيكل في ايام السلم ويفتح في زمن الحرب وحرم الآباء حق التصرف المطلق على اولادهم بعد الارشاد او بالحري بعد زواجهم لانهُ ليس من العدل ان يتزوج رجل حرَّةً فيصبح مرأته عن دخل ... قوانين قاسية ما لها ... وخصوصًا من ... الا انهُ سمح للرجل ان يقرض امرأته لصديقه متى ولدت له بنين فكان ذلك بمثابة طلاق وفي لاحيان ... من ... وكان له حق ان يرجعها الى بيته متى

الفصل الثالث

في ملك طلس هوستيليوس

من سنة ٦٧٣ الى سنة ٦٤١ ق م

او من سنة ٨١ الى سنة ١١٣ ب ر

كان طلس هوستيليوس الذي خلف نوما سيدًا عزيزًا وغنيًا كريمًا وزّع على المحتاجين من الرومانيين العقارات والاموال التي حبسها سلفاؤهُ على نفقة الملك والكهنة وضمن تقديم ما يلزم لذلك من ماله وقد اشتهر بكونهِ بطلاً صنديدًا يحب الحرب والكفاح وهمامًا مغوارًا لا تقعدهُ المصاعب عن نيل ما يبتغيهِ فبات يرقب الفرصة ليقاتل من الامم المجاورة من يجاهر بالعدوان لان شرائع نوما كانت تحظرُ الغزو والغارات وتعدّي الاعداء على احد

ونظر كلبوس رئيس الالبانيين رفعة شأن الرومانيين فحرّك فيهِ الحسد ورأى نجاحهم وفوزهم فزاد بهِ الكمد واراد قتالهم فلم يرَ الى ذلك داعيًا فعمد الى تدبير حيلة تثير الفتنة وتحمل الرومانيين على خوض الحرب كمهاجمين لينال ما يبتغيهِ ولا يكون سببًا لنزع السلام ونقض العهود فارسل سرًّا بعض رجالٍ فقرآء وامرهم ان يغيروا على ارض رومية وينهبوا ما يمكنهم نهبهُ ففعلوا ما امروا بهِ ونادى الرومانيون ما جرى فبعثوا جيشًا بامرهم ليفتك بهم فادرك جيش الرومانيين تلك الشرذمة وقتل منها من قتلهُ واثخن بعضًا بالجراح واسر الباقين حينئذٍ جمع كلبوس الالبانيين واخبرهم باعتداء الرومانيين عليهم واراهم الرجال المجروحين وحرضهم على مقاتلتهم

فثارت الحمية بالالبانيين وارسلوا رسلاً الى رومية يطلبون ارضاء وتعويضاً مهددين الرومانيين بالحرب ان لم يعطوهم ما يرومون. ولما راى طلس الرسل عرف حاجتهم واراد رد كيد الالبانيين في نحرهم وبدرئة قومه فارجا مقابلتهم معتذراً واجلهم محلاً جميلاً واكرمهم غاية الاكرام وارسل رسلاً الى البا يطلب بالحاح تعويضاً عن خسائر كبيرة وقال لهم كم مدة تم حنوقنا ونكثتم العهود وقد وجهت الى معسكركم رسلاً واظنهم يصلون اليهم وساعة على ذلك عدتكم اعداء لنا واطلب فالكم نعل الصارم البتار بينهما فاعطت الرسل رحمة واحترمت الملك بذكر عدد طلس رسل الالبانيين وحادثهم بلطف مستخبراً عن بغيتهم فاعطوه طبع مرمهم واعلموه ان كبيرهم يود الحرب اذا لم يعط تعويضاً فاجابهم طلس ذهبوا وقولوا له ان ملك رومية يطلب الى الآلهة ان تذل الامة التي رفضت ولاً التسوية والصلح راغبة في العدوان

واحد الشعبان في الاستعداد للحرب ولما انقضى الاجل المضروب زحف الجيشان وابتدأ القتال ومات في اثناء ذلك كبير وخلفه في الرئاسة على الالبانيين مابيوس فوسنتوس وبعد الامين المحاربين ان العدوين والعيين يرومون الايقاع بهما حملا روحيهم وقد ضعفا من جرى الحروب فاشفق الرئيس الالباني على قومه من الاعداء وخاطب طلس يامر بالصلح والاتحاد فقبل طلس بذلك واتفق على ان يبرز من كل فريق ثلثة رجال والفريق الذي تنتصر رجاله على قرينهم يعد ظافراً وله حق التسلط على الفريق الآخر

فبرز من معسكر الالبانيين ثلثة اخوة اسمهم الكورياسيون وخرج من صفوف الرومانيين ثلثة اخوة يقال لهم الاوراسيون ومن غريب الاتفاق ان الاوراسيين كانوا ابناء خالة الكورياسيين وكان كل واحد منهم مساوياً قرينه في العمر والشجاعة فهولاء هم الذين اعتمدوا على سفك دمائهم

فدى الامنين ووسيلة للاتحاد باسين صلات القرابة وحقوق النسب مجردين الصوارم ليمسك بعضهم بعض خدمة للوطن وتقدموا جميعاً للبدن بسبب لا بجامرة الحرب الا أنهم لما دنوا وابصر كل من قريبه خصماً وقريباً تعانقوا باكين وانصرفوا للكر والكفاح وما يتمادى بهم الامر حتى خر ثلاث من الاوراسيين مجدلين فعمت في معسكر الالبانيين صيحة الفرح واصوات السرور وحزن الرومانيون وايقنوا بالذل بعد الانكسار ونظر الاوراسي الى خصومه فوجدهم مثخنين بالجراح وراى نفسه سالماً غير مجروح فعمد الى الهرب ليفرقهم ولما نظره الكور ياسيون منهزماً تبعوه فالتفت اليهم وكانوا قد تفرقوا فهجم على الاول وذبحه وبادر الى الثاني فقتله ولحق بالثالث مجدلة وجمع اسلاب الثلثة ورجع ظافراً غانماً وهكذا انتهت هذه المعمعة المشهورة التي حولت رومية التسلط على ألبا

وكلل الملك طلس الاوراسي باكليل الظفر فدخل هذا الفتى رومية مسروراً بما فعل وكانت اخته تحب احد الكور ياسيين ورات بين الاسلاب ثوب من تحبه متضمخاً بالدم وكانت هي نسجها قد خاطت ذلك الثوب فنشرت شعرها وضربت صدرها ومزقت ثيابها وقالت لاخيها ايها الوحش الشرير كيف تسفك دم اقربائك الذين كنت تودهم كاخوتك وتقتل بقساوة خطيب شقيقتك فحنق الاوراسي من كلامها واجابها اذهبي الى حبيبك مع شهواتك الوحشية يامن نسيت اخوتها والوطن ثم استل سيفه وضربها قائلاً فليهلك هكذا من يندب عدو الرومية

وقبض على الاوراسي لجانٍ وجيء به الى الملك لينظر في دعواه ويحكم عليه فرام طلس خلاصه فلم يقدر لان دمه كان عصياً فوكل امره الى حكيمين حاسبا ما اقترفه ذنباً سياسياً فقضى الحكمان عليه بالقتل ولما هم الجلاد بقتله قام ابوه واشار الى الشعب قائلاً ايها الرومانيون كيف تسمحون ان يقتل اليوم مخلص رومية وانت ايها الجلاد كيف تربط يديه

الذين سلبهما الظفر وابن تقتله دخل المدينة امام الاسلاب التي غنمها
شجاعة ام خارج الاسوار بين قبور الكورياسيين ثم اسارى في كل مكان
آثار مجده الذي يجب ان يصونه من هذا القتل الشنيع

ونظر الجمهور الى دموع الاب وبنات الابن فشفق عليهما وفك رباط
ذلك الفتى الشجاع صفحًا عن ذنبه

وتذكر طلس خيانة الفديين وما نووه له من الشر حينما كانت الحرب
ثائرة بينه وبين الالبانيين فامر رؤساءهم ان يأتوا رومية ليبرئوا انفسهم
لدى المجلس العالي فلم يرجع الفديون لما أمروا به بل انحدروا مع الفيئيين
وجمعوا العسكر والانصار ورجعوا للقتال وكان موسيتيوس رئيس
الالبانيين قد واطأهم على ذلك املاً ان يضعف شوكة الرومانيين ليتسنى
له الاستقلال غير انه لم يجسر على اعلان هذا الامر بل كتمه خيفة ان تدور
عليه الدوائر وخرج بعسكره اجابة لطلب طلس الذي نهض في الحال لمحاربة
اعدائه وأخذ موسيتيوس جنوده نحو رابية فاعتصموا بها وعولوا على حفظ
الحيادة حتى اذا ما تبين لهم الظافر من الفريقين هجموا على المغلوب واعانوا
القوم الغالبين وعلم طلس بخدع الالبانيين فتربص في مكانه قليلاً صابرًا
على الاهوال ثم اقتحم مع جيوشه صفوف الاعداء فاذاقهم حربًا لا تبقي ولا تذر
فتشتتوا في تلك البيد ولحق بهم الالبانيون وقتلوا منهم جمًا غفيرًا

وفي الغد ارسل طلس كتيبة من جنوده لتخرب ألبا وأمر الجيوش
الالبانية والرومانية ان تحضر اليه بلا سلاح ففعلت ذلك الا ان الرومانيين
تقلدوا حسامًا وعز اليهم سرًّا سيوفهم تحت ثيابهم ولما انتظمت الصفوف
اخذ طلس يتكلم عن خيانة وخدع موسيتيوس ولما فرغ امر بقتله مع
الرؤساء الذين وافقوه في تلك الدسيسة ونقل الى رومية من بقي من
عسكر وسكان ألبا ومنحهم حقوق الوطنيين واسكنهم على رابية كيليس التي
اضافها الى المدينة

وظلّ العدنيون مجاهرين بالعصيان فاغار عليهم طلس واستولى على مدينتهم قسرًا وقتل رعاتها العصاة وسمح للباقين منهم ان يسكنوا في بلادهم كما كانوا مقرّين فقط بسيادة الرومانيين وحارب الصابيين وقهرهم بعد وقائع عظيمة ثم أمت المدن اللاتينية التي كانت تابعة لالبا الخضوع له ورجعت اليها رجاله وقاتلها الا انه لم يخضع منها سوى مدينة مادلبا فارتدّ عنها راجعًا الى رومية بعد ما أضرّ زرعها وانتسف اعلالها في ذلك العام

ولما شاخ طلس داخله الوسواس وزادت اوهامه وقوي اعتقاده خرافات الرومانيين الدينية فصار لا يكذب خبرًا يوهونه عليه و يصدق كل ما كانوا يقصونه من سماع اصوات من السماء وهو يامر بتقديم الذبائح للآلهة كفارة عن خطاياه وذنوب الشعب قيل ان نارًا سقطت من السماء على قصره محرقته مع بيته وامرأته وقيل ان انكس مارسيوس قد قتله وتبوأ بعده سرير المملكة

الفصل الرابع

في ملك انكس مارسيوس

من سنة ٦٤١ الى سنة ٦١٦ ق.م

او من سنة ١١٢ الى سنة ١٣٧ ب. ر

واراد الملك الجديد انكس اصلاح ما فسد من عوائد الشعب بعد موت جدّه نوما واحياء محبة الفلاحة والزراعة في قلوب الجميع ماشيًا على سنن الخير والتقوى وراغبًا في اجتناب الحروب ما امكن ونظرت الامم المجاورة الى اعماله هذه واميالِهِ السلمية فاحتقرته وحالت الاوان قد آن

للانتقام من الرومانيين وتعويض ما فقدته في السنين الماضية فنهض اللاتينيون وجاهروا بالعدوان فالتقاهم انكس بجنوده وكسرهم ونقل سكان بعض مدنهم الى رومية واسكنهم على رابية افنتينس التي اضافها الى المدينة ومدّ ايضاً الاسوار حول رابية جانيكولم وبنى هناك قلعة وجسراً فوق النهر وحفر خندقاً عظيماً حول الاماكن الواطية لتصونها من الاعداء اذا هجموا بغتة وحارب بعد ذلك الصابين والفلسيين واخضعهم ووسع هيكل جوبيتر فرتريوس وبنى مدينة ومرفأ اوستيا عند مصب نهر التيبر على بعد ستة عشر ميلاً من رومية وكان بين رجاله فارس اتروري اسمه طاركوينس قد اشتهر بشجاعته وذكائه وخبرته بالفنون الحربية فاحبه انكس جداً ورفع مقامه وادخله عضواً في المجلس العالي . ومات انكس بعدما ملك اربعة وعشرين عاماً تاركاً ولدين اقام عليهما وصياً وناظراً صديقه طاركوينس المذكور

الفصل الخامس

في ملك طاركوينس برسكس او طاركوينس الاول

من سنة ٦١٦ الى سنة ٥٧٨ ق . م

او سنة ١٣٧ الى سنة ١٧٥ ب . ر

كان بمكان بمدينة طركوينيا في عهد ... في الطوافة التي افضى ...

كان بكرشوث في عهد سيسلس الظالم ملك تلك المدينة رجلٌ غنيٌ جداً اسمه دامارتس من العائلة الشريفة التي اسقطها سيسلس الملك منها فهذا الرجل لما راى جور الامير الجديد أشفق على نفسه واموالهِ فجمع ما عندهُ من السلع والمال ورحل في الحال الى طاركوينيا احدى مدن

أتروريا العظيمة وسكن فيها مستوطناً وتزوج هناك امرأة شريفة ولدت له ابنين اسم احدهما أرنكس واسم الآخر لوكومو ومات أرنكس قبل ابيه تاركاً امرأته حبلى ومات دمارتس ايضاً في ذلك الحين جاهلاً امر حبل كنته وتاركاً كل ثروته للوكومو ابنه الاصغر وهكذا حرم ابن أرنكس قبل ان يولد حصته من ميراث جده فدعوهُ لذلك اجاريوس اي الفقير

اما لوكومو فشرع يبحث عن الوسائل التي تخوله العظمة والفخار في مدينة طاركويني راغباً في الارتقاء الى المناصب العالية وباذلاً جهدهُ في استمالة الجمهور توصلاً الى ما يبتغيه الا انه خاب مسعاه ولم يدر بطائل لكونه عُدّ غريباً غير اهل لنيل ما هو ساعٍ لنيله فرحل لذلك الى رومية واقام فيها فمنحه ملكها حقوقاً كالوطنيين وكرمه غاية الاكرام واعلى مقامه ودعا لوكومو ذاته طاركوينس بدلاً من دامارتس واحبه الشعب الروماني ومال اليه لشجاعته وفطنته وسخائه ولما مات انكس صرفت انظارهُ الى الملك وصمم على اختلاسه من ابن انكس القاصر فجمع الرومانيين وحضهم على انتخابه ملكاً عليهم مظهراً لهم فضائله وذكرّ الاعمال الحربية والاعمال العجيبة التي اجراها فرضي الرومانيون به ملكاً وانقادوا له طائعين

وزاد طاركوينس الآباء اعضاء المجلس العالي مائة عضو لتقوية حزبه وبزيد عدد المنتصرين له وكان اولئك الاعضاء الحديثون من العوام فاعطاهم حقوقاً وامتيازات كالاعضاء السابقين واعتبرت اولادهم من القوم الشرفاء.

وادعت الامم المجاورة التي اخضعها الرومانيون قبلاً ان خضوعها كان واجباً مدة حيوة الملك الذي حاربها وعقد معها صلحاً وانها قد امست الآن مستقلة اذ تلك العهود قد ماتت بموت الملك واشهر بعض اللاتينيين الحرب فتقدم طاركوينس بعساكره وحاصر مدينة ابيولي واستولى عليها بخدعة وباع سكانها عبيداً وهزم الكرستوميين على عصيانهم فصفح عنهم

واسكن بينهم جماعة من الرومانيين واستولى بعد ذلك على كولاسيا وملك عليها اجاريوس ابن اخيه الذي دُعي كولاتيس نسبة الى المدينة المذكورة ورجع الى كور بكوم وأذاق اهلها مر العصيان وحارب اللاتينيين والصابيين وبعضاً من الاترورين وغلبهم فدان له الجميع صاغرين ولما رجع الى رومة دخلها بالفخار عظيم محتفلاً بنصراته العديدة وانفق الاموال التي جمعها من المدن المغلوبة في بناء ملعب لاجل الالعاب الرومانية العمومية

وكانت اتروريا بلاداً واسعة جداً مقسومة الى اثني عشر قسماً فلما رأى امراؤها ان طاركوينس قد غلب بعضاً منهم جهلوا جمعاً لمحاربته واستولوا على بلاد الفيدينين بخيانة بعض سكانها ومن هناك اغاروا على اراضي رومية فصبر طاركوينس مدة الى ان جهز جنوداً وفرساناً كافية وخرج لقتالهم فجرى بين الفريقين موقعتان نال الرومانيون في كلتيهما الظفر على اعدائهم ولما كانت فديا مدينة الفيدينين مفتاح اراضي رومية عوّل طاركوينس على اخذها وبعد ما كسر الاتروريين في موقعة ثالثة حاصرها واستولى عليها وقتل بعض سكانها الذين خانوه وسلموها الى الاعداء ووهب اراضيهم لعساكره ثم اسرع وقاتل الاتروريين لانهم كانوا عازمين على جمع جنود جديدة وانتصر عليهم فارسلوا اليه رسلاً يسالونه السلام ويعلنون خضوعهم له فرضي بما طلبوه اليه وامر بكف العدوان

وبعث الاتروريون الى طاركوينس دلالة على خضوعهم له تاج ذهب وعرش عاج وصولجاناً وثوباً موشىً وثوباً آخر ارجوانياً فلبس طاركوينس هذه الثياب الفاخرة واحتفل بنصرته راكباً في مركبة مذهبة تجرها اربعة افراس

وصرف همّة بعد هذه النصرات في اصلاح المدينة فبنى سورها من حجارة محوتة وأزال المستنقعات التي كانت في الاماكن الواطية حول الفورم

وبنى قنوات عظيمة لجلب المياه الى رومية وطرح الاقذار الى الخارج
واصلح الطرق وشاد فيه حوانيت للبائعين والصيارفة وفتح مدارس للصبيان
والبنات وبنى هيكلاً للالهة ووضعت وعره للحكام ثم نهض لمحاربة الصابيين
محتقين انهم اعانوا الاتروريين حين تكن بجارهم وزاد في ذلك الحين
فرسانه وجعل عددهم سبع مئة وسبعة فارس وامدّ الاتروريون الصابيين
بفرقة من جنودهم وانتشب جيوش عديدة وعسكرت عند مصب نهر آنيو في
التيبر وبنيت جسراً هناك امر طركوس فعسكر على نهر انيو ونظر حركة
المياه الجارية فخطر في باله ان يحرق الجسر الذي بنته العدوّة فعمل قوارب
وملأها حطباً يابساً وكبريتاً ومواد اخرى سريعة الاحتراق وقذف هذه
القوارب ليلاً بعد ان اشعلها في نهر انيوس من جهة وفي نهر التيبر من جهة
اخرى فسارت مسرعة لان الريح كانت موافقة لها والتهب الجسر حالاً
واحتدمت النار وركض الصابيون ليطفئوها تاركين معسكرهم بلا حراس
فتقدم طركوس بعسكره تحت جنح الظلام واستولى عليه قبل بزوغ
الشمس ودخل الاعداء لما حضروا ذلك وانهزموا فمات بعضهم حرقاً
وبعضهم بسيف الرومانيين والبعض الاخر غرق ورجع بعد ذلك الى
صابينا وقرّس فيهم وكسرهم ثم عاد الى رومية ظافراً ولم ينقض امام الهدنة
جمع الصابيون جنوداً جديدة وعبروا نهر انيو واغاروا على ارض رومية
فبدر طركوس اليهم وقهرهم ... وسائر جنوده ولكن الصابيون
بكسرهم ... من حيلته ونقضت ... نذم محصورة وانتخبوا قائداً اخر وهموا
بالهجوم على الرومانيين فتقدم ... طركوس واغار عليهم فارتدوا الى الوراء
وتحصنوا في معسكرهم ومكثوا فيه محصورين الى ان كانت ليلة حالكة الادم
وتمكنوا بعد ... حرجوا منه ... معسكرهم سراً وساروا الى بلادهم تحت
جنح الظلام ... سيف طاركوس لانه كسرهم في السنة
التالية كسرة شديدة ... الاركان وكرههم على ... اليوم ... محبة

ليسلموا من شرّ دول يعتدوا معهُ صلحًا مقرّين بسيادة الرومانيين وخضوعهم التام لهم

وحقد ابنا انكس ماركيوس على طركوينوس لانهُ خانهما وسلب منهما الملك فكانا يجهدان دائمًا في حباط اعماله وتسويد سيرته في اعين الشعب وهو يزداد مع ذلك عظمة وبأسًا غير مبالٍ بتهم الحاسدين المرجفين ولا مكترث بمكائدهم وحيلهم ساعيًا لادراك ما يبتغيه من توسيع نطاق المملكة وزيادة مجده وتجديد شرفه لا وهو اول ملك روماني جلس على عرش وليس ابن ملك ولما رأى ابنا انكس ان كل اجتهادهما لم يجدهما نفعًا استأجرا شابين ليدبرا ... فلاحين وحملا فاسين وذهبا الى امام قصر الملك واخذا يتشاجران هناك ويتصايحان فخرج اليهما بعض الشرط وقدموهما الى الملك فشرع كل منهما يقص قصته ويعرض شكواه بحدة وخشونة وهما يتقاطعان الكلام ويرفعان الصراخ فطلب الملك منهما وامرهما ان يتكلما بهدوء واذ كان مصغيًا الى احدهما يشكو رفع الآخر فاسه وضرب بها فشق راسه وافلت مع رفيقه وانهزما

وشاع هذا الخبر حالاً فتراكض الرومانيون ليعلموا جلية الامر فوجدوا طناكويل زوجة طركوينوس سادّة باب القصر محتجة بان الملك مجروح يحتاج الى الراحة والسكون ثم خاطبت الشعب من كوّة قائلة ان جرح الملك ليست بليغة كما ظُنّ ولا بد ان سيشفى عن قليل وانه يامرهم لذلك ان يطيعوا في كل الامور سرفيوس طليوس صهره وفي الغد جلس سرفيوس على العرش ولبس ثياب الملوكية وتولى القضاء وامر باحضار ابني انكس فلم يوجد لانهما هربا من المدينة فحجز عقاراتهم وما يملكان وحكم عليهما بانهما مذنبان خائنان

ودامت الحال هكذا بعض ايام الى ان استتب الامر لسرفيوس طليوس فاشهر موت الملك فكان عويل وشيع جنازته باحتفال عظيم ثم قبض

على زمام الاحكام من عيران بنجمة الشعب واخص انحاد قانونيا

الفصل السادس

في ملك سرفيوس طلبوس
من سنة ٥٧٨ الى سنة ٥٢٤ ق.م
او
او من سنة ١٧٥ الى سنة ٢١٩ ب.ر

كان سرفيوس ابن اسيرة جلبها طركوينس الى رومية من احدى المدن التي حربها ولم يعرف له اب شرعي والحري ان يثق المورخون في هذا الامر غير انهم اجمعوا على كونه ولد في قصر الملك قبل تحرير امه التي كانت نديمة نحول فاحبها الملك وامسكه حب شديد واعتقها واحبا لاجلها ابنها سرفيوس ورباه تربية حسنة وزوجه ابنته وفوض اليه طركوينس مرارًا عديدة فصل مسائل عمومية وحسم مشاكل سياسية فكان يتصرف في كل ذلك تصرف عاقل فصار يعرف الشعب فضله وسجاياه الحسنة وقدره حق قدره لذلك تم بيعة من القضاة والتسلط بعد موت الملك كما تقدم المقال

وأنف الشرفآء واعضاء المجلس من فعل سرفيوس وارتقائه سرير الملك بلا انتخاب قانوني فاجتمعوا في مجالسهم وتذاكروا في الامر مليًا وصمموا على ان يخلعوه ويحكموا عليه بذلك في اول مرة يلتئم مجلسهم اما سرفيوس فشرع يستميل العوام اليه ليقاوم بهم سطوة الشرفاء ثم جمعهم واخذ بين

بيد حميه طاركوس وخطب الجمهور قائلاً ايها الرومانيون هذه هي يد ملككم العظيم الذي قتلته كف علم القوم الظالمون وقد اوصى الملك اليّ بها وهو على فراش الموت فلا اعمل بموجب وصيته ذكراً لاحسانه العميم اليّ وانعامه العظيم عليّ واني لاحكم على مشاركتي في هذه خدمة الحق وارغب اليكم ان تساعدوني في هذا الامر مناسبة بما بذلته في خدمة الوطن واني لمسكم ايها الرومانيون ان اركم عبيد دائنيكم فانتم قد فتحتم بذراعكم ودمائكم الاراضي التي استولى عليها العظماء. ولا اراكم تملكون سوى قطعة ارض صغيرة لا تكفيكم عيشة فانتم محتاجون لذلك ان تحرثوا ارض اولئك العظماء لتعيشوا فلا ريب انكم قد خسرتم كثيراً وخسرتم زمناً طويلاً حقوق الشرفاء الذين تكاد تحسبونكم احراراً بسبب فقركم ولكن اعلموا الآن فسوف [illegible] كل [illegible]

ووفى بعد ذلك سرفيوس من ماله ديون الفقراء. واصدر منشوراً يأمر بان الذين اختلسوا الاراضي العمومية يجعلوها في وقف عنهم ووزع تلك الاراضي على من ليس له ملك

ووضع قوانين جديدة انصف بها بعض متهاري السرقة. وحارب العيين الذين جاهروا بالعصيان واخضعهم. ووهب ارضيهم من كان فقيراً بين الرومانيين ودخل المدينة باحتفال عظيم على رغم الحسد والعصاة. ووسع رومية باضافته اليها رابيتي اسكويلنس وفيمينالس وزوج حفيدي طاركوس بابنتيه ليحارباه ... وأحصى الشعب وقسمه الى ستة اقسام حسب ثروة كل واحد منه وفرض على كل قسم مكوساً يدفعها وقت الحرب وذلك بالنظر الى عدد رجاله كي كان فعلاً وقسم الاقسام الى فرق وكثر الفرق الغني وقلل الفقيرة من غير ان ينظر في هذا الامر الى عدد انفس القسم بل الى ثروته كما شرحنا لان القسم الاول كان يشتمل على ثمانين فرقة والقسم الاخير وهو اكثر الاقسام انفساً كان

يسمل على فرقة واحدة وجعل حقوق الانتخاب واصوات الاقتراع حسب عدد الفرق ونظم الحدية وقسم رجالة الى عسكر عاملين وهم الذين لم يتجاوز عمرهم الخامسة والاربعين والى محافظين وهم الذين تجاوزوا هذ الحد وبلغ عدد الاحرار القادرين على الحرب اربعة وثمانين الفاً وسبعمئة رجل وامر ان يجدد احصاء الشعب وتقسيمة على النمط المذكور كل خمسة اعوام لان الدنيا كالدولاب تجري ونحدث في احوال سيها تغييراً مستمراً

وعوّل هذ الملك الحكيم على زيادة عدد الوطنيين بوسيلة لم تخطر قط على بال احد من اسلافه وذلك انه تذكر زمن عوديتو فاشفق على حالة اولئك الذين حعلهم سوء الحظ عبيداً وامر بان كل عبد قد اعتقه مولاه واراد السكنى في رومية بعد وطناً وان الاباء اعضاء المجلس بادىء بدء التصديق على هذ الامر محتجين وقال لم لو كانت الطبيعة قد وضعت حداً فاصلاً او فرقاً بيناً بين من ولد حراً ومن ولد عبداً لوجب علينا ان نراعي هذا الاختلاف ونفرز من الناس الذين يخالفوننا بالطبع والطبيعة غير انه لما كان هذ الفرق في احوال الانام نتيجة الحظ فقط وجب عليكم ايها الاباء ان تحفظوا بحكمكم الدنيئة حكام الهة عمياء. وهل تظنون هذه الالهة الهة الحظ التي تحكم على جنار ورجال شجعان أُسروا في الحرب تعدكم نعيماً دائماً فكم امة قد اشتهرت بالشجاعة والبأس قد خانها الدهر واذلها بعد الافتخار مع ذلك لِمَ لا تحسبون عبيدكم لمعتقين وطنيين وانتم قد حررتموهم لانه لما كان العبد شريراً فلماذا تعتقونه واذا كان صادقاً وامينا فاي مانع يمنعكم من اعتباره رومانياً او كيف تحسب في عداد الوطنيين الذين يأتون من المدن المجاورة ليستوطنوا في مدينتنا غير باحثين عن اصلهم ونحرم هذا الحق من عاش معنا وتخلق باخلاقنا وعدّ اهلاً لان يعتق ويكون حراً أتغفلون عن المنفعة العمومية التي تتطلب هذ الامر وتجهلون منفعتكم ايضاً ألستم تعلمون ان وجود الذين اعتقتموهم في عداد الوطنيين

مما يزيد سلطتكم وسودكم وعدد المنتصرين لكم

فاستحسنت الآباء بكلامهِ وصدَّقت على امره شان المستفين وأقام سرفيوس قضاة من اعضاء المجلس لينظروا في الدعاوي المدنية والجنائية ويفصلوا الخصومات ووضع لهم شرائع وقوانين يحكمون بموجبها

واراد الملك توطيد السلام وتقوية صلات الاتحاد بين شعبهِ وبعض الامم المجاورة مثل اللاتينيين والصابينيين في بناء هيكل برومية للإلهة ديانا يحضرون اليه مرةً في كل سنة ليقدموا مع الرومانيين الذبائح والقرابين لهذه المعبودة وينظروا بعد انقضاء ايام العيد في المشاكل التي تعرض لهم فقبل اللاتينيون والصابينيون بما اشار بهِ وبنوا الهيكل المذكور على رابية افنتينس وعقدوا معهُ عهداً ووضعوا قوانين لترتيب الجلسات وفصل الدعاوي ونقشوا العهد والقوانين على عمود حفظ في هيكل ديانا الى ايام اغسطس قيصر

وقد روي عن هذا الملك الفاضل انهُ اراد في اخر حياتهِ ان يعتزل عن السياسة والملك ويقيم في رومية حكومة جمهورية الا انهُ لم يستطع اجراء ذلك الامر كيف لا وصهرهُ طاركوينس الكبر الملقب بالثاني كان واقفاً له بالمرصاد وكانت زوجة طاركوينس هذ تجهد في ان تضعف عوائد بعلها بلطفها وادبها وهو يزداد على مرّ الزمان قسوة وجوراً وكانت امرأة اخيهِ شرسة متكبرة تلح على زوجها العاقل ان يستخدم وسائل دنية بربرية لسلب الملك من ابيها وهو لا يرجع الا لا مبالاة الخسة ولا يحب غير السلم والعدل فاخذت هذه الفاجرة تشكو سوء حظها لتزوجها رجلاً على زعمها سخيف العقل بليداً وشرعت تتزلف من سلفها الذي احبها وتواطأ معها على سمّ بعلها وامرأتهِ ليقترن بها وبدرا ما بتعجيل ففعلا هذ الفعل القبيح ثم عمد طاركوينس الى اهلاك سرفيوس فاستمال اليهِ السواد الاعظم من الآباء الذين كرهوا الملك لحنوهِ العوام وميلهِ على الرومانيين بلا اتعاب

فانولي

وعلم سرفيوس بما كان صهرهُ وابنته يدبران فاراد ان ينصح لهما لعلهما يرجعان عن غيهما ويعقلان فاحتقراهُ وصمم لذلك طاركوينس على عرض دعواه للمجلس العالي وشكاية حيواته لم يبالِ بالآباء اذ ملك بالرغم عنهم وانهُ قد ادعى كونهُ وصياً عليه بمجلس الملك منه فاجابه سرفيوس قائلاً اني لم املك كوكيل عنك او عن اخيك ولكني اقدمت فقط على صيانة حياتكما من ابي اكس الذي بلا ريب احق منكما بالملك لو كان الملك كما يزعم بالوراثة ثم قال والآن ايها الآباء لماذا انتم جاحدون مع هذا الرجل في املاكي هل رأيتموني ظالماً فرمتم الانتقام مني او خلعتموني متكبراً فحسبتم اذلالي من من ملوككم السابقين عمل ما عملته لكم وسار السيرة التي سرتها أم احب الوطنيين حباً كما يحب الاب الحنون اولادهُ وهلا قمت منكم قضاة ينظرون في امور الشعب ولكنكم قد كرهتموني لحبي العوام مع هذا ان رأيتم طاركوينس افضل مني وصممتم على تمليكه فانا لا استنكف من ذلك بل اعرض الامر للشعب الذي ولاني

وفض المجلس بعد ذلك وامر باجتماع الشعب في الفورم او الساحة العمومية ولما ازدحمت الاقدام هناك وقف بين القوم خطيباً واسترعاهم لسمع ذكر حروبهِ والنصرات التي حازها بشجاعته وتدبيره ثم اجمل كلامهُ عن القوانين التي وضعها والمنافع الكثيرة التي انالها الامة الى ان قال قد ظهر لي منازع يدعي السلطة التي تقلدتها لاسعى في سبيل سعادتكم ايها الرومانيون ويزعم ان جدهُ قد اورثهُ الملك بعد موته وانهُ لا حق لكم في تولية من تودون توليته فترضون بذلك ولا تغضبون او تدعونهُ يسلب حقوقكم وانتم صابرون واذا كنتم قد مللتم ملكي وسئمتم مني وفضلتم طاركوينس عليّ فانا اطلب اليكم ان تسردوا قضيب الملك الذي

عصيتمونيه

فحنق الشعب عند سماعه هذه الكلمات وهمَّ بقتل طاركوينوس الذي اسرع الى منزله فراراً من القتل وهيجان العموم اما سرفيوس فرجع الى قصره ظافراً فرحاً

ولما كانت ايام الحصاد وكان اكثر الشعب خارج المدينة متفرقاً في الحقول جمع اعلائه لبس طاركوينوس ثياباً ملوكية ورتب خدامه واصدقاءه على هيئة جند واعوان وذهب معهم الى الهيكل حيث كان الآباء عازمين على الالتئام وارسل يامرهم باسم الملك طاركوينوس ان يأتوا في الحال ثم تقدم بهدوء ورصانة وجلس على العرش وكان بعض الاعضاء عالماً بالخديعة فجاء مسرعاً ليرى ما يكون واما الاكثرون فظنوا سرفيوس قد مات فبادروا الى الحضور لئلا يحسب غيابهم في مثل هذه الاحوال ذنباً ولما انتظمت الجلسة جعل طاركوينوس يطعن في حقه قائلاً انه عبد وابن اسيرة وانه قد ملك بالمكر والخداع لا بانتخاب الشعب والآباء كما جرت العادة وانه قد سلب املاك الشرفاء ووهبها للادنياء نصرة وقد حمل العظماء اثقالاً كانت مفروضة على العموم وقد قسم الرومانيين الى اقسام وفرق حسب ثروة كل واحد منهم ليجعل اموالهم معرضة للانظار وعرضة للحسد او بالحري ليوزعها بين المحاذيين متى اراد

ولما اتم طاركوينوس كلامه اتى سرفيوس مهرولاً فنهض اليه وامسكه بيده وجره الى الباب ومن هناك طرحه الى اسفل ثم ارسل بعض رجال الحرس فقتلوه وسمعت طوليا زوجة طاركوينوس ما حدث فاتت مسرورة لتهنئ بعلها وقبل ان مركبتها مرت على جثة ابيها وتلطخت بدمه وقد دعيت تلك الطريق منكوس سيليراتس اي الطريق الشرير

وهكذا مات هذا الملك الحكيم الذي عاش اربعة وسبعين عاماً وملك اربعة واربعين ونقلت جثته مطروحة الى ر... دفنها الابن واحد منها ... ودفنتها سراً ما الشعب يحزن عليه جداً وكانت العبيد تحتفل به كل سنة

يعبد في هيكل ديانا تذكاراً لمحبتها اياهم واحسانها اليهم

الفصل السابع

في ملك طاركوينوس الثاني او طاركوينوس الثاني
وهو آخر ملوك رومية
من سنة ٥٣٤ الى سنة ٥١٠ ق م
او
او من سنة ٢١٩ الى سنة ٢٤٣ ب . ر

وخلا الجو لطاركوينوس ونال ما كان يتمناه فاستبد بالملك وعتا غير خاشٍ لاعماله رقيباً ولا رادع في ظلمه غريباً او قريباً يجري ما يروم اجراءهُ من غير استشارة المجلس والشعب ولقد تسنى له ذلك وامن كل عائلة تصيبه فرقة عسكرية . لوقايته شخصه وتنفيذ اوامره وزاد هذا الظلم خطورةً خطورةً انه منع الخصوم من التشكي وعزل القضاة الذين اقامهم سرفيوس واعلن نفسه الحاكم الوحيد الذي ترفع اليه الشكوى والقادر على فصل كل معضلة ودعوى وكان ينظر في سائر الاحوال الى الاغنياء كمدسين ليلتهم اموالهم ويرديهم اذ امكنه ذلك . وقد قتل شيخاً جليلاً اسمه يونيوس سليل عائلة شريفة وابا يونيوس بروتوس الشهير الذي الغى الحكومة الملكية وكان طاركوينوس الاول قد زوج يونيوس هذا بابنته لسبب ثروته العظيمة وهم الملك الجديد بقتله مع ابنه ليستولي على املاكه وامواله الكثيرة اما بروتوس فنجا من القتل بتباله

ولم يراع طاركوينس في جوره عهداً او ذمةً بل كان الجميع لديهِ سواءً. فابطل قوانين سرفيوس وقسمة الشعب الى اقسام وفرق وجعل جباية المكوس حسب عدد الانفس لا حسب الثروة كما رتب سلفه

وعلم طاركوينس ملل الرومانيين منه وضجرهم عليهِ فسعى في محالفة الامم العربية لتكون له عوناً في الشدائد ونصيرة على قومهِ اذا مست الحاجة وزوج لذلك اوكتافيوس ماميليوس بطل اللاتيني ابنتهُ واكتسب بوساطتهِ صداقة كثيرين من رؤساءَ وعظماءِ اللاتينيين

وسأل اللاتينيين ان يرسلوا الى رومية رسلاً ليحاورهم في امور جليلة فاتت الرسل واجتمعت في اليوم المعين بهيكل فلورا واقامت فيهِ تنتظر طاركوينس الذي لم يحضر في ذلك النهار ولم يبعث احداً يخبر المجتمعين بما يثنيهِ عن الحضور ولما عيل صبر الجماعة وملت الانتظار قام ترنس هردونيوس الذي كان يبغض ماميليوس صهر الملك وقال لاردفوا اني لا اعجب من تلقيب الرومانيين طاركوينس بالعاتي كيف لا وهو قد اراد الآن ان يسخر من الامة اللاتينية فدعا رؤساءها الى الاجتماع وحينما اجتمعوا رفض مقابلتهم فلا ريب انهُ رام سبر غورها ليرى صبرها ويعلم كيف يذلها متى حصل له فلنرجع اذ ذاك الى بلادنا غير مبالين بهِ وبمعاكسهِ اما ماميليوس فاعتذر عن الملك ورغب الى السفراءِ ان يتمهلوا الى الغد فمطلوا ولما انتظمت الجمعية في اليوم التالي اتى طاركوينس واعلم الرسل ان مرادهُ تولي قيادة جيوشهم قائلاً ان ذلك حقٌ قد ورثهُ من جدهِ وانهُ قد جمعهم ليلتمس منهم التصديق على هذا الامر فاعترضهُ هردونيوس اعتراضاً قوياً ودحض دعواهُ بحجج دامغة وبراهين ناصعة واستنهض همة رفقائهِ وحثهم على ان لا يقبلوا هذا الامر المنكر الحذر مما سعيهِ لئلا يقعوا في فخاخ ظلمهِ ولات حين مناص

فذهل طاركوينس من جسارة هردونيوس ولم يستطع ان يجيبهُ ببنت

شمة عبر انة سال الرسل الاجتماع مرة حرى ثم سعى في استمالة خدام هردوبوس اليو وأغرام بتخبئة اسلحة بين امتعة سيدهم ففعلوا وقابل بعد ذلك اللاتينيين وقال لهم ان هردوبوس قد كلمنا تكلة عن بغض وصفينة لانة رام الاقتران بابنتي فابيت مصاهرتة مع ذلك ما لنا ولهذا الكلام فالمهم المهم ايها اللاتينيون ان تنظروا الى وقـ ـة انفسكم وحريتكم وتمنعوا غدر هذا الخبيث الماكر الذي نصب لكم احبولة و بريد اهلاككم حبيعاً ليتسنى لة التسلط المطلق على سائر المدن اللاتينية وقد خبأ اسلحة بين امتعتو ليغدر بكم و بال مارية فرعب الحاضرون جداً وبادروا في الحال الى فحص القصبة وتحقيقها ولما وجدوا الاسلحة بين امتعتو كما ذكر الملك قاموا عليه وقتلوه وجددوا مع طاركو سس الاتحاد ورسموه قائد جيوشهم العام وحالفة ايضا في ذلك الهرنيون او الحسيون و بعض من الفولسكيين ثم حارب الفولسكيين الذين لم يحالفوهُ واستولى على مدينتهم وترك اسلابها غنيمة لعساكره ورجع الى صابيا وقاتل الصابيين وقهرهم وارتدَّ راجعاً الى رومية ودخلها باحتفال عظيم واحذ في هدم سآء المتعب والقبوات التي شرع بها جدهُ.

وكره الشرفآء اعمالة الوحشية وسئموا مظالمة الكثيرة فغادروا وطنهم والتجئوا الى غابي وهي مدينة في اللاتيوم على بعد اثني عشر ميلاً من رومية فالتقاهم سكانها بالترحاب واحلوهم عندهم محلاً عليًا و بادروا الى محاربة طاركويس انتصاراً لاولئك النخبة وقد مدت الحرب بين الفريقين سبعة اعوام واضرتهما ضرراً بليغاً ذ المعامع والغارات كانت متتابعة ومانعة الفلاحين من زرع اراضيهم فقلّت الحنطة في رومية وعلت اثمانها و باتت جميع الرومانيين في ضنك عظيم فضاجوا وطلبوا الى الملك بالحاح اما ان يعقد صلحاً مع الاعدآء او يعطيهم قوتهم حينئذٍ دبر طاركويس حيلة امليها عليه شراسة اخلاقه وخباثته وأتمها دنآءة ورداءة ابنه سكستس طاركوينس

الذي تظاهر انه مغتاظ من ابيه وخرج من المدينة مهرمًا ولجأ الى غابي ن كرمة الغابيون وقلدوه قيادة فرقة من جنودهم وكان سكستس يعبر بفرقته على راضي رومية ويرجع ظافرًا عدة ونظر الغابيون الى شجاعته واخلاصه لهم فاغتروا به وائتمنوه وجعلوه قائدًا عامًا لجيشهم فاستتب له الامر واصبح الآمر الناهي ثم ارسل عبدًا يسأل اباه عما يلزم ان يعمل فقاد طاركوينس العبد الى بستان واخذ يحطم بعصاه رؤوس سوق الخشخاش الطويلة وصرفه من غير ان يكلمه اما سكستس ففهم مغزى هذا الرمز وقتل رؤساء الغابيين وكبراءهم وفتح ابواب المدينة للرومانيين فدخلها طاركوينس منتصرًا ولم يؤذ اهلها بل عامل الجميع بالرفق والاحسان وملّك عليهم ابنه سكستس المذكور

واتت طاركوينس يومًا امرأة معها تسعة اسفار تريد بيعها بثمن فاحش جدًا فرفض الملك اشتراءها فذهبت وحرقت ثلثة منها ثم رجعت وطلبت الثمن الاول فطردوها باحتقار ووصفوها بمختلة الشعور فمضت وحرقت ثلثة كتب ايضًا وجاءت تطلب بالباقي ما طلبته اولاً ثمن التسعة فتعجب طاركوينس من فعلها ورام معرفة فحوى هذه الاسفار فدفعها الى العائفين ففحصوها وعرفوا انها كتب ساحرة كومية فنقد الملك للمرأة الثمن واخذ الكتب وحفظها باعتناء. ولما بني هيكل جوبيتير كابيتوليس وضعت فيه بمحل افرد لها لانها اعتبرت مقدسة ومشتملة على معرفة طالع الرومانيين واسرار المستقبل

واتم طاركوينس بناء هيكل جوبيتير على رابية طاربيس التي دعيت حينئذٍ كابيتوليس لانه بينما الفعلة كانت تحفر في الارض وجدت راس انسان (في اللاتينية كابوت) غائصًا بالدم كانه مذبوح حديثًا فاعلن المصريون ان هذا الامر رمز يشير الى كون رومية ستصبح راس او عاصمة العالم.

وفشا الطاعون في رومية وظهرت علامات مخيفة رعبت طاركوينس وحملته على ارسال ابنيه مع يونيوس بروتوس الى بلاد اليونان ليستشيروا وحي دلفي عن اسباب الوباء والوسائل اللازمة لازالته فقدم ابنا الملك هدايا فاخرة وقرابين ثمينة للاله ابولون وقدم بروتوس عصا ضخمة مجوفة ملأها من داخل بالذهب الابريز كناية عن عقله وسجاياه الحسنة المستترة تحت برقع البلاهة ولم يعلم رفيقاه ما حوت العصا فاستغربا في الضحك سخرية منه ثم اوحى اليهم الاله ما اوحى واخبرهم انه سيطرأ على الحكومة تغيير وسيكون في رومية ملك جديد وان الرجل الذي سيتسلط على الرومانيين هو واحد من الحاضرين الذي يسبق صاحبيه الى تقبيل امه فادرك بروتوس مغزى الوحي وسقط على الارض وقبلها لانها ام كل حي ولما رجعوا الى رومية رأوا الحرب منتشبة بين الرومانيين والرتيليين وكان الملك طاركوينس قد زحف بجيشه لمحاصرة أرديا ولم يكن القتال حينئذ عنيفاً بل كانت القواد تقضي اكثر الاوقات باللهو والمسرات وحدث يوماً ان سكستس طاركوينس ادب مادبة دعا اليها اخويه وقريبه كولاتينوس واخذ الداعي والمدعوون يتكلمون عن النساء وفضلهن وكان كلٌّ يعظم شأن امرأته ويفضلها على سواها حتى افضى بهم الامر الى اللجاج فعمدوا الى امتطاء صهوات الخيل والذهاب توّاً الى منازلهم ليبصروا ما تعمل نساؤهم فاتوا اولاً رومية ووجدوا حلائل الطاركوينيين مشتغلات بالمرح والافراح ومنهمكات في احياء ليلتهن مع اترابهن وارتشاف كؤوس الصهباء والانشراح ثم مضوا الى كولاسيا فرأوا لوكريسيا امرأة كولاتينوس قائمة مع خادماتها بغزل الصوف والاشغال وكانت لوكريسيا هذه بديعة الحسن والجمال فافتتن سكستس بها ونبتة حبها

وبعد بضعة ايام رجع سكستس سرّاً الى كولاسيا ونزل في بيت نسيبه كولاتينوس فالتقته لوكريسيا بالترحاب واكرمته غاية الاكرام وافردت له

غرفة لينام فيها ولما ادلهم الليل وقد رقد كل من في المنزل انسلّ سكستس من غرفته ودخل خدر لوكريسيا مجرّداً حسامه ودنا من سريرها ووضع يده اليسرى على صدرها وانبهها وقال لها لوكريسيا انا سكستس طاركوبس اياك والصراخ والا قتلتك بحد هذا القرضاب ثم طفق يبث لها شكواه و يظهر غرامه وجواه متلطفاً تارة ومتهدداً اخرى وهي تدفعه عنها وتزداد منه نفوراً عند ذلك قال لها انه عازم على قتلها وقتل احد عبيدها واتهامها بالزنى معه واذاعة فجورها بين الملا فخافت لوكريسيا من هذه التهم وان تكن باطلة واشفقت على صيتها وطهارتها وأنالت سكستس كرهاً ما كان يتمناه

وفي الغد نهض سكستس باكراً ورجع الى المعسكر اما لوكريسيا فلبست لباس الحداد ووضعت تحت ثوبها مدية وكتبت الى زوجها وابيها لوكريسيوس ان يحضرا بالعجل فاتيا حالاً مع بروتوس والاب فالريوس ولما استقرّ بهم القرار حدثتهم بحديثها وحثتهم على الانتقام من ذلك الوحش الضاري ثم استلت مديتها وطعنت بها صدرها وسقطت على الارض لا حراك لها فعلا صراخ ونواح زوجها وابيها وبكاها كل من حضر وتقدم بروتوس واخذ المدية وهي تقطر دماً ورفعها قائلاً اقسم بالالهة اني آخذ ثار لوكريسيا واني ابيد طاركوبس ونسله العاشق الشرير ودفع المدية الى الباقين الذين اقسموا كذلك ثم اخبر بروتوس اصحابه بسبب تباله وحرّضهم الا يضيعوا الوقت بالبكاء على لوكريسيا وان يتصرفوا في الامر كابطال روما بين ساعين فقط للانتقام واشار عليهم ان يوصدوا ابواب المدينة ويضعوا عليها حراساً امناء كيلا يصل خبر مكيدتهم الى الملك فاجروا ما ارتأوه بسرعة عظيمة لان لوكريسيوس كان حاكم رومية من قبل طاركوبس وقادراً ان يفعل فيها ما يشاء بلا مانع او معارض

وجمع بروتوس الشعب واراه جثة لوكريسيا واخبره بما حدث وبسبب تباله . ثم خطب خطاباً طويلاً اظهر فيه رداءة طاركوبس

وطلبة وختم كلامة بوجوب خلعو وطردهِ من رومية لاراحة الناس منه ومن اولاده الفاجر بن العتاة هاج القوم جداً عند سماعهم ذلك ورضوا بما ارتاه روتوس وصدقوا على امر المجلس بهذا الشان

وابطل الرومانيون الحكومة الملكية ونادوا بالحكومة الجمهورية وبلغ الخبر الجيش الذي كان خارج المدينة يحارب الرتليين فسر به وانضم الى المجلس ورجع الى رومية بعد ما عقد الصلح مع سكان ارديا لخمسة عشر عاماً اما طاركوينس فذهب مع بنيهِ الى بلاد أتروريا وطن عائلة امه آملاً وجود اصدقاء ونصراء يعينونهُ على ابادة خصومهِ واسترجاع ما فقدهُ

الباب الثاني

من ابتداء الحكومة الجمهورية سنة ٥٠٩ الى حين تجديد بناء رومية سنة ٣٨٨ ق. م بعد ما حرقها الغاليون

او

من سنة ٢٤٤ الى سنة ٣٦٥ ب ر

الفصل الاول

في القنصلية الاولى

وانتخب الرومانيون لرئاسة الجمهورية بروتوس وكولاتينس زوج

لوكربسيا ودعوهما فصليين ومنحوهما حق التسلط على الشعب وادارة الاعمال كلها كما كانت تفعل الملوك الا ان اتخابهما كان لسنة واحدة

وقدم القصلان ذبائح وقرابين للآلهة كفارة عن آثامها وحلفا امام الشعب يميناً الا يدعا طاركوسس ولا اولاده ولا احداً من الناس يملك على رومية فيما بعد وهكذا حلف الشعب اولاً بأولاً . ثم اختار القوم رئيساً للكهنة وانصرف الجميع مسرورين

وكان الطاركوسيون لا يألون جهداً في تهييج اعداء رومية عليها واغرائهم بقتالها وكانوا يطوفون المدن والقرى لهذه الغاية واقام طاركويس النبيل في طاركوني واستمال اهلها بخداعه وجعلهم يرسلون رسلاً الى مجلس رومية يعرضون له وجوب مراجعة الملك عن قبل طرده ويهددون الرومانيين ان أبوا اجابة ما يشتهون بان الامم المجاورة ستنهض يداً واحدة لمحاربتهم وتكرههم على الاذعان وعرف الاشراف حيث ورداءة طاركويس وما وراء طلبهم من الاخطار العظيمة فردوا الرسل خائبين لانهم لم يخشوا قتالاً او وعيداً بل جهدوا في تقوية سلطتهم وتوطيد الجمهورية

وكان اكثر الشبان الشرفاء في عهد الملك السابق قد اعتادوا اللهو والمسرات وارتكاب الفواحش لا يحسبون للعواقب حساباً ولا يخافون لرفعة شأنهم عقاباً وكانوا جميعهم مولعين بزخرفة الملابس ونفقة الاجتماعات والاحتفالات الملوكية فنظروا الى سلطة الحكومة الجديدة وعدلها وقساوة شرائعها نظرة البأس والاحتقار وباتوا يأسفون على ايامهم وافراحهم المدهشة ويتمنون عود طاركويس وجوره لتعود اليهم اوقات الصفو والهناء ورأى اولاد الملك تلك الامور فضوا امكان استخدام هؤلاء الشبان لبس مآربهم فسعوا ولا سيما في استرجاع امتعتهم واملاكهم وجعلوا اهل طاركوني يرسلون لهذه الغاية رسلاً الى رومية واعطوهم اوامر سرية لاثارة الفتن وقتل القنصلين ان امكنهم فيها

ونال الرسل ما طلبوهُ على رغم بروتوس لان كولاتيس رضي مع الشعب بانالهم سؤلهم وبينما القوم كانوا منهمكين في ارجاع امتعة الملك وبيع املاكه قدر الرسل المذكورون على اثارة الفتنة واغرآء بعض فتيان من جملتهم ابنا بروتوس بقتل القنصلين وضم هولاء الفتيان على بذل النفوس توصلاً الى بغيتهم وحلفوا يميناً بربرية وهي كما زعموا عظيمة وذلك انهم اتوا برجل وذبحوهُ وشربوا من دمهِ وأقسموا على الثبات والتعاون وكانوا يجتمعون في محل للمذكرة ثم كتبوا كتباً الى الملك المنفي وأعطوها للرسل غير ان احد عبيدهم عرف مكيدتهم واطلع عليها فاليريوس الذي سعى مع اخيهِ واصدقائهِ بتخليص العصبة فتيسر له الحصول على اوراق وكتب هولاء الماكرين والقبض عليهم جميعاً

وفي اليوم التالي أحضر الاسرآء الى محل الاجتماع وجلس القنصلان امام الشعب لينظرا في دعواهم فنادى بروتوس اولاً ابنيهِ وتلا الاوراق التي كتباها الى طاركوينس وامرهما بصوت جهير ان يجيبا عن ذلك ويتبرأا من هذه التهم البينة ان امكنهما الاحتجاج فاصفرَّ الفتيان وتلعثما وبكيا حتى كادا يشرقان بالدموع ورأت الآبآء اعضاء المجلس بكآءهم وعبراتهما المتساقطة من جفونهما كالديمة المدرار فاشفقت عليهما وودت خلاصهما ولو بالنفي من المدينة وترك الديار وبكى كولاتيس ايضاً اما بروتوس فنهض ودعا الشرط وقال لهم خذوهما وعملوا باجلهما فقبض عليهما الشرط وبعد ان جلدوهما ضربوا عنقيهما وكان بروتوس ينظر الى كل ذلك بقلب ثابت ووجه عبوس ولما شرب ابناهُ كاس الحمام وجرعا صريعين مضى الى منزلهِ تاركاً لرفيقهِ النظر في دعوى الباقين

وكان كولاتيس يرغب في خلاص المذنبين الباقين لانهم اقرباؤُهُ فسمح لهم بيوم يستعدون فيهِ للمدافعة عن انفسهم وامر ان يسلم اليهم العبد الذي وشى بهم فعارضهُ فاليريوس والشعب ولم يرضَ احدٌ سواه بتسليمهِ

واستفتى الجميع بروتوس في هذا الامر فاجاب اني قد فعلت ما فعلته بموجب حقوقي الابوية واما على الشعب الآن ان يحكم على هؤلاء المذنبين حينئذٍ اصدر الجميع أمراً بقتلهم كلهم ما خلا الرجال الذين طردوا من المدينة وحرر العبد الذي كشف المكيدة وأعطي جائزة على ذلك خمسة وعشرين الف فضة نحاسية ، نحو ثمانين ليرة انكليزية ونصف . ثم اعطى المجلس امر ردّ املاك طاركوينيس عليه وهدم قصره ووزع عقاراته على الوطنيين الفقراء

وقويت شوكة بروتوس بعد هذه المساواة في حكمه على بنيه وتوطدت حكومته لما ابدى من همة والثبات . وجمع عليه ان كولانيس فاحتقره الرومانيون ولاموا مشوكه من الضعف والجبن وظنوه خائناً لكونه قريب الطاركوينيين وكان بروتوس بعض رفيقه ما توجه الى الملك السابق اوساطها في مسرب ولم يضاع وعم هذه الفرصة وكلم الشعب قائلاً ان الوطن لو عرفتم طبع كل من القنصلين عند انتخابهما واقدمتم على اختيار رجلين متوافقين في الطبع . لا ابدل لكانت حكومتكم جديدة بلا عيب غير انه يوجد بيني وبين رفيقي فرق عظيم كالفرق بين بغض الظلم ومحبة الصالحين لان جنوح كولاتينس الى فرقة الاشرار يجعله يعمل كل ما هو آيل لارجاعهم وتروني سفكت دم بنيّ حباً بحريتكم حين كان كولاتينس جاهداً في رغبة حكمكم وخون منه خلاف ذلك وهو الذي قد سعى في ردّ املاك الخائنين واجتهد في خلاص المذنبين فيا كولاتينس كيف عفو عنك وانت الذي لم يعف عن سفك دم وبذلته بين ملك رجل حاضر معنا ولكن فتك عاشب مع عدونا ليس حيث تود وفية على الوطن وترغب في ارداء لاي دفعة عنيه وشاط وسائر عنيه اعلمك بك معزول عن منصبك وانتم ايها الرومانيون ستشعرون فرقاً للمصادقة على ما قيل ولكم خيار في انتخاب كولاتينس وبروتوس ولكنكم لا تقدرون على انتخابهما معاً

واراد كولاتينس ان يجيب رفيقه ويعزّ ذاته فلم يستطع لان هيجان الشعب كان عظيماً فرضخ لما امر به وعدل عن منصبه ومضى الى مدينة لافينيوم وسكن فيها

وانتخب الجمهور قنصلاً ورفيقاً لبروتوس بوبليوس فاليريوس وكان بوبليوس هذا مشهوراً بمروءته وحذقه وفصاحته يحب الزهد والقناعة ويتمسك في كل الامور بسنن الحكم المنصف وعفا القنصلان عن الذين حازبوا طاركوينس بشرط ان يرجعوا الى المدينة لدى عشرين يوماً فارتدّ الى رومية عددٌ عديد من كبرائها

وجمع الملك المنفي من كان معه الجنود التي جهزها اتيون واهل طاركوينيا واغار على اراضي رومية فسار القنصلان بالجيوش الرومانية وكان بروتوس يقود فرقة الفرسان وفاليريوس فرقة المشاة وابصر احد اولاد طاركوينس القنصل بروتوس يتقدم فرقته محاطاً بالجند والاعوان فصرخ ها هوذا عدونا الالد الذي طردنا من وطننا واستلب السلطنة منا ثم نخس جواده وهجم على بروتوس فبادر اليه هذا بنفس قوية من الحنق وطعن كل منهما قرينه طعنة ذهبت بحياته فخرّا ميتين يتخبطان بدماهما وبعد ذلك حملت العساكر على العسكر واشتد القتال بين الفريقين ودام الى المساء ولم يعلم ايهما الظافر حتى شاع خبر انه سمع صوت من غابة هناك يعلن النصر للرومانيين فرعب الاعداء من تلك الاشاعة وتركوا معسكرهم وولوا منهزمين

وبكى الجميع بروتوس وحزنوا عليه لانه هو البطل الذي سفك دم ابنيه وبذل مهجته فدى الوطن وحريته وبعثت جثته الى رومية ودُفنت في الفوروم واثنى عليه فاليريوس وهو اول روماني اثنى على ميت وحدّت النساء عاماً كاملاً حزناً على من انتصر للجمهور وحمى عرضهنّ من القوم الطغام

ووضع فاليريوس قوانين عادلة وخفف سلطة القناصل ومع الجمهور

حقوقاً جديدة فدعاهُ الرومانيون بوبليكولا اي المحبوب من الشعب وانتخبوا له رفيقاً بدلاً من بروتوس لوكريسيوس با لوكريسيا الذي مات بعد انتخابهِ بايام قليلة فانتقوا لهذا المنصب العالي أُوراسيوس بلفيلوس

الفصل الثاني

وفي سنة ٥٠٦ ق. م اراد بورسينا ملك مدينة كلوسيوم في بلاد أترور يا الانتصار لطاركويس فزحف الى رومية بجيش جرّار وحاصر قلعة جانكول واستولى عليها وأخرج منها الرومانيين الذين رجعوا الى الوراء. ليدافعوا عن الجسر فتأثرهم بورسينا ونشبت الحرب بين الفريقين وقاتل الرومانيون في ذلك اليوم قتال الابطال وصبروا على الاهوال الى ان جرح قائدان من قوادهم العظام فذعروا وولوا منهزمين وكاد الاتروريون يدخلون المدينة لولا شجاعة أُوراتيوس كوكلس الذي ردّ وحدهُ هجمات الاعداء. وتمكّن المتصلين بمعاولهم من هدم الجسر فوقع بالنهر وهو مدجج بالسلاح وكانت النبال تسقط عليهِ كالمطر الاّ انهُ نجا منها سابحاً وعمل له الشعب تمثالاً نحاسياً وُضع في هيكل فولكانس تذكاراً لبسالتهِ وجهادهِ بحماية الجمهورية ومنحهُ اراضي كثيرة ودراهم وافرة جزاء لهُ على اعمالهِ هذه التي خلدها التاريخ

واشتدّ الجوع في المدينة ولما علم بورسينا بذلك أرسل يخبر الرومانيين انهُ يعطيهم قوتاً كافياً ان كانوا يقبلون بتمليك طاركويس عليهم فجاءوهُ ان الجوع اقل ضرراً من العبودية والظلم

وكان في رومية فتى شريف اسمه ميسيوس كوردوس فهذا لما رأى الحالة التعيسة التي آل امرهم اليها تزيا زي الاتروريين ووضع مدية تحت ثيابه وخرج من المدينة وعلى انه كان يتكلم جيداً اللغة الاترورية لم يجد مانعاً من دخوله الى معسكر الاعداء فانسل بين العساكر والقواد وتخلل الخيام الى ان وصل الى سرادق الملك فولجه وكان بورسينا في ذلك النهار جالساً مع وزيره يعرض الجيش فظن ميسيوس الوزير انه الملك فوثب عليه وطعنه طعنة كانت القاضية ثم هم بالهرب فامسكه الحاضرون اما بورسينا فتعجب من شجاعة هذا البطل الذي كانت تلوح عليه سمات الحنق والقهر لانه لم يقتل من كان متعمداً قتله وكانه اراد ان يقاص نفسه على خطاءه فوضع يده في النار التي اعدت لاهلاكه وكان ينظر اليها وهي تحترق من غير اظهار ألم او ضجر حينئذٍ تحول غضب الملك الى اندهال عظيم وخاف خوفاً شديداً لما اعلمه ميسيوس ان ثلث مئة فتى روماني قد تعاهدوا باقسام عظيمة ان يقتلوهُ فعفا عنه واطلقه بعد ما اعطاه المدية التي كان عازماً على ارداثه بها ثم عقد مجلساً للائتمار بالوسائل التي يلزم اتخاذها لصيانة نفسه من الاخطار المحيطة به وكان انه أروس يحب الرومانيين لبأسهم وجسارتهم فقال له ان احسن الوسائل الواقية هي ابرام صلح مع هذه الامة فانتصح الملك بهذا الكلام وكف عن الحرب والعدوان

وارسل الرومانيون الى بورسينا رهائن عشر بنات عذارى وعشرة صبيان من احسن العائلات وحدث انه بينما كانت اولئك البنات يغتسلن في النهر نظرت احداهنَّ المسماة كليليا الى رومية فشاقها منظرها وتذكرت وطنها فاخذت تسبح والبنات يتبعنها حتى وصلن جميعاً الى الضفة المقابلة ودخلن المدينة سالمات وشاع هذا الخبر حالاً وبلغ بورسينا فزاد تعجبه من جسارة الرومانيين واعتبارهِ لهم ولما رُدَّت البنات عليه أطلق كليليا ورفيقاتها قائلاً ان صدق الامة الرومانية هو خير كفيل للمحافظة على المعاهدة ثم

رحل الى بلاده تاركاً خيام عسكره مملوءة بالمؤونة والزاد

وقد روى بعض المؤرخين ان بورسينا قد استولى على رومية واذلها حتى انه منع اهلها من استعمال الحديد بغير اشغال الزراعة اما الرواية الاولى فحكاها تيتوس ليفيوس الذي دأبه مدح الرومانيين

وفي هذه الاعصر الخشنة لم يتقن الرومانيون او بالحري لم يعرفوا سوى فنيّ الزراعة والحرب وكانوا يتقوّتون بغلال حقولهم او بما كانوا ينهبونه في غزواتهم الامم المجاورة وغاراتهم عليها وكل الاعمال اليدوية ما خلا هذين الفنين كانت مجهولة في رومية او مخصوصة بالعبيد والغرباء لانهم كانوا جميعاً فلاحين وكان جميع الفلاحين عسكراً ولنا دليل على ذلك ما سنراهُ في هذا التاريخ من ان بعض مشاهير قوادهم الذين فتحوا المدائن وحازوا النصرات العظيمة كانوا يأتون بهم من حقولهم وهم يشتغلون بحرثها الى ساحات القتال ومواقف الضرب والطعان وكان العصاة يعوّدون اولادهم الاعمال المتعبة والعيشة الخشنة ليتقوى ابدانهم ويكونوا اقدر على احتمال اتعاب الحروب

ومن عوائد الرومانيين في ايام ملوكهم انهم كانوا يبيعون نصف الاراضي التي يغتنمونها قياماً بالنفقات اللازمة للحرب ويعطون النصف الباقي للفقراء او يؤجرونه لهم بأجرة طفيفة غير ان الآباء والشرفاء القابضين في ايام الجمهورية على عنان الاحكام اهملوا هذه العوائد الحسنة وشرعوا يبيعون لانفسهم ما يمكنهم بيعه من تلك الاراضي فازدادت ثروتهم وكثر دخلهم وقلت اموال العربية وحرم الجندي الذي خاطر بحياته لتوسيع نطاق بلاده قطعة ارض صغيرة يأخذها اجرة له وجزاء على بسالته

ولما كان الجندي غير مأجور على اتعابه وخدماته كان يحتاج احياناً الى استقراض مال من الشرفاء ورهن قطعة ارضه الصغيرة حتى اذا ما تكاثر الدين بسبب الرباء الفاحش بادر الدائن الى القبض عليه واستعباده

او بعده

وفي ذلك الحين أشفق المديونون على انفسهم من جور دائنيهم فعرضوا امرهم للمجلس وشكوا عسرهم متظلمين بقولهم انهم بعد ما ذاقوا غمرات الموت في محاربة الطاركوينيين والذب عن حرية عموم قد اصبحوا عبيداً لمواطنيهم فلم يجب المجلس نداهم ولم يصغ الى صوت شكواهم وكان اللاتينيون قد نهضوا سنة ٤٩٧ ق م لقتال الرومانيين انتصاراً لطاركوينس فابى حينئذٍ العوام ولا سيما المديونون التجند محتجين بانهم قد سئموا العبودة بخدمة موالٍ صعبين وقساة وانهم غير مجبرين على الدفاع عن وطن لا يملكون من ارضه قيد باع بل قد صمموا اذا لم يسامحوا بما عليهم من الديون ان يغادروا المدينة فراراً من ظلم دائنيهم

ورأى المجلس والشرفاء الاخطار المحيطة بهم من كل جانب فادركوا ضرورة تسليم زمام السياسة لرجل واحد يكون مطلق السلطة ليقمع دابر المفسدين ويمنع الشقاق ان يسري بين الوطنيين ويكون وسيلة الى التئامهم واجتماع كلمتهم في ازمنة الحرب والشدة فدعوا لهذا الامر طيطس لارتيوس احد القنصلين الحاليين ولقبوه بالدكتاتور

وكان لهذا الحاكم سلطة مطلقة على حياة واموال جميع الرومانيين وكان اذا مشى يتقدمه اربعة وعشرون شرطياً حاملين الفؤوس ما بحالة فكان في الاوقات العسرة جداً ومدة ستة اشهر فقط وعدل لارتيوس في حكامه واظهر ثباتاً عظيماً في اجرآته كلها حتى ذنب العصاة واخمد نار الفتنة واحصى الشعب حسب قوانين الملك سرفيوس طلس وجهز جنوداً قسمها الى ثلاث فرق وخرج لقتال اللاتينيين فاستظهر عليهم في الوقعات القليلة التي حدثت ثم هادنهم وانكفأ راجعاً الى رومية واستعفى من منصبه قبل انقضاء الاجل المسمى

وأغرى طاركوينس اللاتينيين سنة ٤٩٥ ق م بقتال الرومانيين

انصافهم بعدد عديد من الاصل والفرسان واغاروا على ارض الجمهورية
فزحف الدكتاتور بوستيموس لمحاربتهم وعسكر على رابية بالقرب من بحيرة
رجلّس واقام القصل فرجيوس على رابية حرى تجاهه واتى اللاتينيون
وعسكروا بين الرابيتين وأمر بوستيموس قائد الفرسان ان يذهب في الليل
سرًّا ويتحصن على رابية ثالثة واقعة في الجهة التي يرد منها المدد الى الاعدآء .
ثم هجم الرومانيون على جيوش اللاتينيين فاندفع هولآء اليهم بعزم ثابت
وأمل وطيد بالظفر لكونهم كثر عدداً منهم اما الرومانيون فلم يبالوا
بالاهوال ولم ترعهم كثرة الاعدآء . بل انقضوا عليهم انقضاض الصواعق
واقتحموا صفوفهم كالضراغم فهوا مع الرجال وجندلوا الفرسان والابطال
وانجلت تلك المعمعة عن قتل ابني طاركوبس واردآء كثير من قواد
الفريقين وأنصر اللاتينيون من سيوف خصومهم الموت الزؤام فاركنوا
الى الهزيمة ناجين بانفسهم وذهبت هذه الحرب حرب رجلس نسبة الى
البحيرة المذكورة آنفاً وهي شهيرة بالتاريخ لانها أضعفت اللاتينيين وقوضت
صرح مجدهم فذلوا وخضعوا لرومية وطردوا طاركوبس من بلادهم فذهب
هذا الملك وسكن بكومي ومات فيها

ودخل الدكتاتور الى المدينة سحبة عصبة محملاً بحزنه واجرى
العادة عمومية وبنى هيكلاً لكستور وبولكس نظيّ تروادة لانهما نظرا على
ما قيل راكبين فرسين ابيضين وخائضين عجاج الحرب لاعانة الرومانيين
وقد روى احد المؤرخين ان بوستيموس وارفقة نظروا في المعمعة فارسين
عظيمين كانهما من الجبابرة يتقدمان فرقة الفرسان ويلقيان الرعب في
قلوب الاعدآء وفي مسآء بعدما هزم اللاتينيون ظهر ذلك الفارسان
في رومية وبشرا الشعب بانتصار الرومانيين وتواريا عن الانظار فتاكد
القوم انهما كستور وبوليكس اللذان حضرا لنصرتهم

١

الفصل الثالث

وظن الشرفاء انهم امنوا بموت طاركوينس حدثان الدهر واصبحوا في غنى عن الشعب لذلك عادوا الى جورهم القديم في معاملة المديونين ناسين شرائع الانسانية والعدل الآمرة بالمعروف والاحسان فنال العوام من الضيم والعذاب ما زاد في فتق غيظهم وبينما كانوا ملتئمين في محل الاجتماع اقبل عليهم رجل مكبل بالسلاسل ورمى بنفسه بينهم مستجيرًا وكان هذا الرجل طويل القامة مهزولاً وثيابه كاسدة ولحية بالية وشعره شعث وطويلاً فعرفه الحاضرون لانهم رأوه مرارًا عديدة يخوض عجاج الحرب كالاسد الرئبال غير مبالٍ بالصوارم والموت الزؤام الا انهم جهلوا أمره وعجبوا من تحول حالته فقال لهم ذلك الشيخ يا قوم اني قد فقدت حريتي وكل ما املكه في سبيل الدفاع عن حرية الوطن وقد وقعت الآن في يد دائني القاسي الذي لا تاخذه شفقة عليَّ بل قد اودعني واتباعي السجن واسلمني الى عبيده ليوسعوني ضربًا ثم خلع ثيابه ورأى الجمهور ظهرهُ داميًا من الجلد وصدرهُ مخدشًا بضربات رماح الاعداء وضربات سيوفهم فلم يملك احدٌ عن البكاء بل علا ضجيج وزاد الغيظ وتراكض الشعب من كل جهة وهو يشتم الشرفاء . وبعضهم كان روح الثورة قد دبت في جميع الصدور الا ان القنصل سرفيوس قدر على ازالة هذه الفتنة وصرف المجتمعين واعدًا اياهم بمنع الدائنين عن اذية مديونيهم ومظالمهم الى ان يصدر مجلس امرًا بهذا الشأن

وبعد اعداء الرومانيين كالفولسكيين والصابيين انقسامهم وثورة

العوام فهاجموا مرارًا التجار منهم غير انهم كانوا يرتدون عنهم بالخيبة والفشل لان الشرفاء كانوا عند اقتراب عدو ودنو خطر منهم يتملقون الشعب ويعدونه وعودًا كاذبة ليجمعوه على الحرب والدفاع حتى اذا ما انجلى الخطب وانقشعت سحب الاخطار وبدا حسن سياستهم تكثوا عهودهم ونقضوا وعدهم وعادوا الى ما كانوا عليه من اهانة مديونيهم وظلمهم

اما الان (سنة ٤٩٣ ق م) وقد تفاقم الخطب وعظم المصاب وعرف العوام دهاء العظماء ومكرهم فاجتمعوا خارج المدينة وجاهروا بالعصيان ثم دخلوا الى رابية دعوها فيما بعد بالجبل المقدس وهي على بعد ثلثة ميال من رومية واقاموا عليها مدة سقط وبت فرجًا من الضيق وخلاصًا من العذاب

ورأى المجلس ما كان يجري حينئذ وخشي وقوع الحروب الاهلية وحدوث ما ينجم عن هذه الحروب من المضار فانفذ في الحال عشرة رسل ليرضوا القوم المتظلمين ويرجعوهم الى المدينة ولما وصل الرسل نهض احدهم وهو مينينوس واخبر الحاضرين بان المجلس قد قرّر الصفح عن ذنوبهم واعفاء المديونين المفلسين من ديونهم واطلاق سبيل من كان منهم مسجونًا وانه سيجارهم في وضع قانون جديد بشان القرض والاستقراض وحرضهم جميعًا على الخضوع للمجلس والسير بموجب احكامه مظهرًا ضرورة ذلك فشبّه المجلس بالمعدة التي تغذي الجسد من القوت الذي تاخذه في نفسها مقدمة لكل عضو منه الغذاء الذي يلائمه وحياة الجسد وقوته متوقفان على حياة المعدة ثم قال لهم الى مَ تنفرون الان ابها الرومانيون بانهم قد طردوكم من وطنكم وكيف يخامر فكركم هذا الفكر وهم يجيئون ذاتهم في معسكرنا ويسالونكم الان الرجوع الى مدينتهم ليلاقوكم فيها بالترحاب والاكرام

فسرّ الجمهور الحاضر من كلامه الا انه لم يرجع الى المدينة قبل ان

سمح له باقامة وكيلين عن الشعب ينتخبان منه في كل سنة ويكون لهما الحق في حماية المظلوم ونقض احكام المجلس متى رأياها غير عادلة فانقسمت الامة الرومانية الى حزبين متباينين احدهما حزب العوام المنقاد لآراء وسياسة وكيليه والآخر حزب الشرفاء التابع للمجلس والقنصلين

وجمع القنصل كومينيوس عسكر سنة ٤٩٢ وزحف لمحاربة الفولسكيين فكسرهم في واقعتين واستولى على مدينتين من مدنهم ثم تقدم لمحاصرة كوريولي عاصمة بلادهم فالتقاه الكوريوليون وصدوا جنوده عن تسور الاسوار وكادوا يفتكون به فتكاً ذريعاً لولا الفتى الشريف كايوس مارسيوس الذي بادر اليهم كالقسور واثخن فيهم بضرباته المتتابعة وهجمات اعوانه حرباً لا تبقي ولا تذر فارتدوا الى الوراء خاسرين وملك الرومانيون مدينتهم وضربوا عليهم الذلة وفي الغد جلس القنصل على سريره ودعا مرسيوس امام الجند واثنى على اعماله ثناء جميلاً ثم كلله باكليل الانتصار واعطاه عشر الاسلاب وجواداً مطهماً واذن له أن يختار من الاسرى عشرة عبيد فأبى هذا البطل الصنديد قبول ما قدم له ولم يأخذ سوى الحصان وعبد واحد اعتقه في الحال لانه كان صديقه ولقب مارسيوس في ذلك الحين بكوريولانس نسبة الى مدينة كوريولي التي استولى عليها بشجاعته وتدبيره وكان هذا الفتى جافي الخلق عنيداً لا يثنيه عما يروم خطر او وعيد وكان اذا خطر في باله امر يسعى لادراكه بهمة ونشاط مستسهلاً الصعب وباذلاً اذا اقتضت الحال النفس والنفيس فابغضه العوام لاخلاقه هذه وحملهم على كرهه لانه في المجاعة التي حدثت سنة ٤٩١ ق.م حارب الشرفاء مانعاً الفقراء ان يأخذوا مجاناً الحنطة المجلوبة من الخارج لاعالتهم وراغباً في احباط اعمال وكيلي الشعب وابطال سلطتهم لتبقى للشرفاء السيادة المطلقة فهاج العوام هيجاً عصبياً وطردوه من المدينة فخرج منها سنة ٤٩٠ ق.م حاقداً غضوباً ومصمماً على الانتقام وبعد ان مكث مدة في أرضيو ذهب الى

انتيوم سنة ٤٨٨ ق . م وهي مدينة كبيرة في بلاد الفولسيين ودخل منزل انبوس طلس قائد جيوشهم وجلس بالقرب من مسح الآلهة بدون معرفة احد لانه كان متنكراً ولما اتى طلس صاحب المنزل وحاطه مستعلماً عن امره راح اللثام واجابه بهذه الكلمات

انا كايوس مارسيوس الملقب بكوريولانس قد طردت من رومية لان الشعب كرهني طلاً والشرفاء لم يستطيعوا حمايتي لسبب جبنهم العظيم واليك قد اتيت الآن طالباً نصرتك للانتقام من اعدائي واعدائكم واسالك اذ كانت الحكومة لا ترضى عني ولا تقبلني خادماً لها ان تسلب بيدك حياة عدوك القديم القادر على اضرار بلادك اذا لم تاخذ بناصره او تعهد الى ارداته فعجب طلس من ساله وقال له لا تخف يا مرسيوس فقد امنت البلاد فيت بنا بالامان وانا لنقدرك حق قدرك وتعد وجودك بيننا نعمة كبرى وسنتمتع بخدماتك لان قائداً مثلك شهيراً يجود به كل اكرام ثم خلا معه للبحث عن الوسائل اللازمة لتجديد الحرب مع الرومانيين

وكان الرومانيون يستعدون وقتئذٍ لاجراء العاب عمومية عقيب اهداء هيكل لجوبيتر فهرع الى رومية لتتفرج على تلك الالعاب جموع كثيرة من الامم المجاورة لا سيما من الفولسيين الذين انتشروا في جميع احياء المدينة وضواحيها وكان عدد المتفرجين وافراً جداً حتى ان القنصليين خشيا من حدوث حادث يعبث براحة الاهلين فاغتنم طلس وكوريولانس هذه الفرصة واذاعا ان الفولسيين عازمون على حرق المدينة فصدق الرومانيون هذا الخبر واصدر مجلس امراً يحظر عليهم البقاء في رومية ويامرهم بالرحيل حالاً فانصرفوا جميعاً الى مدنهم صاغرين ولما علم طلس بذلك قال لهم أتصبرون يا قوم على هذه الاهانة ولا تشكون وتنظرون الى صلف الرومانيين وانعام الحكومة ولا تغضبون فقد نقضوا العهود ونكثوا الوعود وجاهروا بالعدوان غير مبالين ولعمري انهم سيشنون الغارة علينا ويغزون

ارضنا ويتركون ديارنا طلولاً بائدة ينعق فيها البوم والرخم فاستعدوا اذاً سلاحكم بهذا الانصال واتكلوا على كور بولانس الفارس المغوار الذي شهدتم وقائعه واختبرتم بسالته لانه قد لجأ الينا الآن لينتصر لنا من امته التي لم تقدره حق قدره ثم تراجع مقدمة ثم دعا كور بولانس فتقدم هذا امام الجمهور وحدثهم بحديثه واعرب لهم عن رغبته في اخذ الثار وحثهم على القتال بعبارات حماسية وحجج قوية الى ان ثارت الحمية بالجميع وسرت فيهم روح الانتقام وعولوا على حرب الاعداء الا انهم ارسلوا بادئ بدء رسلاً الى رومية يسألون مجلسها ردّ الاراضي التي اخذها الرومانيون في غاراتهم السابقة على الفولسيين ويعيدوا لهم الاجارة معهم لئلا ينشب القتال ويكونوا هم المسؤولين لانهم رفضوا الصلح والتسوية حسب امر العدل والانصاف فاجابهم المجلس بكلام وجيز قائلاً ان الخوف لا يحمل الرومانيين على تسليم ما ملكوهُ بقوتهم وبطشهم وانه اذا كان الفولسيون يبتدرون السلاح اولاً فالرومانيون لا يسبقونهم بتةً الى تركه ولما رجعت الرسل حمل طلس على اللاتينيين ليمنعهم من امداد الرومانيين واغار كور بولانس على اراضي رومية فاسر من رجالها عدداً عديداً لانهم كانوا متفرقين في الحقول غير مستعدين للقتال واستاق غنماً وبقراً واخذ غنيمة وافرة وانكشف للناس طلس ظافراً غانماً وانتصر الفولسيون انتصاره فاقبلوا على التجند آملين الكسب والنصر تحت لواء قائد شهير شجاع وعاد كور بولانس الى ساحة الضرب والطعان واستولى على عدة مدن رومانية ولاتينية ثم زحف الى رومية وحاصرها ولما نظر الشعب تقدمه وكثرة صرائه ورأى جيوشه في تلك البطاح تتموج كالبحر الزاخر رعب وخارت قواهُ واقبل الى الفوروم يستجير رؤسائه ويصب اليهم بالحاح ان يمضوا امر نفي كور بولانس ويسألوهُ كف العدوان فائتمر المجلس مليًا وارسل اليه رسلاً يستعطفونه ويعرضون له رغبة الرومانيين في السلام وندمهم على ما جرى فردهم كور بولانس خائبين

لانه طلب لابرام الصلح شروطاً قاسية لا يمكن الشعب الروماني قبولها فارسل اليه المجلس رسلاً آخرين من اصدقائه واقربائه فلم يحفل بهم ولم يصغ اليهم بل صرفهم بالخيبة والفشل كالاولين فضاق الجميع ذرعاً وبعثوا اليه بالكهنة لابسين ملابس الاحتفالية ليسترضوهُ ويحملوهُ على تلطيف الشروط فلم يستطع هولاء ايضاً تغيير شيء مما صمم عليه ولم يكن حظهم منه باسعد من حظ السابقين حينئذٍ قامت فاتوريا امه وفولومنيا امرأته واخذتا ابنيه وخرجتا من المدينة مع عدة نساء شريفات وتوجهن جميعاً الى معسكر الفولسكيين وحينما ابصر كوريولانس امه وامرأته باكيتين تسألانه السلام وصيانة بلاده من الخراب بعبارات تفتت الاكباد حن وبكى وقال وقال لامه يا اماه قد غلبتني وانسيتني بكلامك اساءة وطني اليّ وقد خلصت رومية بعطفك هذا الا انك اهلكت ابنك وفي الغد جمع جنوده ورحل بهم الى ارض الفولسكيين حيث مات قتلاً كمجرم خائن لانه ارتدّ عن رومية بعد ما كاد يستولي عليها وقال ليفيوس ان الفولسكيين لم يقتلوهُ بل عاش بينهم زمناً طويلاً بالحزن والكدر لانه اضاع حياته بلا فائدة او لانه بذل جهدهُ في اذلال امته مع انه كان قادراً على نفعها اكثر من غيره

الفصل الرابع

ومرت على رومية بعد حرب كوريولانس مدة ثلثين سنة لم يسمع فيها سوى صليل السلاح وصهيل الجياد في قتال الامم المجاورة لا سيما الفولسكيين والاكويين والتيبين والصابيين ولم يرَ في اثنائها ايام مهادنة هولاء الاعداء

سوى اضطراب داخلي ناشيء عن نزاع وكلاء الشعب الدائم للشرفاء وطمعهم في توسيع نطاق سلطتهم وتخفيض سيادة الفضلاء وثروتهم وكانوا يتدرعون الى نيل ما يتخوفونه بوسائل تستميل الجمهور من ذلك القانون المعتاري الذي اشتدت لاجله خصومات بين الكبراء والعوام حتى انه في الحرب التي حدثت سنة ٤٧٠ قتل القنصل ابيوس كلوديوس عُشر عساكره لانهم رفضوا القتال وولوا منهزمين ومآل هذا القانون توزيع الاراضي المقتسمة بين الفقراء اما القانون الترنتيوسي فكان عادلاً جداً لان مآله منع الشرفاء الحاكمين عن النظر في الدعاوي كما تقتضي اميالهم واهواؤهم واجبارهم على حسم المشاكل بموجب دستور يسنه رجال حكماء ينتخبهم الشعب لهذه الغاية

واغار الاكويون سنة ٤٥٧ ق.م على اراضي امة حليفة الرومانيين ونهبوا منها ما امكنهم نهبه ثم ارتدوا وعسكروا على بعد اثني عشر ميلاً من رومية فارسل اليهم المجلس ثلثة سفراء يشكون من فعلهم ويرغبون اليهم ردّ ما اخذوهُ وكان قائد هذه الجنود جالساً حينئذٍ تحت شجرة يستظل بها فلم يجب السفراء عما طلبوه بل قال لهم سلوا هذه الشجرة ما تريدونهُ لان لي شغلاً شاغلاً يمنعني عن اجابتكم ولما رجعت السفراء الى رومية وعلم المجلس ما حدث وجه احد القنصلين لمحاربتهم وبعث القنصل الآخر ليغزو ويحرب بلاد الاكويين ونهض الصابيون ايضاً في ذلك الحين لقتال رومية فالتقاهم القنصل نوتيوس وكسرهم ثم هجم على المدن الصابية ونهبها اما القنصل منوسيوس فلم يستطع رد الاكويين الذين لما رأوا ضعفه بادروا اليه وحصروهُ في معسكره آملين ان الجوع يكرهه على التسليم وبعد الخبر عمد المجلس الى اقامة رجلٍ شريف يدعى سنسناتس دكتاتوراً وارسل اليه رسلاً يخبرونه بذلك فلقي الرسل سنسناتس يحرث ارضه بيده وكان العرق اذ ذاك مكللاً جبهته من عظم التعب وحينما علم هذا الشيخ النشيط ما طرأ

على وطنه واعتقاد الجمهور عليه بدليل انتخابه لهذا المنصب الخطير اسرع الى رومية وجهز من رجالها جيشاً كافياً وخرج منها في الحال واغار على الاعداء فنكل بهم واسر من بقي منهم في قيد الحياة وبعد ان جعلهم يمرون تحت النير دلالة على العبودية خلى سبيلهم جميعاً ما خلا قائدهم وعشرة رجال اقام ليمشوا امامه عند دخوله المدينة واحتفاله بنصرته ثم ارتد الى رومية ودخلها ظافراً غانماً واستعفى من منصبه الذي تقلده ستة عشر يوماً فقط ورجع الى بستانه ليحرثه ويعتني به راضياً بفقره وعيشته الخشنة ومؤثراً حياته هذه على السلطة والراحة فاذا نظرنا الى صنع الرومانيين واقتفائهم ونموا شأنهم وصبرهم على الاهوال في ساحات القتال ورغبتهم برفع شأن بلادهم لا نعجب من ارتقائهم معارج الفلاح وتسلطهم على ممالك عديدة

وفي السنة التالية تمكن العوام من زيادة عدد وكلائهم فجعلوهم عشرة ينتخبونهم كل عام كما كانوا ينتخبون الوكيلين الا انهم لم يسمحوا لاحد ان يتقلد هذه الوظيفة سنتين على التوالي

وفي سنة ٤٥١ ق م رضي الشعب بالقانون الترنتيلي المشار اليه آنفاً وارسل الى بلاد اليونان سفراء ليدرسوا شرائعها القانونية ويستخرجوا منها ما رأوه موافقاً للجمهورية الرومانية ولما رجع هؤلاء السفراء قام الشعب باتفاق الآراء عشرة ولاة او دسمبير [illegible] مقام القنصلين والوكلاء الذين انقطعت وظائفهم في هذا العام ووضعوا القوانين اللازمة للامة فعدل الدسمبير بادئ بدء ووضعوا شرائع عرفت بشرائع الاثني عشر لوحاً لانها كتبت على اثني عشر لوحاً نحاسياً وهذه [illegible] استقبل لتنظيم بعض عوائد وطباع هذا الشعب الشهير

اللوح الاول

في الدعاوي

المادة الاولى — اذا دعيت الى دار القضاء فاذهب حالاً مع خصمك

المادة الثانية — اذا ابى خصمك الحضور فللمدعي ان يُشهد عليه ثم يمسكك ويحضره جبراً

المادة الثالثة — اذا اراد خصمك الفرار فيمكنك القبض عليه

المادة الرابعة — اذا كان خصمك مريضاً او شيخاً عاجزاً فيلزم ان تحضره في مركبة وان لم يكن الامر فلست مجبراً على تقديم مركبة

المادة الخامسة — اذا قدم خصمك كفيلاً فاتركه حالاً

المادة السادسة — ان كفيل الغني لا يكون الا غنياً اما كفيل الفقير فمقبول من اي كان

المادة السابعة — على المدعي ان يعرض الدعوى حسب اتفاق الخصوم

المادة الثامنة — اذا لم يكن وفاق بين الفريقين فعلى الحاكم ان يسمع الدعوى من طلوع الشمس الى الظهر بحضور الخصمين

المادة التاسعة — ان الحكم بالدعوى بعد الظهر يكون بعد الظهر بحضور الخصمين

المادة العاشرة — لا تجري ولا تفصل دعوى بعد غروب الشمس

المادة الحادية عشرة — اذا ... على ذمة حكم بحضور الدعوى فيقدمون كفيلين كفالة حضورهم ومن تغيب يغرم بدفع مقدار من المال يقدر بتغيبه عن ...

الحضور مانع كمرض او ابتلاء بنذر او اشغال عمومية فتؤجل رؤية الدعوى الى الغد

المادة الثانية عشرة · من لم يمكنه احضار شهود يشهدون بصحة دعواه فليذهب الى امام منزل خصمه ويعلن ما يدّعيه بصراخ وجلبة

اللوح الثاني

في السرقات

المادة الاولى من يقتل لصاً يدهمهُ ليلاً لا يعاقب على قتلهِ

المادة الثانية اذا قبض على لص وهو يسرق في النهار يجلد ويمسي عبد الرجل الذي نوى سلب امتعتهِ واذا كان هذا اللص عبداً يجلد ويطرح على راسهِ من قمة الكابيتولينس اما اذا كان ولداً قاصراً فيعاقب حسبما يرتئي الحاكم ويعوض الرجل المسروق مما فقدهُ

المادة الثالثة · من يقتل لصاً قد اشهر سلاحاً لا يعاقب على قتلهِ

المادة الرابعة · اذ فتش منزل ووجد فيهِ امتعة مسروقة يقاص صاحبهُ حالاً كلص ارتكب السرقة علناً

المادة الخامسة من يسرق حبة يدفع ثمن ما يسرقهُ مضاعفاً

المادة السادسة من يعتدِ على غيرهِ ويقطع اشجارهُ يدفع ٢٥ قطعة نحاسية عن كل شجرة يقطعها

المادة السابعة · من يأتِ بستان غيرهِ خفيةً ويدوس زرعهُ او يحصدهُ

يحرق في ذلك المكان ويكون قتله بمثابة ذبيحة تقدم لسيرس إلهة الزراعة ولكن اذا كان الجاني ولدًا قاصرًا يقاص بما يرتئيه الحاكم مناسبًا ويغرم بدفع ثمن ما اتلفه مضاعفًا

المادة الثامنة — اذا عفا الرجل المسروق منه شيء عن السارق او تواففا يعاف اللص من كل عقاب.

المادة التاسعة. — لا يعتبر الزمان على الاطلاق حقًّا لملك الامتعة المسلوبة ولا يحق لغريب ان يملك مال روماني وطني لسبب طول مدة استيلائه عليه

المادة العاشرة — اذا خان المؤتمن وتصرّف بالأمانة يدفع قيمتها مضاعفة

المادة الحادية عشرة — من وجد مالهُ عند رجل قد استولى عليه بخيانة فليشكُ امرهُ الى القاضي الذي يقيم حكمًا لتحقيق الدعوى ويغرم المالك غير الشرعي بدفع ضعف قيمة ما اتلفه من ذلك المال

المادة الثانية عشرة. — اذا سرق عبد بامر مولاه شيئًا خفية او اتلفه يسلم العبد الى الرجل المسروق منه كتعويض عن ما خسرهُ

اللوح الثالث

في القرض والاستقراض وحقوق الدائن على المديون

المادة الاولى — من يأخذ ربا اكثر من واحد بالمائة يغرم بدفع قيمة

ما الفرصة ربع مرار

المادة الثانية — من يقر بدين ويحكم عليه يمهل ثلثين يوماً بموجبه واذا لم يستطع بعد ذلك الايفاء يحضر لدى القاضي

المادة الثالثة — اذا لم يوف المديون دينه ولم يجد كفيلاً يمكن الدائن ان يجيء به الى منزله ويقيده بسلسلة حديدية لا يزيد وزنها عن الخمسة عشر رطلاً اورويا

المادة الرابعة — اذا كان المديون مسجوناً عنده ولم يقدر ان ينفق من ماله يقدم له الدائن طعمة

المادة الخامسة — يحبس الدائن المديون ستين يوماً ثم يعرضه في السوق ثلثة ايام معلناً قيمة دينه

المادة السادسة — اذا كان رجل مديوناً لكثيرين يقطع جسده في اليوم السادس من عرضه في السوق قطعاً يقسمها الدائنون او يباع لغرباء ان كان وراء نهر التيبر

اللوح الرابع

في حقوق الآباء على البنين

المادة الاولى — للاب حق ان يربي ويقتل ويبيع بنيه الشرعيين متى اراد

المادة الثانية — لا سلطة للأب على ولده اذا باعه ثلث مرار

المادة الثالثة — اذا ولد لرجل ولد مشوه فليقتله حالاً

المادة الرابعة — على الوالد ان يقبل ابنه متى اعترف واحتج واذا كان

الاب قد اهمل تربيته ولم يعلمه مهنة فلا يجبر على اعالته

المادة الخامسة — الابن الزاني غير مجبر أن يشتغل لاعالة ابيه

اللوح الخامس

في الميراث وما يتعلق به

المادة الاولى — اذا مات رجلٌ عن اولاد توزع تركته سهم واذا كان اولاده قاصرين يوكل أمرهم الى الوصي الذي عينه

المادة الثانية — اذا مات رجلٌ ولم يكن له عقب ولم يوصِ بماله لاحد يرثه اقرب انسبائه

المادة الثالثة — اذا مات عبد معتق ولم يكن له اولاد يرثه مولاهُ او ذووهُ

المادة الرابعة — اذا مات مديون يوفى دينه من التركة وما يبقى بعد ذلك يوزع بين الوارثين

المادة الخامسة — اذا مات رجلٌ عن ولد قاصر ولم يعين له وصيّ يتولى امره اقرب انسبائه

المادة السادسة — اذا جنّ رجلٌ واصبح مسرفاً يتولى ادارة اعماله احد اقربائه او رجل من عشيرته اذا لم يكن له اقرباء.

اللوح السادس
في البيع والشرآء

المادة الاولى. يلزم ان يكون البيع صريحًا

المادة الثانية. اذ حرر عبد بشرط ان يدفع مقدارًا من النقود ثم بيع بعد ذلك يعتق متى نقد مولاه الدراهم المفروضة

المادة الثالثة. لا يحق لاحد ان يملك سلعة لم يدفع ثمنها

المادة الرابعة. ان مرور الزمان في العقارات عامان وفي الامتعة المنقولة عام واحد

المادة الخامسة يرجح في الدعاوى حق المالك وفي الخصومات على الحرية والاستعباد حق طالب الحرية

اللوح السابع
في الجنايات والاضرار

المادة الاولى. اذا تلفت بهيمة شيئًا في بستان احد يأخذ صاحب البستان تعويضًا او البهيمة

المادة الثانية. اذا كان لك عمود ووجدته في بيت او كرم رجل اخر فلا تنقض ذلك البيت او تخرب الكرمة ولكن خذ ضعف قيمة الشيء المسلوب

المادة الثالثة. من يحرق بيت غيره او يشعل فحمة فليسجن ويجلد

ويحرق ولكن اذ كان ما اتاه عن غير عمدٍ فليعطِ تعويضًا واذا كان فقيرًا يؤدب

المادة الرابعة . يعاقب الجاني بمثل ما جنت يده . واذا رضي المضرور تعويضًا يعفى عنه

المادة الخامسة . من ضرب معتقًا فكسر له عظمة من جسده يعطي ثلثمائة رطل نحاسًا ولعبد مائة وخمسين

المادة السادسة من يلطم رجلاً او يشتمه يفتدِ خمسة وعشرين قطعًا نحاسيا

المادة السابعة من يذم رجلاً بكلام مهين او ابيات هجو وتعطل صيته يجلد

المادة الثامنة . من شهد مرة في دعوى ثم رفض الشهادة يرذل ولا تقوم شهادته فيما بعد

المادة التاسعة من شهد بالزور يطرح على رأسه من قمة الكابيتوليوس

المادة العاشرة من قتل معتمدًا وسحرهُ وسمه يعدم كقاتل

المادة الحادية عشرة . من يقتل أبًا وأمًا يوضع في كيس جلد ويطرح في النهر

المادة الثانية عشرة اذا أهمل الوصي اشغال القاصر يعزل عن عمله واذ اختلس منه شيئًا يرد عليه قيمة ما أخذه مضاعفة

المادة الثالثة عشرة من غش الوليّ تابعه يعد محتقرًا مرذولاً

اللوح الثامن

في الاملاك خارج المدينة

المادة الاولى يترك بين المنازل محل عرضه قدمان ونصف

المادة الثانية. يمكن المتعاقدين ان يجروا ما يتفقون عليه بشرط الا يخالف الشرائع العمومية

المادة الثالثة. اذا اختلف جاران على حدود أرضهما يقيم القاضي حكماً للنظر في ذلك

المادة الرابعة. اذا كانت شجر تؤذي بستاناً آخر فتقطع اغصانها على علو خمس عشر قدماً

المادة الخامسة. اذا سقطت ثمر شجرة في البستان المجاور فصاحبها يحق أن يجمع تلك الاثمار

المادة السادسة. اذا عمل رجل شيئاً في بستانه فانحرف مياه الامطار الى الحقل المجاور يقيم القاضي حكماً لتقدير الضرر ومنعه

المادة السابعة. اذا كانت الطريق مستقيمة يكون عرضها ثماني قدم والا فست عشرة قدم

المادة الثامنة. اذا كانت الطريق واقعة بين حقلين رديئة يمكن المسافرين ان يمروا في الحقل الذي يختاره

اللوح التاسع
في حقوق العوام

المادة الاولى. الجميع في الحقوق سواء.

المادة الثانية. المديون الذي يعترف والمحكوم عليهم والذين عفوا ... يعطون حقوقهم مدة

المادة الثالثة. القاضي الذي يأخذ رشوة يعد مجرماً

المادة الرابعة. الدعاوي المقدمة على رجل روماني وهي تمس حياته وحريته وحقوقه تعرض في محل الاجتماع

المادة الخامسة . يقيم الشعب منقبين لفحص الدعاوى المهمة

المادة السادسة . الذين يلتئمون ليلاً في المدينة لاجل التآم الفتن يقتلون

المادة السابعة كل من يحرّض غريباً على محاربة رومية او يسلم رجلاً وطنياً الى غريب يقتل

المادة الثامنة . القوانين التي يضعها الشعب بشأن امر ما تبطل القوانين الموضوعة لذلك قبلاً

اللوح العاشر

في الجنازات والمآتم

المادة الاولى لا يدفن ميت ولا يحرق داخل المدينة

المادة الثانية . لا يجوز الاسراف في تجهيز الميت ولا الصراخ والبكاء الشديد عليه

المادة الثالثة الخشب الذي يحرق به الميت لا يقطع بمنشار ولا يصقل

المادة الرابعة لا يلبس الميت اكثر من ثلثة ثواب موشّية بالارجوان ولا يستخدم للاحتفال بجنازته اكثر من عشرة مزمرين

المادة الخامسة لا يجوز للنساء ان يخمشن وجوههنّ او يشوهن اخدادهنّ او يصرخن صرخةً قبيحةً

المادة السادسة لا يجوز أخذ قطعة من جثة الميت للاحتفال بجنازته مرةً اخرى الا اذا مات في الحرب او غريباً

المادة السابعة لا يجوز تحسين الشعر ولا معاقرة المسكرات في المأتم
ولا تطييب حسن سوى

المادة الثامنة لا يجوز حضار كبير وجواهر طيب لى مأتم

المادة التاسعة لا يجوز لبس ثيابا في الالعاب العمومية لمدة
شهره عبيده او سرعة خيلو فليؤخذ وليستأذن
اقرباؤه في تكسية مدة الايام تسعة التي يتفق بها في
اللبس وحسن مدتي

المادة العاشرة لا يجوز لبس الا عمارة واحدة ولا يوسد الا على
فرش واحد

المادة الحادية عشرة لا يجوز استعمال الذهب في جنازة الا اذا ربط
حلك لبس عصد ذهبي فتدفن معه مع الحنط

المادة الثانية عشرة يدفن الميت ولا يحرق في مكان بعيد عن المنازل
ستين قدما على الاقل الا اذا رضي صاحب منزل بخلافه
ذلك فيجوز

المادة الثالثة عشرة لا يعتبر مرور الزمن حقا يملك المدفن

اللوح الحادي عشر
في عدة الأيمة

المادة الاولى على مدة [illegible] الايمة [illegible] عشرة شهور وربع
واذا [illegible] بعد ذلك فتتزوج الأيمة

المادة الثانية — لا يجوز لاحد ان يعبد سراً آلهة جديدة وغريبة مالم يأذن بذلك اولو الامر

المادة الثالثة — يسمع كل المساكن التي شيدها جدوده والكهوف المقدسة التي في حقوله والمساجد التي يجمع فيها أرواح سلافه وليجر كل واحد الاحتفالات الدينية التي اعتادها

المادة الرابعة — تكرم الهة السماء ويخدم بسيط عصبيتهم الى مصاف الآلهة مثل ارقليس وكاستور وبولكس ورومس الخ

المادة الخامسة — غير الصفات الحسنة التي ارتقت بها الابطال الى السماء آلهة نحو العقل والعصبية والتقوى والأمانة واي مذاهب كل ونكرة وعداوة الشخ

المادة السادسة — رفع الاحتفالات وسورها

المادة السابعة — لا يسمع بالدعاوي في يوم الاعياد . يلزم العبيدان يحتفلوا بالاعياد بعد انجاز اشغالهم

المادة الثامنة . — يقدم الكهنة للآلهة في يوم معلومة قرابين من اثمار الارض وفي ايام اخرى عسلاً واولاداً اما ذبيحة الاولاد فتقدم في آخر السنة وتختار حسبما يامر الاله وتقسم الكهنة الى قسم مختلفة وتكون خاضعة لاحبار عظام

المادة التاسعة — لا يؤذن للنساء ان يحضرن الذبائح المقدمة ليلاً ولا ان يعلمن الاسرار الماخوذة عن اليونانيين ولكن يمكنهن حضور ذبائح الشعب العادية وتعلم اسرار الإلهة سيرس

المادة العاشرة . — من سرق شئاً للالهة يقتل

المادة الحادية عشرة — من يحنث في يمين باسم الآلهة ولتردله الناس

المادة الثانية عشرة . — من يزني بقريبة لا يحل له زواجها يقتل

المادة الثالثة عشرة يلزم اعداء الدور عبر ان الاشرار محظور عليهم تقديم قرابين للآلهة

المادة الرابعة عشرة لا تنفق حنثك واقتصد فيما تقدمه قرباناً ومن يقف شيئاً لغيره يغرم بدفع ضعف القيمة

المادة الخامسة عشرة احفظ ذاتي اعيادك العائلية

المادة السادسة عشرة. من أخطأ فليكفر عن خطاياه ومن لا يعمل ذلك يعد كافراً

اللوح الثاني عشر

في الزواج وحقوق الرجل

المادة الاولى. اذا سكنت امرأة مع رجل عاماً كاملاً ولم تغب ثلث ليال تعدّ زوجته

المادة الثانية اذا زنت امرأة وسكرت يمكن زوجها ان يقتلها ان رضي بذلك اهلها

المادة الثالثة اذا طلق رجل امرأته فلياخذ منها مفاتيح منزله وليعطها امتعتها وما احضرته عند عقد النكاح

المادة الرابعة. الولد الذي تلده الثيب بعد موت زوجها بعشرة أشهر يعد شرعياً

المادة الخامسة. لا يجوز للشرفاء ان يتزوجوا من العوام

انتهت

قال شيشرون الخطيب الروماني الشهير ان قوانين الاثني عشر لوحاً تفضل على جميع كتب الفلاسفة وبالحقيقة اذا تفرسنا فيها معتبرين الزمان الذي وضعت فيه نجدها مشكاة هدى قد سطعت في ليل ذلك العصر الدامس كيف لا وهي الآمرة بالعدل والمساواة والمعاقبة الشريف الناقض على عار الاحكام متى اقترف ذنباً كما تعاقب حقير العوام اذ لا فرق بينهم في الحقوق ولا امتياز لاحد منهم على غيره الا انها كانت تجيز للدائن القاسي وللاب الوحشي ان يعامل الاول مديونه والثاني ولده معاملة بربرية تنفر منها الطباع ويأباها الذوق السليم وقد اضيف اليها على مرّ الزمان قوانين اخرى كثيرة حتى انه في عهد الامبراطور جوستنيان سع الدستور لي محمد فامر هذا الملك ان تحصر الشرائع في سفر قانونية ليتمكن من ولها وادرك كما تم له ما اراده وجمعت الشرائع الجديدة في اربعة مجلدات باقية الى الآن وهي المعروفة بالقانون الروماني المدني الذي يحسب اساس دستور الممالك المتمدنة

ورأى الرومانيون من التبذير لا سيما من زعيمهم ابيوس كلوديوس ظلماً وفواحش الصدر كوسبين لانهم بعد ان عدلوا ليغشوا الشعب ويموهوا على افعالهم مرة اخرى اخذوا يرتكبون المنكرات ويحسنون المحرمات وكان لكل منهم شرط يسعون في اخر عما بر ومونة فمل العوام منهم وسئموا الحيوة لافعالهم الوحشية ولم يكن احد اذ ذاك يأمن على عرضه ولا ماله لان كل شيء كان مباحاً لاولئك العتاة ولاتباعهم الفجار فكانهم قد سنوا الشرائع ليخالفوها واعلنوا العدل ليجوروا ويعسفوا ويقهروا وافتضح سيرتهم ولما انقضت السنة الثانية ابوا الاستقالة من مناصبهم وبقوا قابضين على زمام الاحكام بلا انتخاب قانوني على رغم الجميع

ونظر أبيوس احد الولاة العشرة ذات يوم ابنة عامية بديعة الحسن والجمال اسمها فرجينيا فشغف بها وتيمه هواها وكانت فرجينيا تقية فاضلة تحب

العفة والكمال لذلك لم يستطع أبيوس اغراءها بتملقه ولم يمكنه صيدها بشرك
وعوده بل ذهب اجتهاده في استمالتها واستمالة مربيتها ادراج الرياح فعمد حينئذ
الى حيل وخدع وامر تابعه ان يقبض عليها بانها وسيدته يختصمها ويرها موافقة
لنيل مناه . وكان تابعه هذا أروغ من ثعلب وأحيل من ضب مشهوراً بمكره
وخبثه فبينما كانت فرجينيا راجعة يوماً الى منزلها قبض عليها التابع المذكور
وكاد يبلغ مآربه ويبلغ وليه مبتغاه لو لم يعترضه الجمهور الذي ابصر دموع
الابنة ونواحها فاشفق منها ومنعه عن دعواه لقاضي ليحكم له او عليه فرفع
التابع شكواه الى أبيوس مدعياً ان الابنة امة قد ولدت في بيته وقد سرقت وهي
طفلة وبيعت لامرأة فرجينيوس الذي يظنه الناس أباها وانه مستعد أن يقدم
شهوداً يشهدون بصحة مقاله وبناء على ذلك طلب تسليم الابنة اليه لانه
مولاها فقبلاً انه يحضرها متى أتى فرجينيوس واثبت كونه أباها الشرعي

وسمع أسيليوس خطيب فرجينيا ما حدث فبادر الى الفورم عدواً
وتخلل الجمهور حتى وصل الى فرجينيا فضمها اليه وصرخ قائلاً يا أبيوس
لا شيء يقصيني عن حبيبتي سوى الموت فاقتلني ان شئت سر خدعك
ومكرك واعلم اني مستعد ان ادافع عنها الى أن أشرب كأس حتفي المهلك
توليت الاحكام وأبطلت وظيفة وكلاء الشعب ليخلو لك الجو وتهتك
عرض النساء وتنص بكارة العذارى ألم يكفك ما فعلت وما تفعل من
المظالم حتى عمدت الى تدنيس الطهارة وبرقع العفة ألم تدر ان فرجينيا هي
خطيبتي واني أروم زواجها طاهرة بلا عيب وانت أيها الشعب الروماني
اسألك حماية امرأتي وانتم أيها الجنود أطلب اليكم صيانة ابنة رفيقكم
فرجينيوس مدة غيابه ولا تخشوا باساً لان الآلهة والناس معنا

فهاج الجمهور جداً عند سماعه كلام أسيليوس وكره أبيوس على ارجاء
الدعوى الى الغد حتى يحضر فرجينيوس الذي خرج في ذلك الحين مع
الجنود لمحاربة الساسبين والاكويين وفي اليوم الثاني أتى فرجينيوس بكرة

لانهُ علم بما جرى فاسرع الى رومية ليحامي عن ابنتهِ ويبتاشها من مخالب من يروم افتراسها وهتك عرضها بين الملا ولما التأم الشعب أقبلت فرجينيا الى محل الاجتماع والكآبة تلوح على محياها البديع والعبرات تتساقط من جفونها فوق وجنتيها المحمرتين من الخجل والحزن فشخصت اليها الابصار وحارت في معاني حسنها النواظر ورآها أبيوس فذاب شوقاً واحسّ ان الموت أخفّ وطأة وأهون عذاباً من هجر هذه الغزالة الشاردة لذلك صمّ عن سماع حجج فرجينيوس الدامغة وحكم بها في الحال لتابعهِ الخبيث الخادم شهوات وليّهِ الغاني برذائلهِ ودناءته ولكن هيهات هيهات ان يبلغ ما ما يتمناهُ وان يحقق امانيهِ وما نواهُ اذ فرجينيوس حين أبصر مكر أبيوس وغدرهُ طلب اليه ان يسمح له بوداع ابنتهِ فاذن له فتقدم الى فرجينيا واستل مدية وقال لها يا ابنتي هذه هي الطريقة التي بها نخلص من العبودية والعار ثم ضربها بها ضربة سقتها كأس الموت وسحب مديتهُ من صدرها وهي تقطر دماً وقال لابيوس بهذا الدم أسأل آلهة الجحيم سحق مهجتك واخترق على الفور الجموع وولّى هارباً على رغم ابيوس واعوانهِ لان الشعب أفسح له على هربهِ فاتى المعسكر وحدث الجنود بحديثهِ ثم رفع يديهِ الى السماء وقال اشهدي أيتها الآلهة ان أبيوس وحدهُ هو المذنب لانهُ قد أجبرني بمعاملتهِ أن اجري ما أجريتهُ وأنتم ارى في اعينكم الا تعدوني عديم الحنان فان سفك دم ابنتي طفلة هل اعلموا اني كنت أود فداء حياتها بنفسي لو أمكنها أن تعيش حرة عفيفة ولكنّ ذلك الجائر العاتي اراد استعبادها ليتسنى له هتك ستر عفتها فما قساوتي هذه الا شفقة وحنو ولقد آثرت موتها على حياتها بالفضيحة والذل وآمل انكم تناصرون عندي لتثأروا لها والا مت كمداً فثارت الحمية بالجنود كافة ولعنوا الدسمفير الباغين ورجعوا الى رومية مصممين على خلعهم ونصب وكلاء للشعب ومن هناك ذهبوا مع من تبعهم الى الحقل المقدس سنة ٤٤١ ق م ولم يرجعوا منه قبل ان أنصفت حكومة

العشرة ولاة ورضي المجلس باقامة قنصلين ووكلاء للشعب اما ابيوس عاشق فرجينيا فمات في السجن قبل النظر في دعواه ويقول بعض المؤرخين انه مات قتلاً وجهز القنصلان بعد ذلك عساكر وخرجا لقتال الصابين والاكويين الذين طالما حاربوا بالعدوان فكسراهم وشتتا شملهم ودخلا الى رومية محتفلين بنصرتهما

الفصل الخامس

ان تاريخ الامة الرومانية لحري بان يعد تاريخ اخلاق البشر على اختلاف مراتبهم في معارج التمدن ولا غرو لانه هو المرآة التي تري الانسان صورة ما هو عليه من طباعه واعماله فيظهر له جلياً ميل المرء ان كبيراً او صغيراً وميله الى الاستبداد بالحكم معاً بل [illegible] من خير بعصبة له اليوم فيسعى لادراكه ولو بذل دونه النفس وحين لا خوف من [illegible] معاً وجهلاً [illegible] وتبين لذوي الاستبصار ضعف طبيعتنا لجنوحها على رغمها الى استحسان الجديد ولو فاتته حلاوة القديم ورغبتنا في تغيير الاحوال منذ كان [illegible] وراحة المستقبل عن مستقبل [illegible] لحاضر سوى تعبه وهمومه لا سيما لا يستقر على حال [illegible] الاهواء تتقاذفه دائماً تيارها حتى [illegible] يقضي وطراً [illegible] عبرة وعبيد وللشعب بعد ان ابطل حكومة الدسمفير كما ذكرنا عاد الى مراجعة الاعيان [illegible] قانون منع [illegible] الزواج فصل بين الفريقين [illegible] على [illegible] لانه كان الزواج لا يتم الا بالرضى والاختيار كان ذلك المنع فاسداً وداعياً الى اثارة الفتن والبغض بلا فائدة

واقام الرومانيون سنة ٤٤٤ ق م منتخبين بحسبان الشعب حسب ترتيب املاك سرفيوس [illegible] وحكومة لحق باشهر [illegible] المدنيين واصلاح العوائد وتقسيم الجمهور الى فرق ورتب وتسجيل اسماء الفرسان [illegible] عصاة [illegible] العدى وكانت سلطتهم عامة واوامرهم [illegible] لذلك [illegible] الجميع واعتبروهم [illegible] شرائع وحامي العدل والديانة والعوائد [illegible] وكان من المقرر [illegible] مدة خمسة اعوام في السنين الاول والمدة [illegible] عشر شهراً [illegible]

وبعد [illegible] في الاتحاد والعدوان [illegible] بكل ما طلبوهُ [illegible] وعولوا على مشاركتهم في السيادة [illegible] من [illegible] حتى [illegible] احد القنصليين منهم [illegible] [illegible] الا [illegible] وكثرت [illegible] ذلك [illegible] سنة ٤٤٤ [illegible] سنة ولاة عسكريين [illegible] من [illegible] وهذا الامر [illegible] على الاعيان الا [illegible] ولاة مذكورين من [illegible] وكانه قد [illegible] فصل تلك [illegible] حقوق [illegible] قبلاً

[illegible] الحكومة الاولية واحتاط [illegible] الجمهور [illegible] احكام رومية قنصلان وتارة ولاة عسكريون حسب [illegible] احد الحزبين [illegible] الانتخاب ولما كانت [illegible] في هذا الزمن [illegible] عظيمة لان الجيوش كانت [illegible] وجدة الاسس من ذلك في [illegible] حقوق [illegible] سوى ما سببه القوة [illegible] في [illegible] مساعدة الا [illegible] مهمة [illegible] نتائج مهمة لذلك لم تتقدم [illegible] اليه ضيق المقام وخوف من ملل

القارئ هذا وقد رأينا في ما مضى كيف ان الشعب رفض مراراً تجهيز الجنود اللازمة لمقاومة الاعداء الذين كانوا يهاجمون رومية لان الجندي اذ كان غير ماجور على خدمته العسكرية كان اذا تقدم الى الحرب ولم يجد احداً في بيته يعمل حرثه ساقه ويستدين مالاً من المرابين بربا فاحش فيصبح ان طالت الحرب أسيراً في قبضة دائنه متقلباً على فراش الذل والقهر وما ذلك الا لانه خاطر بنفسه دفاعاً عن حرية وطنه ولقد احدث هذا الامر ارتباكاً عظيماً دفعة لذلك امر مجلس الشيوخ بنقد الجندي اجرة يومية تكفيه مؤونة العذاب والضنك وتجعله طوعاً لاوامر القواد وتمكن اولياء الامور من اطالة مدة الحصار والقتال حتى يشنوا الغور على العدى وكانت الجمهورية حين نشأتها في عهد القنصل بوبليكولا قد اقامت خازنين لجباية المكوس وبدفع النفقات اللازمة للحكومة مقدمين بذلك حساباً مدققاً فامر المجلس بتنصيب خازنين آخرين يرافقان الجيش ويعدان اجرته والدراهم التي يحتاجها وفرض على الوطنيين مكوساً جزية فيفي بهذه المصاريف ولقد نجح في انفاذ مارامه على رغم وكلاء الشعب الذين كانوا يغتنمون كل فرصة لاثارة الفتنة املاً ان يحطوا منصة الاعيان ويرفعوا شأنهم غير مكترثين لصالح الجمهور في اكثر الاحوال

وكانت فيي اقدم واحصن مدن اتروريا وهي تبعد نحو اثني عشر ميلاً عن رومية وكانت ذات قلعة حصينة جداً مبنية على رابية وعرة اما سكانها فكانوا اشد الناس عداوة للرومانيين واعظم الامم المجاورة باساً واكبرها اقداماً ولقد جرت بينهم وبين شعب رومية حروب عديدة اتينا على ذكر بعضها واهملنا البعض الآخر هرباً من الاسهاب الا انه حدث في سنة ٤٧٧ ق م وقعة عصيبة عند نهر كريمر مات فيها ستمائة وستة رجال من فابيوس اسم عائلة رومانية شريفة واربعة الاف رجل من تابعيهم وهكذا كانت نار الفتنة بين الفريقين تخمد تارة وتشتعل اخرى حتى قرر مجلس

سنة ٤٠٥ ق م محاربة هذه المدينة والاستيلاء عليها فارسل الجنود والفرسان فحاصروها فدامت الحرب عشرة اعوام لان فيا كانت حصينة كما قلنا ولم يكن الرومانيون يملكون او يعرفون حينئذٍ من آلات الحصار شيئاً ولقد كادوا ييأسون من الهجوم والقتال ويتركون المدينة وشأنها لو لم يقم المجلس فوريوس كاملس دكتاتوراً فهذا الرجل الصنديد المشهور بشجاعته وتدبيره احيا تعيينه قائداً في قلوب الجميع رجاء الغلبة فاسرع الشرفاء والعوام اليه وتباروا في الجهاد تحت رايته فتقدم بهم وحارب الفالسيين والكابيين الذين زحفوا لمساعدة الاعداء فكسرهم وشتت شملهم ثم مشى الى المعسكر واصلح الحصار ورتب الجنود وشجعهم وبنى متاريس ولما رأى ان الاستيلاء على المدينة بالهجوم محال عمد الى حيلة فعمل امراً لم يسبقه اليه احد من القواد وذلك انه بينما كان يهاجم المحصورين ويشغلهم بالقتال كان قسم من عسكره مشتغلاً بحفر قناة تحت الارض تصل الى داخل القلعة وحينما تم العمل أمر الجنود ان يهجموا على الاسوار فتهاجم الفيون بشجاعة وثبات اما القسم الذي دخل القناة فوصل حالاً الى الباب الذي في ستار اخفاه عن اعين الاعداء وولج القلعة بغتةً وتفرق في جميع الانحاء فقاتل الفيين وفتح ابواب المدينة فدخلها الرومانيون وقتلوا من لم يستسلم من اهلها وجمع كاملس الاسلاب ووزعها بين العسكر ثم رجع الى رومة فدخلها محمولاً بنصرته وذهب الى الكابيتوليوم في مركبة فاخرة وكبيرة تجرها اربعة افراس بيضاء كالثلج وحيث ان الخيول البيضاء لم تستخدم قبل الا لجر مركبة الاله جوبيتر واشتد غضب الشعب بعد فرحه بانتصار هذا الجبار العظيم ونفرت القلوب منه وقسم المجلس اراضي فيّ بين الرومانيين فنال كل رجل حرّ منهم سبعة فدادين

وفي سنة ٣٩٤ خرج كاملس بالجيوش لقتال الفالريين وكان عازماً على اطالة الحرب ليشغل العوام ويمنعهم من اثارة الفتن كما هو دأبهم

في زمن السلام مدة انشاء الجمهورية الا ان نهضته وانه حدث قصة بخلاف
ما سوى لان الفاليريين بعدما قتلوا قتل الاتصال لم يمكنهم الثبات امام
هجوم المحاربين وحدوث الصراع فبعثوا الى المدينة وعولوا على الدفاع و
يموتوا جميعاً فدى الحرية والوطن وكان في المدينة مدرس يعلم اولاد الاغنياء
والاعيان ويهذبهم وكان معتاداً ان يخرج بهم كل يوم خارج الاسوار فقصد
المرة فاتفق انه تقدم مرة الى معسكر الرومانيين وجاء مع كميلس وقال
له انشر فقد سمعت امر ووست الفقير حنو بلا عدد واني قد احضرت لك
هؤلاء الاولاد رهائن بعض عنهم ولا تسلم الا تسلم المدينة فقال له وهو
يرجو جزاء على فعله الذميم عن غاية من بخطئة رجل ابى يعيب من
خيانة ودناءة وعنده الموت اهون من العار وسرعة عينه غضب كميلس
وامر الشرط بتقييده واعطى الاولاد قضبان يضربونه فيه امامهم كالعبد
حتى دخلوا ابواب المدينة سالمين ومع الخبر الكرام. فتعجبوا وردوا
اعتبارهم للقائد الروماني وصمموا على عقد الصلح مع كميلس بجانة طلبهم
بشرط ان يفدوه بعدد من الدراهم فسلموا امره طائعين فعقد معهم صلحاً
ورجع الى رومية ظافراً

ومعلوم ان احسدالا كميلس في صدور ذوي النفائس الضعيفة الذين
لا يستطيعون نيل ما فاز به محسودهم فيسعون في حباط اعماله واذلاله
بالاراجيف والنميمة ويدعون صلاح الوطن وما يقتضيه السياسة ويحكم به
العدل كانهم وهم صم هيئة اجتماعية تائهون في وادي الظلم والدمار امكر
وهكذا نرى اعداء المرء تزداد دائماً بازدياد شهرته وفضله وقد كان كميلس
بعد ظفره العظيم هدفاً لسهام الوقيعة وهم الحاسدين الذين طلبوا
محاكمته مدعين انه اختص اموالاً للجمهور عند افتتاح فيي اما هو
فابى الاحتجاج والمرافعة وقبل ان تحكم القضاة عليه بالابعاد غادر المدينة
ورحل الى اردبا قيل انه سأل الآلهة عند خروجه من رومية انتقاماً

من مواطنيه ... يسعون في تقدمه ويلتجئون اليه عن قليل

وكان في كلوزيوم وهي مدينة أترورية رجلٌ وجيهٌ يدعى أروس ربّى ولداً يتيماً بديع الحسن والجمال وعيّنه حداً سمّاه لوكومو فهذا الغلام لما ترعرع وبلغ أشدّه أحب امرأة وصيّه التي هامت به كهيامه بها وحيث أن جمرات الحب لا تخفى ظهر امر هواهما سريعاً فخطف لوكومو اذ ذاك محبوبته من منزل بعلها وعاش معها زمناً ولم يستطع أروس أن يسترد امرأته لان الغلام رشا قضاة مدينة كلوزيوم فلم يلتفتوا لشكوى خصمه وانتقم على الكلوزيين فقصدوه وعقدوا [illegible] عن محورة وحين رأى أروس ظلم الحكام خرج من المدينة ومضى الى الغاليين القاطنين في الاراضي الواقعة الى الجانب الشرقي من مدينة [illegible] الرسوية وحثهم على محاربة كلوزيوم واصفاً لهم حسن البلاد ووفرة غلاتها وسعة خمرها التي [illegible] فاستحسنوها وعولوا على غزو الارض التي أشار اليها فجمعوا جنودها وبرحوا من [illegible] جحافل جنود ثم عبروا جبل الالب ونزلوا في البلاد مدة ستة اعوام وهم ينهبون أموال السكان ويعمرون ما رزقوا الى أن قصدوا أخيراً محاربة كلوزيوم إرضاءً لأروس فدخلوها وحاصروها سنة ٣٩١ ق م

ولما طال الحصار على الكلوزيين بعثوا رسلاً الى الرومانيين يطلبون منهم نجدة فأرسل مجلس الشيوخ [illegible] ثلاثة سفراء أولاد فابيوس امبستوس [illegible] بترك العدوان فسخر منهم برنس رئيس الغاليين وردهم خائبين فحمي غضبهم وانضموا الى جيش الكلوزيين وحدث ان أحدهم وهو كونتوس فابيوس قتل قائداً غالياً شهيراً بين قومه ولما علم برنس بذلك غضب وعول على قتال الرومانيين لأن سفراءهم قد خالفوا القوانين المرعية بين الامم وانتصروا للكلوزيين فرفع الحصار في الحال وتقدم الى رومية سنة ٣٨٩ ق م وبلغ ذلك الرومانيين فلقوه عند نهر أليا على بعد احد عشر ميلاً من مدينتهم فكسر جيوشهم كسراً الا انهم لم يستطيعوا الثبات

طويلاً امام اعدائهم لضعف قوتهم او لانهم خافوا من بسالة الغاليين وصياحهم اشبه بعواء الذئاب ففروا في تلك الارض منهزمين ثم أتوا رومية فدخلوها مذعورين والتجأوا الى قلعة الكابيتوليوس وتمكنوا من نقل الزاد والسلاح اليها لان برنس لم يتأثرهم بل تخلف ثلثة ايام ليوزع بين عساكره الاسلاب التي غنمها فنجت رومية بهذه المدة من الخراب التام لانها قدرت على الاستعداد ولما كانت القلعة لا تسع جميع الرومانيين خرجت جماعة من العوام وتفرقت في البلاد وبقي الشيوخ في منازلهم فقتلهم الغاليون وحرقوا المدينة وادعوا صعوبة الاستيلاء على قلعة الكابيتوليوس وان ذلك يستلزم زمناً طويلاً أرسلوا قسماً من العسكر ليغزو الامم المجاورة ويأتي بالقوت الكافي

وسمع كاميلس خبر المصائب التي طرأت على وطنه فاسف غاية الاسف ونسي لدى تلك النوازل المحن ما اوصلته اليه قومه من الاضرار وبات حائراً فيما يعمل ليدرج كرامة مواطنيه حتى درى بورود فرقة من الغاليين في البلاد طلباً للمعاش فنهض اذ ذاك بهمة اسير حل عقاله وسأل والي المدينة المنفي اليها ان يأذن له في تجهيز جيش يقطع به دابر المفسدين ويسفر لاخوانه من اقوامه اذ قوم الكذل واثروا بهم ما لم يكن لهم بحسبان فولاه الوالي ما طلبه حينئذٍ زحف كاميلس بمن تبعه الى حيث حل الغاليون وصبر قليلاً حتى دخل الليل فنقض وعسكره على الاعداء وهم نيام افتناص الصواعق واعمل بهم السيف البتار الى مطلع الفجر فابادهم جميعاً

وذاع خبر هذه الوقعة في تلك الاصقاع وكان الرومانيون الذين غادروا المدينة والذين تكسروا امام الغاليين عند نهر أليا قد لعبت بهم أيدي سبا فلما علموا بفوز كاميلس غير المنتظر بادروا اليه مسرعين واقبلوا عليه متحدين تحت لوائه كأن النصر الذي فارقهم حيناً من الزمان لفراق كاميلس قد عاودهم لعودة هذا البطل اليهم

ولم يرد كاملس تولي قيادة الجيش قبل ان يعيَّنهُ مجلس في الكابيتوليوس غير انهُ دون الوصول الى مجلس وابلاغ وامره غصص اسوى اذ جنود الاعداء كانت محيطة بتلك الربية احاطة الاسورة بالمعصم ولقد كاد يذهب انتصاره الاخير سدى ويمسي امل العسكر المجتمعة حولهُ فشلاً لولا جسارة وغيرة رجل روماني اسمهُ كومينيوس الذي ارتقى الى تلك الربية في الليل سرًّا وبعد ان أخذ الاوامر اللازمة بتعيين كاملس دكتاتورًا رجع الى معسكره من حيث جاء

وابصر المحاصرون في اليوم الثاني آثار رجلي ويدي كومينيوس عند ارتقائهِ الرابية معلومًا مكان الصعود الى القبعة من ذلك المكان ولما جنَّ الظلام ومالت أعناق الرومانيين من حمر الكرى شرع بعض الغاليين يتسلقون تلك الصخور والشعاب حتى وصلوا بعد جهد والعناء الى أسفل السور ولم يحس بقدومهم احدٌ سوى الاوز المختصة بالإلاهة جونو فحدث سقوق ونصبي باجنحتها فاستيقظت لذلك عسكر تلك الجهة وكان اول من نهض واسرع الى الدفاع عن السور الشريف مانليوس فوجد عليه رجلين غاليين فاستدر أحدهما بضربة قطع بها يدهُ ودفع الثاني بترسهِ فسقط الى اسفل وهوَّر بسقطتهِ من كان وراءهُ وفي اثناء ذلك اتى قسم من الجنود الرومانية لاسعاف مانليوس فقتل الباقين بالسهام والحجارة

وبينما كان كاملس جاهدًا في جمع الجنود وترتيبها وعاملاً فكرهُ في كيفية قتل الاعداء التمس الغاليون كل نوع فقد كان الرومانيون المحصورون في القبعة كل جهد مجاوز والغاليين في الصلح ورضي هولاء بجلائهم بشرط ان يدفعوا الف ربة ذهب او ٤٥ ليرة انكليزية ويحكي المؤرخون ان رسولهم المتكبر اتى بعبارات مغشوشة فتظلم الرومانيون من فعلهم هذا فكان جوابهُ الآن طرح حسامهُ في الميزان فوق العيارات وقال الويل للمغلوبين حينئذٍ ظهر كاملس بجنوده بغتةً وامر قومهُ ان

يستردوا مالهم قائلاً [illegible] الرومانيين [illegible] وصفهم بالسيف لا [illegible]
ثم هجم على الاعداء بهمة الرئبال فدحرهم وانحدرت اليهم جنوده واحاطت
بهم من كل جانب ففرقتهم فتراس الذئاب معمر وارد بهم جميعاً [illegible]
[illegible] الدكتاتور بعد هذه النصرة [illegible] لوطن [illegible] رومية ولقب
[illegible] بالكابيتوليني [illegible] ولم [illegible] الاعداء عن سوار
الرابية المذكورة كما تقدم المقال الا انه قتل فيما بعد [illegible]
[illegible] الشرفاء خوفاً منه ولاسباب اخرى [illegible] الشعب
[illegible] وحكموا عليه بالموت

الباب السادس

من حين تجديد [illegible] سنة ٣٩٠ ق م

بعد ما خربها الغ[illegible]

[illegible] الاولى [illegible]

و

من سنة [illegible] ق سنة [illegible]

الفصل الاول

ترى ماذا على الامة الرومانية الاسعد [illegible] كان [illegible]
[illegible] مدينة وحدة [illegible] في عقيدة [illegible]
[illegible] لانه لم [illegible] رومية [illegible]
[illegible] على الامم المجاورة [illegible]
وكانت الشعوب المغلوبة تنهض [illegible] في [illegible] واذلال [illegible]
[illegible] الفرصة او تتوسم فيهم ضعفاً وعيباً في سنة ٣٨١ ق م حين [illegible]

ام لبث ان زاد خرابها بادر اعداؤها بغزوها الى محاربتها ومحو
سمها ان تمكن من عالم الوجود فلن تقوى شوكتها وترجع الى ما كانت
عليه سابقاً ولكن كيف يقدرون على نيل ما رجوه وكاملس البطل راض
عنها وراضٍ في احبائها فانه جمع شتات الرجال الرومانيين وقسمهم
الى ست فرق ترك فرقة منهم عند اسوار رومية للدفاع عنها وفرقة اخرى
في مدينة فيّ لمراقبة حركات الاتروريين وزحف بالفرقة الباقية الى قتال
الاعداء فانتصر على الفولسكيين والايكويين والاتروريين انتصاراً تاماً
وعاد من ساحة الحرب بالانتصار وبعد ثم انوافي وبعد سنتين ولبث قاتل
اللاتينيين والهرنيكيين والانتيين واخضعهم

وفي سنة [illegible] ق م سمعت الحكومة ان فرقاً من الغاليين اتت كثيرين عند
نهر الانيو ينوون القدوم الى رومية فوقع في قلوب الرومانيين كافة
خوف شديد وتذكروا خيانة الغاليين سابقة والنكبات التي لحقت بهم من
جراء ذلك واجمعوا جميعاً على تعيين كاملس دكتاتوراً واقسموا يحضرون
معهم وسائط [illegible] ما حدث قبلاً فتم لهم ما حبوه [illegible] وذكرى [illegible] كان
[illegible] متوقف في تغير الاحوال على [illegible] وذكاء لا على كثرة جنود
وعدد [illegible] كاملس ان قوة الغاليين قائمة بطول سيوفهم التي يضربون
بها [illegible] والهد كبت لا [illegible] ولا تدرب [illegible] فامر بعمل مغافر حديدية
تكون مصقولة من الخارج حتى اذا ما وقع عليها الحسام تكسر او [illegible]
للاتراس وجعل [illegible] من حديد تقي حامليها ضربات
السيوف الشديدة ثم زحف بجنوده ونزل بالغاليين في اراضي الباقصر
[illegible] على العادة
وفي هذه [illegible] عسكريين [illegible]
[illegible] من الاعيان [illegible] حقاً نقول ان هذا الامر [illegible]
[illegible] على ما نرى ضربة لازب ان حدث ادنى تغيير في

لحكومة لان الشرفاء يكرهون كل ما يرغب فيه العوام والعكس بالعكس ولا بدع فان الانسان مائل [illegible] محافظة على الامتيازات التي يخوله اياها العموم ولو كانت تلك الامتيازات مبنية على أسباب وهمية

وحيث ان القنصلين هما رأس الحكومة وعليهما مدار كل الاعمال المدنية والعسكرية لم يكونا يستطيعان في سائر الاحوال ان يقوما بعبء ما فوض اليهما مرةً فرأى العوام انه مفرج [illegible] القصة [illegible] وقرروا الاستعانة من الشرفاء [illegible] عدد [illegible] في مع العوام حتى غاب احد القنصلين منهم وعين بعد سنة ٤٥١ ق م رجلان من الشرفاء والعوام لملاحظة الهيكل والشوارع والاسوار وادارة الالعاب العمومية وسموهما ادبين كوروليس لفظة كوروليس مشتقة من كوروس اي مركبة لان الادبل المذكور كان يجلس في بادىء الامر على كرسي عاج وكان هذا الكرسي يوضع في مركبة

وفشا في هذه الاثناء وباء في المدينة واشتدت وطأته على الاهلين لانه دام مدة ثلثة أعوام ومات بسببه كميلس الدكتاتور الشهير وعدد عديد من العظماء والعوام فاجرى الشعب لازالته امورًا كثيرة خرافية لم تجدهم على ما أظن نفعًا لان هذا الداء يحتاج [illegible] علاج آخر فالطبيب قد يجهل المرض والويل للمريض

ومن الحوادث الغريبة التي نحكيها [illegible] ولا نشفعها بالتصديق هو انه في سنة ٣٦١ ق م انفتحت الارض وهي في ساحة الندوة وظهرت هوة عظيمة كانت [illegible] [illegible] [illegible] في هذه [illegible] [illegible] لبحره مستنير [illegible] هولاء [illegible] الا [illegible] قدم لها ما يحوي قوة الشعب الروماني وان هذه [illegible] تجعل [illegible] الرومانية [illegible] الجمهور مغزى الوحي وبات حائرًا في امره مترددًا فيما يجب ان يعمل وكان في المدينة فتى شريف اسمه كورتيوس فهذا أوّل

عبارة السحرة بان الآلهة تعني عودة الرومانيين للشجاعة والسلاح وسآء عليه متطي جواداً مطهماً ولبس عدة حربه وتقدم الى الهوة على مرأى من الشعب والقى بنفسه لى الهوة فضمت حالاً ورجعت الارض كما كانت كأنه لم يحدث شيء قبلاً

واغار الغاليون السيراسون على اراضي رومية سنة ٣٦ ق م والتقاهم الدكتاتور تيتوس كونتيوس على بعد ثلثة اميال من المدينة بالقرب من جسر على نهر انيو فعسكر الفريقان في ذلك المكان ولم يتلاحموا لان النهر كان فاصلاً بينهم فكان يقصدون النهر ليشاهدوا مبارزة الفرسان وقواد الجيشين على الجسر وبرزت يوماً من صفوف الغاليين رجل طويل القامة وكبير الجثة وطلب رجلاً للاقتتال فهال الرومانيين منظرهُ واحجم جميع مبارزته ولما طال امد انتظاره وكاد الرومانيون يشعرون من خوف لباس العار تقدم فتى شجاع اسمهُ مانليوس واستأذن الدكتاتور في قتاله فاذن له فتقلد مانليوس حساماً قصيراً وخرج لمحاربة ذلك الجبار فسل الغالي سيفه الطويل ولم يضرب به حتى مر مانليوس تحت ذلك السيف بسرعة عجيبة واستدرهُ بضربة سقط كميتاً فلما رأى الغاليون بطلهم قتيلاً ولوا منهزمين ونشبوا في تلك البلاد وحدث بعد ذلك عدة حروب آثارها على رومية الغاليون والامم المجاورة وكان النصر في جميعها للرومانيين وفي سنة ٣٤٧ ق م حالفت قرطجنة رومية وعقدت معها معاهدة لحفظ السلم والصداقة وهي اول معاهدة عقدت بين هاتين الامتين حسب رأي جلة الرواة المؤرخين

وفي سنة ٣٤٣ ق م غزا السمنيون بلاد الكمبانيين وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً فاستنجد هؤلاء بالرومانيين وسألوهم مدداً وكانت كامبانيا شديدة الخصب وكثيرة الغلال لنشاط اهلها واقبالهم على التجارة بنوع الغنى ولما كانت التجارة والثروة تذهبان بالمرء الى حب السلام والنعم وكلاهما يفقد الانسان الغالي بهما الشجاعة والاقدام على الحروب لا سيما في تلك الاعصر

حيث لخشونة صنعة لا بد منها لسكان معوار كان الكامبانيون غير قادرين
على قتال السمنيتيين الا بصعوبة فكانوا مجبرين لضعف جيشهم الدنيئة على
مساعدة السيديسينيين ودلائل اعدائهم بذلك اشهروا العدوان وبادروا الى
ساحة الوغى فلم يثبتوا فيها طويلاً بل انهزموا الى كبوا عاصمة بلادهم فلحق بهم
السمنيتيون ونزلوا بهم رهقاً فضاق جميعهم ذرعاً وارسل اولاده سفراء الى رومة
ليبثوا لاهلها شكواهم ويلتمسوا نصرهم فجاء السفراء وعرضوا للمجلس ما عرضوه
الى ان قالوا اذا لم ينتصر لنا جيشكم سريعاً سنقع في يد عدو [illegible]
السمنيتيين بلا شك فجمع وعدد [illegible] في البلاد رأيهم الرومانيون
مساعدة قوم يكونون لكم صدقاء ويعدونكم حين تحمون بلادهم ويحمونكم
كي يحموا الالهة حالهم فجلس انه يود مساعدتهم لو لم يكن السمنيتيون
صدقاء الرومانيين مع ذلك وعدهم بارسال وفد يسأل السمنيتيين كف
العدوان فلما سمع السفراء هذا الكلام الذي عرى ابرعة في المحافظة على
الصداقة والجمع للحصول على ما تقبل الاتعاب التي سيحتملها الشعب
في هذه الحرب قالوا ايها الرومانيون اذا لم تساعدونا بحمايتكم فلا يصلكم
قانون الدفاع عنا كرغبتكم لان اهل كامبانيا ومدينة كابوا وارضها
وهي كلنا وكل ما نملكه هو من الان لكم ثم جثوا في ذلك النادي ورفعوا
ايديهم الى القنصلين متحيرين وباكين فاشفق عليهم من كان حاضراً
وعول المجلس على مساعدتهم لا لنا عن حماية بلاد ملكها بلا حرب ولا سيما
انه امتنع عليهم الا بالحرب والقتال على انه رسل ولا رسلا الى
السمنيتيين يسألونهم كف القتال فابى هؤلاء الاذعان فتجهز القنصلان
وخرجا بالجنود لمحاربتهم فظفرا بهم في مواقع كثيرة وشتتا شملهم فطار خبر
هذه الانتصارات في الافاق وبادر الاتروريون الى الخضوع التام لرومة
وارسل القرطجنيون رسلاً يهنئون مجلس ويقدمون تاجاً ذهبياً للإله جوبيتر
كابيتولينوس شكراً له على فوز الرومانيين المعظم

وظن اللاتينيون سنة ٣٣٩ ق . م انهم يستطيعون الاستقلال وخلع نير رومية عنهم وعلموا ان دون ذلك حرباً عواناً فاستعدوا لها لكنهم لم يبادروها قبل استعمال وسائل المسالمة كي لا يتهموا بالاعتداء ولكونهم لم يكونوا خاضعين لرومية خضوعاً تاماً فاستاءوا من القول بهم بعضوا في طلب حرية كانهم كانوا عبيداً وعليه ارادوا ان يعاملوا الرومانيين معاملة نظير فوجهوا اليهم سفراء يعرضون رغبتهم في دوام السلام وتقوية عرى الاتحاد بشرط ان يؤلف مجلس رومية من اعضاء رومانيين ولاتينيين وان يكون احد القنصلين لاتينياً اما المجلس فغضب جداً عند سماعه هذا الكلام وامر القنصلين بجمع الجنود اللازمة لتاديب هولاء الاقوام الذين اسكرتهم النعمة فمضوا بجيشهم القنصلان مانليوس وديسيوس العسكر ورحلا الى كابوا حيث حلّ اللاتينيون وحلفاؤهم

وفي تلك الليل تراءى لكل من القنصلين في الحلم رجل جبار طويل القامة ومهيب قال لهما ان النصر يعطى لاحد الجيشين الذي يقدم قائده نفسه ضحية لآلهة الجحيم ولما حضر كل واحد وقد رفعه ما تراءى له في الحلم تحققا جداً من انهما حلما حلماً واحداً وعلى ذلك وقع بينهما عهد عن قصة لاحراز نعم الآلهة فذبحا الذبائح وقدما القرابين كفارة عن الذنوب واتفقا ان القنصل الذي يرى فرقته مدحورة يجب عليه ان يخوض وحده عجاج حرب ويهجم على صفوف الاعداء حتى يخر قتيلاً باسيافهم ويموت فدى الوطن ورجاله

ولم يكن اللاتينيون يباينون الرومانيين بشيء البتة بل كان الفريقان يتكلمان بلغة واحدة وكانت عوائد الاثنين وطريقة قتالهما متشابهة لانهما شعب واحد وقد عاشت زمناً طويلاً بالالفة والاتحاد فتحذر القنصلان في هذه الحرب كل الحذر وامر القواد والجنود ان يراعوا الترتيب والا يقاتل احد منهم خارج صفه وحدث ذات يوم ان الفتى مانليوس ابن القنصل لقي

قائداً لاتينياً وغلبه في مبارزة فلم يرضَ مانليوس الذي كان قد سنّ الاوامر الصادرة بهذا الشأن وانقض عليه بسيفه البتار وجزّ عنقه ثم جمع اسلابه وتقدم الى سرادق أبيه وقال له يا أبت قد اقتديت بشجاعتك واظهرت ذاتي اهلاً لان اكون ابنك فان قائد اللاتينيين قد طلب نزالي لمبارزته واسقيته بحسامي كأس حتفه وهذه هي اسلابه اضعها عند اقدامك اما ابوه فجمع العساكر حالاً واجابه قائلاً يا طيطس مانليوس قد خالفت اوامري واقدمت على محاربة العدو فانقضت بعملك هذا الترتيب العسكري الذي نعدّه عماد سلطة وقوة الشعب الروماني فاحوجتني الى احد امرين اما ان انسى حاسياتي الابوية فاقتلك او اهمل صوالح العموم فاستحييك ولكن فيكون موتك مثالاً للرومانيين يردعهم عن مخالفة القوانين ويعلمهم اذا ارتكبوا هذا الامر المنكر كيف يكفرون عن ذنبهم ثم امر شرطياً بضرب عنقه فقتل

ثم تلاحم الجيشان واشتد القتال وكان القنصل دسيوس متولياً قيادة الجناح الايسر فاظهر في ذلك النهار فعلاً تخور له الابطال الا ان عساكره لم تستطع الثبات بل رجعت الى الوراء فتذكر القنصل وقتئذ حلفه وهجم على صفوف اللاتينيين مقدماً ذاته للاعداء ضحية لآلهة الجحيم فسقط في الحال قتيلاً ولما رآه قومه قد مات شجعوا واقتحموا الاهوال فاذاقوا خصومهم حرباً لا تبقي ولا تذر حتى مرّوا في مجاهل تلك الارض بعدما قتل منهم اناس كثيرون وحدثت معهم حرب استظهر فيها الرومانيون فدخلوا المدن اللاتينية واستولوا عليها وعاملوا اهلها بالرفق والاحسان لانهم لم يأخذوهم بذنبهم بل طردوا مسببي الثورة ومنحوا الباقين حقوقاً كاهل رومية وحسبوهم في عداد الوطنيين

الفصل الثاني

طالما رأينا رومية وأهلها هدفاً لسهام النزع الداخلي الناجم عن حب الرياسة والمحافظة على بعض امتيازات احدثها لوم وجهد في ابنائها قوم عظيمون لا يدركون حقوق الانسانية وواجبات المرء لابناء جنسه اما الآن وقد اشتد ساعد العوام وقدروا على مشاركة الاعيان في سائر المناصب العالية فاصبح سكان هذه المدينة العظيمة شعباً بجمعية واحدة يعرف همة في التعاون واجر [illegible] ما يعود بالمجد والعظمة على الامة الرومانية وعرف الجميع ان التقدم بفضل الشخصي لا بشرف الآباء والاجداد فتقدموا الى الاعمال الخطيرة وولوا المراتب والاقسام [illegible] الاعراض

وظهر ان الرومانيين ادخلوا في هذا الزمن اصلاحاً في نظام حكومة بان جعلوا مدة القائد تدوم ما دامت الحرب ثائرة خلافاً لما هو عادة فلا [illegible] من ان القائد المعين لانهاء حرب باشرها قائد آخر يجب عليه جمع عسكر جديد فكان الجيش غير مجبر على الخدمة ما دامت قيادته وعزل عن منصبه

وفي هذه الاوقات كانت رومية تزداد يوماً فيوماً عظمة واتساعاً لانها كانت [illegible] على عدم التحرج في [illegible] عدد [illegible] وانتشار قوتها ونفوذها [illegible] الخالدة في تلك الاصقاع ومن عواقبها [illegible] في [illegible] وما حولها من عصبية ووطدت سلطتها في [illegible] سكان تلك [illegible] حقوق كالرومانيين واعتبرهم وطنيين ليتحدوا في [illegible] و [illegible] فئة من فقراء العوام ليسكنوا بين الشعوب المغلوبة ويكونوا بمثابة جيش روماني يحتل تلك البلاد ويمنع اهلها من المجاهرة بالعصيان

ومما يجب ذكره ويتهلل له وجه الانسانية سروراً هو الامر الذي اصدره المجلس سنة ٣٢٥ ق م بمنع الدائن عن استعباد مديونه مصرحاً ان املاك المديون فقط مرهونة لوفاء دينه اما شخصه فحر ا.هـ

وقاتل السمنيون شعب رومية مراراً بعد حروبهم الاولى غير انهم كانوا يرتدون دائماً بالذل والفشل وداموا على ذلك هكذا الى ان كانت سنة ٣٢٢ ق م وقد انتصر الرومانيون عليهم نصرات عظيمة وغشوا البلاد بجيوشهم الجرارة فبادروا الى طلب السلام صاغرين خوفاً على عائلاتهم من سبيهم ملمات فابى الرومانيون اجابة طلبهم استكباراً وعولوا على مداومة القتال ليذيقوهم مر العصيان والبهتان ويجعلوهم عبرة في هذه الحروب ولما ضاق السمنيون ذرعاً عمد قائدهم بونتيوس الى تخليص بلاده من اعدائهم فنسج له ما امل وقدر على حصرهم في مضيق بين جبلين قرب مدينة كوديوم دُعي من ذلك المحل شوك كوديوم وسببه ان عسكر الرومانيين وجهته آمنة لزعمها ان العدو قد رحل وان هذا المضيق قرب الطريق الموصلة اليه وكان بونتيوس قد اذاع خبر رحيله وهو كامن بالقرب من ذلك المكان فلما علم بتقدمهم اليه من جهة واحدة هي المضيق فرح واستبشر وتقدم بجنوده ونظر الرومانيون واذا هم في قبضته لا يستطيعون فراراً ولو اتخذوا لهم اجنحة

اما السمنيون فانهم تشاوروا فيما يجب فعله ليحصلوا على ثمرة هذا الفوز المبين ولما كانوا مترددين في الامر لا يستقرون على رأي استشاروا بونتيوس اباه هذا الفتى وهو شيخ حكيم قد حنكته الايام فنصح باطلاق الرومانيين واطلاق سبيلهم على شرط ان لا يعودوا مستورين مرة اخرى فخالفوه ثم اعادوا عليه فقال اما ذبح الصواب لانهم ان عملوا بموجب الرأي الاول صادقوا الرومانيين وقيدوهم من ثلة الطوق وان تصرفوا حسب الرأي الثاني اضعفوهم وحملوهم غير

قادرين على احتمال مدة مديدة الا ان بونتيوس لم يصدع بامر ابيه ولم يرضخ لمشورته الحكيمة بل عزم واعوانه على تخلية سبيل الرومانيين بعد ان يعاملهم معاملة عدو مقهور

وكان الرومانيون قد دهشوا وخافوا خوفاً شديداً حينما ابصروا الاخطار المحيطة بهم من كل جانب فارسلوا رسلاً يسألون عقد السلام فاجابهم بونتيوس الى ذلك بشرط ان يسلموا سلاحهم ويمروا تحت النير وان يغادر الرومانيون المدن السمنيتية الساكنون فيها وان يسلموه اهل البلاد فرضوا رغماً عن ارادتهم ومروا تحت النير على مرأى من السمنيين الذين ردوا مقدمهم مضافاً بان اوسعوهم اهانة وشتماً فخرجوا من ذلك المضيق وقد ضاق بهم الفضاء وتمنوا لو تفتح الارض فاها وتبلعهم ليتخلصوا من الفضيحة والعار وانفوا بذلك من الدخول الى رومية نهاراً لئلا ينظرهم الشعب فدخلوها ليلاً واسرعوا الى منازلهم واختبأوا فيها

وان جميع هذه الحوادث محقت ابن السكني وقطعوا عنهم باب الرحمة ونعم بعد اخرجهم الشديد على قدوم عهد الذي قبلوا به زمناً طويلاً فيه در هذا الشعب عنان الذي لم يتخذ على وجه البسيطة في حب وطنه كرم لوطنه فلا يابه من بذل النفس والنفيس ضحية له اثمنة تعدى وبذل مهجته من عهد بعد ولكن حب الاستبداد يمكن من قلب الانسان على بصيرته ونظره فيصبح يبحث عن حتفه بنفسه اذ فهيهات ان يدرك ان الانتقام كل الانتقام من ارض كريم في الصفح عنه اذا احتاط رقي كرامته قد قدر على دفنه

ولم يشكر روح الاهين الا انتخاب قنصلين جديدين شهيرين بالشجاعة والبأس فاحتشد في محل ذي بحث سينيه ليحرم عن المعهدة التي عقداها السمنيين وعزى بوستبوس احد القنصلين السابقين ان المعهدة المذكورة فاسدة لا توجب على الجمهورية امراً لانها تمت بغير علمها ورضاها

ولا نستلزم سوى تسليم القواد الذين وقعوها ليشفي منهم السمنيتيون شفاء لغليلهم فوقع هذا الكلام عند الجميع موقعاً حسناً وصدقوا عليه ثم بادر الرومانيون الى القتال بصوت ورجعوا من المدينة بالخيل والرجل ولما قربوا من معسكر الاعداء بعثوا اليهم بالقواد المذكورين مقيدين وسير بجرمهم ما نووا فمثلوا بين يدي بونتيوس وجاء الرسول وقال لاحيث ان هؤلاء الرجال قد هادنوكم وعاهدوكم ولم يكونوا مأذونين في ذلك فقد قرفوا ذنباً عظيماً وعليه فنحن نسلمهم اليكم لتكون براءة من حوبة اما بوستيموس فلكي ينفي الشبهة ويجعل الحرب صريحة لا ريب ضرب السفير وقال له انا الآن سمنيتي وانت سفير روماني ولقد اعتديت عليك وخالفت الشرائع المرعية بين الامم فشهر الحرب صيانة لحرية ومجد امتك وزعم بوستيموس ان وراء الاكمة ما وراءها فاجاب السفير ان رام الرومانيون مراعاة العدل وحفظ شرفهم فليمضوا بموجب المعاهدة التي امضوها او فليرجعوا جنودهم الى مضيق كودوم ثم اشار الى بوستيموس وقال له اتريد ان تخدع الآلهة بمكرك وهل تظنهم يحسبونك سمنيتياً فيعدوا فعلك اهانة صادرة منا للشعب الروماني اهكذا تحتقر الدين والعهود ولكن هذه الاعمال لا تليق بمن يتولى الاحكام ولا بامة عظيمة ثم امر الشرط بفك رباط الاسراء واطلاقهم

وعد الرومانيون ما كان فشمروا واستعدوا للقتال وقد اتى حينئذ اراد القائد برومي ان يحرض جنوده على الثبات فلم يستطع لانهم حالما ابصروا الاعداء هجموا عليهم وهم مشهرون سيوفهم هجوم الاسود على من رام خطف اشبالها وصدموهم صدمة جبارة الى ان فشلوا عنهم واعملوا فيهم السيف لثار حتى اردوا منهم عدداً عديداً

وجرى بعد ذلك بعدة ايام وقعة اخرى ظهر فيها [illegible] في الوقعة الاولى من عزيمة وحب الاقدام وقد كادوا يوقعون بعسكر السمنيتي لولا توقيهم الفشل وبسعي من بقي منه وكان عددهم سبعة آلاف

رجل ممرو تحت النير وفي مقدمتهم بوسيوس سبب هذا البلاء

وكان السمنيتيون قدروا شجع امة في تلك البلاد يانفون من الخضوع لغيرها ويعدون الحرية بالارواح فلم تكن الحروب التي حدثت كافية لاذلالهم بل ثابروا على القتال مدة تسعة واربعين عاماً وكانوا تارة ينفردون في حرب الرومانيين وتارة يتحدون مع بعض امم كانت تنهض لانتصارهم خوفاً من رومه التي امتدت سلطتها حينئذٍ على كثير من مدن تلك الانحاء غير ان الظفر كان حليفها ودائماً فداست جنودها ارض الاعداء وقتلت منهم اناساً كثيرين حتى كادت انفس السمنيتيين تزهق فارسلوا سنة ٢٩٠ ق م رسلاً يسألونها السلام فرضي اغسطس بذلك وفوض امام هذا الامر الى القنصل كوريوس لدى خرب بلادهم واستولى على مدائنهم العامرة

وكان كوريوس هذا منصوفاً في عصر الى سيرة السمنيتيين ليعقدوا معه شروط الصلح وجدوه جالساً على كرسي خشب بالقرب من النار يطبخ عدساً فقدموا له دراهم ليسترضوه ويحملوه على مصلحتهم بالرفق والاحسان فنظر اليهم شزراً وقال لهم لا حاجة بكم ان تفتروني فرجوتم ان تستميلوني بالنضار ولكن اعلموا اني اود التسلط على ذوي الاموال لا ان اكون متمولاً فخذوا ما اتيتم به واخبروا من ارسلكم انه لا غلب بالمال والسلاح فوجد السمنيتيون ان لا راحة لهم الا في الخضوع التام لاعدائهم فطرحوا عنهم الكبر والخيلاء . ورضوا بكل ما شاءه كوريوس ان يبرمه وآبوا الى ارضهم آمنين تحت ظل العلم الروماني وخضع بعد ذلك الحين لرومية الصابيون بعد ان كانوا حاربوها زمناً طويلاً فعوملوا معاملة حسنة لصدق نيتهم القديمة وحسبوا في عداد الرومانيين

الفصل الثالث

قد قويت الآن شوكة رومية وعظم مقامها بين ايطاليا فاحدقت بها انصار مجاوريها ونبهت افكارهم الى سطوتها وعزموا رغماً في الحروب وبناتها فيها ليبسي لها حصع من نكبتها حصاعة فهرع بعضهم اليها مستجيراً ليأمن بوائق الدهر وغدره وحاول بعض التخلص من ربقة سلطتها فسامته خسفاً واذاقته عذاباً اليماً وكان في جنوب ايطاليا مدينة عظيمة اسمها ترنتوم قد استعمرها فئة يونانية من عهد بعيد المشهورين بالسعف والبطالة فحازت منذ نشأتها مالاً وفيراً وسطوة عظيمة وما مادتها الزمان انغمست في الملذات والترف فاضعف في النهر حبها للقتال وضعفت سطوتها

ونظر الترنتيون عظمة رومية وانضمام من يجاورهم اليها فاشفقوا على انفسهم منها والقوا الفتنة بينها وبين كثير من اعدائها القديمة ولا سيما الاتروريين والغاليين السامنيين فشب القتال واحتدمت نار الحرب غير ان تلك المعامع انجلت عن فوز الرومانيين بخضاع الاولين وابادة الاخرين عناداً هم على ما جرى آباؤهم بـ الترنتيون فكانوا جاهدين في مخافة على الحيدة كأن لا علم لهم بما جرى

واتفق ان فالريوس احد اميري مراكب الرومانية دخل مرفأ ترنتوم بعشر سفن وكان اهلها اخذين حينئذ في احراز العاب عمومية عصب تجاه البحر فوثبوا بالرومانيين آخذين نفسهم للتحمس ولشن الغارة عليهم لان المنافق الواشي لا يأمن احداً او كيف يأمن احد وهو عدو للجميع فاهملوا الالعاب وبادروا في الحال الى مرفأ فاغرقوا سفينة وقبضوا على ربع والجأوا الخمس الباقيات الى الفرار وعلم الرومانيون بما لحق بهم من الاهانة

فارسلوا الى ترنتوم سفراء يطلبون رضاً وتعويضاً فسخر الترنتيون منهم وردوهم خائبين فكان ذلك كما لا يخفى صفعة على الدولة

وكان الترنتيون قد خافوا من عملهم وانتبهوا الى سوء عاقبة ما فعلوهُ ونظروا الى من يجاورهم فلم يروا احداً قادراً على مساعدتهم فاستجاروا ببيرّس ملك أبيرس وهو اشجع نسل اليونانيين وقتئذٍ وقد كان مغرماً ومولعاً بالحروب والانتصار يشتهر ويحكي اسكندر المكدوني الكبير المعروف لدى الغربيين فلبى دعوة الترنتيين واخذ في الاستعداد

وكان عند هذا الملك حكيم ووزير يدعى اسمهُ سيناس قد قرأ على دمستينوس الخطيب اليوناني العظيم ولازمهُ وصار خطيباً كانت له سعة بعض الادب يسحر سامعيهِ ويستعمل اسلوب سحر الكلام والحكم فنجح في كل ما فوضهُ اليهِ مولاهُ حتى ان بيرّس كان يقول ان ما غنمهُ بفصاحة وتدبير سيناس لاكثر جداً مما غنمهُ بقوة ذراعي وسيفي وحدث ان هذا الوزير قال لبيرّس ذات يوم يا مولاي من المعلوم ان الرومانيين قوم اشداء ويتسلطون على امم كثيرة مشهورة بشجاعتها فما الذي نعملهُ بعد ان نغلبهم

— فاجابهُ بيرس متى غلبنا الرومانيين لا يبقى لنا منازع في تلك البلاد فناخذ مدائنها ونستولي على اموالها

— وماذا نعمل بعد ان نستولي على ايطاليا

— نخضع جزيرة صقلية ايضاً لانها وان كانت كثيرة المال والسكان لا تستطيع قتالنا من جراء الفتن الاهلية التي وهنت قواها

— حسن ولكن هل نقف عند هذا الحد

— كلا بل نجتاز الى افريقية وقرطجنة ونستولي على جميع ما هناك ثم نسترد مكدونيا ونخضع كل بلاد اليونان

— جيد ولكن ماذا نعمل بعد ذلك

— فضحك بيرس واجابهُ حينئذٍ نعيش عيشة راضية لاننا نمضي ايامنا

بالولائم وتعاطي المدام ومنادمة الخلان

– قال له سيناس ما الذي يمنعنا الآن يا مولاي من نيل هذه السعادة التي تود الحصول عليها بعد هذه الانتصارات العظيمة

ان ما فاه به هذا الوزير الفيلسوف لحري بان يكتب بماء الذهب وان يجعل للناس ما جيولا تبصرة وذكرى لينتبهوا الى الاسباب الحقيقية التي تحرمهم الراحة والسعادة لئلا تحملهم الاطماع على ارتكاب الاخطار وتحمل مشقات تجرعهم غالباً كاس المنية فمن جهل الانسان ومن غباوته عن حقائق كل ما يجب النعب امر محتوم عليه فلا يبرح كاسف البال رائد البال متوسداً فراش الهموم والغموم حتى يقع في براثن الموت ويدركه المنية وكم من الاغنياء الذين لو رضوا بما يملكون لعاشوا هم ومن يلدون احقاباً عديدة بالراحة والهناء ولكنهم كلما ازدادوا مالاً ازدادوا طمعاً وحرصاً حتى يستقبلوا عجلاً من آجال فيما كانوا منه يحاذرون

ولما كان بيرس لا يلتفت بغير الحرب والغارات لم يستصح بكلام وزيره الحكيم بل عاد اذناً صماء وارسله على الفور الى ترنتوم ليمهد سبيله هناك وينشر الترنتيين بقرب وصوله اليهم ثم جمع جيشاً جراراً وفي سنة ٢٧٩ ق. م وركب بهم البحر وما زالت سفنه ماخرة حتى وصلت الى ترنتوم فاحسنها وجنوده بالعز والاكرام واخذ في الاستعداد لقتال الرومانيين فكاتب قنصلهم بما معناه من بيرس الى لافينوس سلام قد علمت انك اتيت بجيش لمحاربة الترنتيين فاصرفه بلا مهل وتعال الي واعرض لي شكواك لانني متى سمعت دعوى الفريقين سأصدر في هذا الامر حكماً يجب على كل مراعاته اذ الويل لمن يخالفني فجاوبه لافينوس – علم يا بيرس اننا لا نرضاك حكماً ولا نخشى غضبك واني لاعجب كيف تدعي ان لك الحق بالحكم لنا او علينا وانت قد اهنتنا باحتلالك هذه البلاد اما الحكم الوحيد الذي نرفع اليه الشكوى فهو المريخ ابو الرومانيين وحامي جنودهم اذا الجيل بالثبات

يوماً تعثرت

حينئذٍ نهض بيبرس بجنوده وتقدم الى نهر بيبرس حيث كان الرومانيون معسكرين ونظر اليهم و بحسن ترتيبهم وحركاتهم العسكرية فالتفت الى احد اعوانه وقال له ان نظام هؤلاء البرابرة ليس بربرياً كما ان العرب يدعون العجم كل من يخالفهم جنساً ومعتقداً كذلك الرومانيون كانوا يطلقون اسم البرابرة على كل من الارض ما خلاهم؛ ويظهر انه خافهم فاراد اجتناب المعامع العظيمة لتطول الحرب ويتسنى له الحصول على امداد من بلاده غير ان الرومانيين لم يمكنهم الاصطبار فعبروا النهر واندفعوا على الابريين بشجاعة وثبات فالتقاهم هؤلاء بالخيل والرجل ونشبت الحرب واشتد القتال ولقد اظهر الملك بيبرس في تلك المعمعة تدبير قائد محنك خبير وبسالة مقاتل شهير وكان اذ ذاك لابساً لبساً فاخراً وسلاحاً بديعاً وضع منصفاً لا يتصور اعداؤه وهدفاً لضرباتهم وقد كاد يفقد حياته ذلك النهار لان فارساً بطلاً قصده دون سائر الجيش وطعنه طعنة اصابت جواده فسقط على الارض ميتاً ومات ذلك الفارس بسيوف غوار الملك

وحارب الرومانيون في ذلك النهار حرب ثبات الابطال وحاربوا حتى ثبات الابطال لدى محدث عدتهم المتتابعة حتى انهم كادوا يظفرون عليهم ويستكون بهم فتكاً ذريعاً لولا السنة التي اطلقها بيبرس والتي الفت في قلوبهم الرعب لانهم لم يبصروها قط ولم يعرفوا ما هي فرجعوا الى الوراء مذعورين ثم ولوا منهزمين فراراً من الموت وخوفاً من الاهوال وتركوا معسكرهم غنيمة للابريين واسر بيبرس منهم في هذه الوقعة الف وستة رجل عاملهم معاملة حسنة واعتبرهم غاية الاعتبار لانهم حسب رغبته ان يجاريهم ويمنحو في خدمته

وطار خبر هذه النصرة في الآفاق وعدها الناس من خوارق العادة لانه ولم يكن بيبرس مشهوراً وقد تغلب على امم كثيرة وكسار الرومانيين

وقتلهم وتركهم معسكرهم غنيمة للاعداء لان عظيم عبر مسير قد حير الافكار وفتح بابًا لشماتة ... والجدل في ذلك بعد الامير اليوناني لا برحالو كما روت ثقات المؤرخين مع ذلك بكر بيرس فرح بنصره لانه لما جاءه انه الترنتيون بتهنئة قال لهم نصر واحد كهذا ... يجرع الرومانيون ولا الخلاص من هذا الانكسار ... حشدوا جيشًا جديدًا وسلموا قيادته الى القنصل لافينوس الذي زحف به واعترض بيرس عند رجوعه الى ترنتوم فابى الملك محاربته ونكب راجعًا الى المدينة

واتى ترنتوم رسل رومانيون برئاسة فابريسيوس البطل المشهور شهرة عنه وصدقه وامانته وطلبوا مقابلة الملك ليحرروا شروط مبادلة الاسرى فضمهم بيرس ناديًا بعدم ... لكف العدوان وحسب ... سلام فرح واستبشر غير انه ما علم امر ... فابريسيوس وقال له قد سمعت انك كنت ملك رجل فاضل كريم و... ولكنك فقير ... مالًا وان ... شرف الرومانيين على واقعه ... ملك ... سوى ان تعهد في عقد الصلح وكف القتال ... الرحيل من عندي ... قبل ... التعصب في ... موافقتهم ولا تعجب من رغبتي في السلام لاني شغلًا ... حضوري عاجلًا الى بلادي وابقى معسكري ... لكوني ... وكون ملوك كثيرين قد نقضوا العهود ... ملك ... يكون كسبي له ... بيرس بعد ذلك ... منتظر لي رجل فاضل ... ملك كريم ... حق ... وعكك من اظهار ... عليك ... اليك فلتعاهد اذًا على الصدق ... صادقة ... على ... والسعادة

اجابه فابريسيوس ... فاني لا ... سوى ... وقطعة ارض احرثها ... واعيش من ... فلا ...

بين مواطنيّ الذين يقدرونني حق قدري ويحترمونني من الكبراء الواجب كرمهم كيف لا ورومية لا تعتدّ بامرء اذا لم يكن فاضلاً ونشيطاً وقد تقلدت عدة مناصب عالية واحرزت مجداً عظيماً فاذن نحولي سبباً للاهانة هو عندنا عين الفخار ولو كنت ارغب في الثروة واحب حشد الاموال لامكنني ذلك عند فتحي المدن وقهري الابطال والجيوش ولكني لا ابالي بالذهب والنضار وارى المجد كل المجد في امام واجدادي لاكون طاهر الذيل وواسع الشهرة

واراد بيرس ان يختبر شجاعة فبريسيوس فدعاه الى مكان للمحادثة وامر احد رجاله ان يأتي بأكبر الافيال ويخفيه خلفه حين حضوره فجاء وجلس فهجم الفيل عليه بغتة ومدّ خرطومه فوق رأسه فلم يتزعزع البتة بل التفت الى الملك وقال له وهو يتبسم اني لا ابالي بذهبك ولا بأفعى فيلك

وحدث عند المساء انهم خاضوا في حديث علماء الادب وفلاسفة اليونانيين فاخذ سيناس يتكلم عن ابيقورس ويشرح قواعد فلسفته قائلاً ان الآلهة لا تحب ولا تبغض ولا تشفق ولا تغضب ولا تبالي بالبشر على الاطلاق لا يهمها شيء ولا يشغلها شيء بل هي منهمكة ابداً بالمسرات وعليه فالانشراح هو اعظم نعمة يحرزها الانسان والحكيم من يبعد الهموم والغصص عنه لان كل ذلك مذهب السعادة فعند ذلك صرخ فابريسيوس مستنكراً وقال ايتها الآلهة فلتكن هكذا تعاليم اعدائنا حتى ننتصر عليهم واتفق مسعى الملك في اقناع فبريسيوس ان يتوسط له الصلح فارسل وزيره سيناس الى رومية ليخابر مجلس الشيوخ بذلك واصحبه بالتحف الثمينة للكبراء ولما كان سيناس كما تقدم المقال طلق اللسان فيه ملكة استرضاء كثير من الآباء وكاد يفوز بمسعاه لولا ابيوس الشيخ الذي على رغم سقامه ووهن قوته اتى دار الندوة محمولاً على كرسي وخطب خطبة بها اعرب فيه عن عجب فقه بقاء ليحدث وصيته لشرف الرومانيين وكان لخطابه هذا وقع

عظيم في قلوب الحاضرين فاجمعوا جميعاً على رد الوزير اليوناني وعدم اجابتهِ سؤاله بقولهم اننا لا نخابر بيرس بصلح ولا نعاهدهُ بعهد طالما هو محتل ايطاليا ولكنا نبذل جهدنا في مداومة حربه ولو انتصر على الف قائد مثل لبينوس فغادر سيناس في ذلك النهار رومية ورجع الى ترنتوم فقيل ان بيرس سأله عند رجوعه كيف رأيت مدينة الرومانيين ومجلسهم فاجابهُ ان رومية ظهرت هيكلاً ومجلسها كمؤتمر ملوك

وفي سنة ٢٧٧ ق م كان فبريسيوس قنصلاً وقائداً للجيوش فارسل اليه رئيس اطباء بيرس كتاباً يعرض فيه رغبته في سم الملك لانهاء الحرب وراحة العباد من شره اذا كان الرومانيون يجيزونه على ذلك فعجب من دناءة ورداءة هذا الطبيب الخائن اللئيم وكتب في الحال الى الامير اليوناني ما يأتي من فابريسيوس واميليوس القنصلين الى الملك بيرس سلام قد اخطأت ايها الملك في اختيار اصدقائك واعدائك لانك متى قرأت الكتاب المرسل الينا من احد عونك تعلم انك تقاتل اناساً شرفاء وصالحين وتأمن رجالاً طغاماً خائنين واننا قد بادرنا الى اعلامك بحضور الخيانة لك لا رغبة في صيانتك او تعريفك بها ولكن حذراً من قول قائل اننا ما نستطيع قهرك بغير مساعدة الغش والخيانة فلما علم بيرس حين سمع ذلك قال ان تحويل سير الشمس فيه اسهل من فساد اخلاق فبريسيوس الشهم العادل

وكان السمنيتيون قد خضعوا من مدة للرومانيين وكرهوا حكم الاجنبي وسلطة الغريب وطلبوا الى بيرس ان يأتي بلادهم يعينهم على طردهم منها فلبى بيرس دعوتهم بعد ان وافق منهم تحمسهم لنصرته واقبل وقاتل القرطجنيين قتالاً لا يبقي ولا يذر فاخضعهم ثم رجع الى ... من مقتبه وبأسوا لما حلاله عودتهم ازمان عمد الى ... قوس ... بحر الاهبين من ... لقسم فتسلموا منه ومنوا جنود ... ومفسدين

احراقًا دعا كلٌّ منها بعضًا من العرباء لانقاذهم فاسرع اليهم القرطجيون بجنودهم وعملوا معهم على تكديره وتنكيده وحدث في ذلك الوقت ان الترنتيين وحلفاءهم تألموا من حرب الرومانيين بعد رحيل الامير اليوناني في ضيق لحاق فارسلوا اليه رسلاً يسألونه امدادًا فحضر اليهم على جناح السرعة لانهُ أصبح في سيسيليا محفوفًا بالعداء والاخطار . حكى المؤرخون انهُ قال عند تركهِ الجزيرة من اعظم هذا المكان لما اجدي معركة ساحة لقتال الرومانيين والقرطجنيين

واحيا بيرس بقدومهِ روح الشجاعة في قلوب الترنتيين فنهضوا الى القتال وخرجوا معهُ بشكر والكدح وكان الرومانيون قد اقاموا قنصلاً كوريوس الشهير في الزهد والبسالة وسلموا اليهِ قيادة جنود فالتقى الجيشان بالقرب من مدينة بينفنتوم فنشبت الحرب وكانت مهولة وبلوغ أن الرومانيين قد اعتادوا منظر الافيال مع ترغيم السنة بل كانوا يقطعون خراطيمها بسيوفهم او يرمونها بسهام مشتعلة فكانت تنفر مذعورة وترتد الى الوراء فتدوس الابريين ولم يستطع بيرس الثبات في ذلك النهار امام اعدائهِ بل ولى هاربًا وترك معسكرهُ غنيمة للرومانيين وبعد ان أقام بضعة ايام في ترنتوم غادرها ورحل سنة ٢٧٤ ق . م الى ابيرس ولما كان هذا الملك لا يرتاح الى السلام ولا يعرف راحة بغير الحروب والانتصاب بادر سنة ٢٧٠ ق م الى محاصرة ارغوس في بلاد اليونان وكاد يستولي عليها لو لم يخر صريعًا بحجر رمتهُ بهِ احدى النساء من سطح بيتها

واخضع الرومانيون ترنتوم سنة ٢٧١ ق . م وجاربوا الامم الباقية التي حاربت بيرس او جاهرت بالعدوان فذللوها واستولوا على مدائنها وهكذا امتدت سلطتهم على شعوب ايطاليا كافة واصبحت رومية ام المدائن حقيقة وعاصمة تلك البلاد

الباب الرابع

من ابتداء الحرب القرطجية الاولى سنة ٢٦٤
الى انتهاء الحرب الثانية سنة ٢٠١ ق.م
أو
من سنة ٤٨٩ الى سنة ٥٥٢ ب.ر

توطئة

ان ما قاله بيرس عند رحيله من سيسيليا سيتم قريباً لان هذه الجزيرة ستصبح عن قليل ساحة لقتال الرومانيين والقرطجيين وستحدث فيها حروب مهولة وشهيرة في تاريخ الانسان. اما الامير الابيري فلم يقل ما قاله عن وهم والهام ولكنه رأى هاتين الامتين آخذتين في افتتاح المدائن والبلدان بسرعة عظيمة وتتقاربان كل سنة اكثر فاكثر فلم يعسر عليه الحكم انهما ستتعاديان ولما كان موقناً ان الرومانيين سيخضعون ايطاليا قبل ان يتسنى للقرطجيين الاستيلاء على سيسيليا علم ان الجزيرة المذكورة ستكون داعية الى النزاع وشبوب نار حرب لا تخمد الا باذلال احد الفريقين وانما نذكر فيما ياتي من الكلام سبب هذه الفتنة الكبرى الناتج بلا ريب عن انقسام الحزبين ونصف احوالهم مع الالماع الى تاريخ عدوة رومية فكاهة للقراء وتتمة للفائدة فنقول ان اغاثوكلس ملك سيراكوزا استأجر ايام ملكه عدة عديدة من الكامبانيين الذين دعوا مرتزقين واستخدمهم عساكر واعواناً له ولما مات هذا الامير لم يعامل السيراكوزيون بالمامرتينيين المذكورين بل

سنوهم حسنًا فرحل هؤلاء الى مسينيا وحلوا فيها ضيوفًا مكرمين الا انهم خانوا الاهلين فذبحوا قسمًا منهم وطردوا الباقين واستولوا على املاكهم وذبحوا نسائهم وحيما اتى بيرس ايطاليا وخشي سكان ريجيوم خوفًا منه واشفقوا على انفسهم من القرطجنيين فمضوا الى مجلس رومية ان يمدهم بالجنود فارسل اليهم المجلس حينئذ جيشًا من كامبانيا فمشى هؤلاء الكامبانيون بادئ بدء على سنن العدل والانصاف عن عين أوامر قوادهم غير انهم لم يلبثوا زمنًا طويلًا حتى فسدت اخلاقهم لكثرة ملاهي المدينة ووفرة اسباب النعم والترف فابطرتهم النعمة وعاملوا سكان ريجيوم بمساوة زرية كما عامل اخوانهم المامرتيون اهالي مسينيا

ولم يقدر الرومانيون حينئذ ان يناصبوا هذه الفئة العاصية الطاغية حربًا على ما جنته من سوء الفعال وشر المساوى. لاشتغالهم بحرب بيرس وحلفائه فلما خلا لهم الجو ورحل بيرس من البلاد مدحورًا ارسلوا كتيبة الى ريجيوم وحاصروها واستولوا عليها عنوة وقبضوا على فئة من اولئك العصاة وقادوا الذين في رومية مكبلين بالسلاسل وبعد ان جلدوهم جلدًا عنيفًا ادمى منهم الابدان ضربوا اعناقهم وارجعوا سكان ريجيوم الاولين الى وطنهم وردوا عليهم عقارتهم وما فقدوهُ

واغار أيرون ملك سيراكوزا بعد سنة اعوام على المامرتيين فاذاقهم حربًا تشيب الاطفال فولوا منهزمين الى مدينتهم مذعورين وباتوا بها حائرين في امرهم لا يدرون ما يفعلون فاستصرخ بعضهم القرطجنيين وسلم اليهم القلعة وارسل بعضهم سفراء الى رومية يطلب نجدة فنظر الرومانيون الى هذا الامر نظرة عادل حكيم لانهم عرفوا ما دون اسعاف هؤلاء الطغام من الاهانة والعار كيف لا وهم الاولى قد اماتوا عساكرهم الكامبانيين الذين تعدوا على اهل ريجيوم شر ميتة وجعلوهم عبرة لمن يتمادى في الطغيان ويعدل القوم الظالمون لكنهم رأوا القرطجنيين قد تمكنوا

قسماً كبيراً مخصباً من افريقية واستولوا على جزء من اسبانيا وفتحوا سردينيا وجزر ايطاليا وامتدت سلطتهم على مدن كثيرة في سيسيليا فعلموا علم اليقين انهم ان لم يبادروا الى قتالهم يملكوا قريباً مسينا وسيراكوزا وسائر مدن هذه الجزيرة العظيمة فتصبح ايطاليا وسكانها في خطر عظيم منهم فقرر المجلس ارسال الجيش لمحاربتهم وسلم قيادته الى القنصل ابيوس قبل ان ابيوس هد لكي يتجسس احوال الاعداء ويكون على بصيرة في قتالهم ذهب الى مسينا وحده وتولى قيادة الجيش المامرتيني وحارب القرطجنيين واكرههم على تسليم القلعة ثم رجع الى ايطاليا واخذ في الاستعداد ليجتاز وجنوده الى سيسيليا كما سياتي بيان ذلك في الفصل الاول من هذا الباب

قرطجنة

قال المؤرخون ان اليسا الاميرة الصورية المعروفة بديدو تزوجت خالها او عمها اسرباس المشهور وقتئذٍ بالثروة في تلك البلاد وكان اخوها بيجماليون ملك صور طمعاً بخيلاً فقتل اسرباس ليستولي على امواله الوافرة اما ديدو فلم تمكنه من ذلك بل جمعت تلك الاموال ورحلت مع كثيرين من اصدقائها واتباعها الى ساحل افريقيا بين تونس واتيكا الآن (بوشاطر) واشترت قطعة ارض من الوطنيين وبنت فيها دسكرة دعتها بيرسا سكنت هي ومن معها ثم بنت بعد ذلك مدينة قرطجنة المدعوة قرطادو باللسان الفينيقي اي المدينة الجديدة وكان القرطجنيون الاولون يحبون السلام ولا يميلون لغير التجارة وجمع الاموال وكانوا يقدمون للوطنيين كل سنة مقداراً معلوماً من الدراهم كجزية او اجرة الاراضي التي اخذوها منهم الا انه لما قويت شوكتهم وكثر مالهم ابوا من ذلك ورفضوا

دفع الجزية المفروضة عليهم فحاربوا الوطنيين واخضعوا كثيرين منهم ثم سرت فيهم روح الاصلاح ومحبة الفتوحات فاستولوا على الجزر القريبة منهم وفتحوا مالطة وغيرها وارسلوا من مدنهم أقواماً يستعمرون سواحل افريقية من اعمدة هركيلس (بوغاز جبل طارق) الى خليج سيرتس الكبير (في اراضي طرابلس الغرب) وما زالوا يتقدمون في اعمالهم آمنين حتى دهمهم الرومانيون في سيسيليا ونشبت الحرب الفرنجية الاولى التي اضرم نارها الحسد والطمع

الفصل الاول

وعلم الفرنجيون باستيلاء اعدائهم على قسم سيسيليا فغضبوا وهاجوا هيجاناً عظيماً وامروا في الحال بنصب القتال وارسال جيوش جديدة واسطول منيع ليحاصروا مسينا برا وبحراً وجعلوا قائدهم في ذلك الجيش هيرون ملك سيراكوز ورجعت جنوده لمساعدتهم ومحاربة المامرتيين شدة بغضه واحقاده من هذه الفئة العاتية الطاغية

واتى في ذلك ابيوس القائد الروماني بعساكره وحل مدينة رجيوم ليعبر منها الى مسينا ويستمر لاخذها غير انه رأى دون ذلك خرط القتاد كيف لا ويعين الفرنجيين دائماً له بالمرصاد لترقب حركاته وتمنعه من ركوب البحر واصبح في قبضتهم لانهم كانوا ملوك البحار لا يعرفون ولا يجارون في ميدانها فارتد الى لورقة وشرع في رومية فاغتر الفرنجيون بجيشهم واعتمدوا على ذلك لكن تربص ابيوس قليلاً حتى اذا كانت ليلة حالكة الاديم ركب ومن معه البحر في غفلة منهم لترتيبهم وعبروا واحتلوا مسينا آمنين

ولم ترع أبيوس كثرة عدد الاعداء ووفرة عددهم بل خرج بجنوده وقاتل أيرون ملك سيركوزا فكسره وبدد شمل عسكره وجمع الاسلاب ورجع الى المدينة عينها ظافراً وكان ايرون قد فطن الى ركوبه الشطط بمساعدته القرطجنيين على اهل بلاده وتهديده بذلك لم يسل اخضاعه واذلال السيسليين كافة فارتد الى مدينته واقام فيها صابراً ليرى ما يكون

ونشط أبيوس بعد هذه النصرة في بكر والكسح فتقدم حالاً الى معسكر القرطجنيين ودهمهم بغتة ففتك بهم فتكاً ذريعاً والجأهم الى الفرار ثم جال في البلاد وغزا مدنها واتى سيركوزا والقى عليها الحصار وامدّ الرومانيون اذ ذاك جنودهم في سيسيليا بفرق جديدة فعززت شوكتهم وزادت قوتهم هناك ففتحت لهم مدن كثيرة ابوابها وسلمت اليهم حصونها راغبة في محالفتهم ورأى أيرون ان محالفة الرومانيين اجدى له نفعاً من محالفة القرطجنيين فحالفهم في ذلك وعاهدهم عهد صداقة لم يحل عنه حتى الممات وكان هذا الملك محباً لرعاياه وراغباً في نفعهم فعاش محبوباً ومكرماً من الجميع

وجرت بعد ذلك بين القرطجنيين والرومانيين عدة وقائع لا سيما بالقرب من مدينة اكرجنتوم حيث كان القرطجنيون متحصنين وكان الظفر خاضعاً للواء الامة الرومانية فانتصرت على عدوتها واستولت سنة ٢٦١ ق م على مدينة اكرجنتوم المذكورة فاذلت اهلها وسلبتهم ثروتهم

ولما كانت لقرطجنة سلطنة في البحر لم يتمكن الرومانيون من الاستيلاء على جميع سيسيليا لان مدنها البحرية ابت الخضوع لهم خوفاً من اعدائهم القرطجنيين وعلمت رومة انه لا يستتب لها الامر الا اذا انشأت سفناً حربية تحاكي عدوتها وتمنع هجماتها على شواطئها متى سنحت لها الفرصة ولكن أنى لها ذلك وهي لا تعرف من فن بناء السفن الدقيقة شيئاً

وحدث ان سفينة قرطجنية صغيرة قذفتها الامواج الى البر فاخذها

الرومانيون مثالاً لبناء سفنهم الحربية واقبلوا على العمل بحذاقة وثبات ونشاط فاتحروا في مدى شهرين مائة وعشرين سفينة التي وان تكن بطيئة الحركة في سيرها لجهل او عدم خبرة صانعيها فهي تشهد بذكاء هذه الامة وعلو مداركها وتظهر لنا جليًّا ما للاجتهاد والثبات من المنفعة في اعمال البشر

ولما كان الرومانيون لا يمكنهم مجاراة اعدائهم بمراكبهم هذه استنبطوا آلة دعوها الغراب وهي اشبه بجسر ملموم في سفن القرطجنيين ويمرون عليه ليكافحوهم ويبارزوهم في مراكبهم كأنهم وهم فوق لجج البحار خائضون عجاج الحرب في سهل عظيم ولقد افادهم هذا الاستنباط فوق ما كانوا يأملون لان القرطجنيين لم يبالوا بهم ولم يعلموا بهذه الدروة فهجموا عليهم سنة ٢٥٩ ق . م باحتقار وبلا ترتيب فبادر اليهم الرومانيون بآلاتهم وامسكوهم بها كي لا يمكنهم الفرار ثم انقضوا عليهم انقضاض الصواعق فقتلوا منهم عدداً عديداً واستولوا على بعض سفنهم واغرقوا بعضاً ولم يفلت من ايديهم سوى نزر رأى العبرة في غيره فاعتبر وولى هارباً فراراً من الموت الزؤام اما دوبليوس امير المراكب الرومانية فاحتفل بنصرته هذه بحفلة لم يرَ قط مثلها في الاعصر السالفة ومع خفوق وجار بعمامت بسه قط قائد قبلاً واقيم له في الفوروم تذكارٌ لعمود رخامي ابيض نقش عليه صورة مقدم سفينة وكتابات حرى فكان كل ذلك دليلاً بيناً على سرورهم العظيم بانتصارهم بكونه اولاً واستولوا بعد هذا على جزيرتي كورسيكا وسردينيا وقهروا القرطجنيين في عدة مواقع بحرية وكان النصر تابعاً سفنهم حيثما ذهبوا واينما حلّوا

وفي سنة ٢٥٥ ق . م كان رغولس احد القنصلين قائداً لجيوش البر والبحر فبعد ان انتصر مراراً على القرطجنيين أمر بالذهاب الى وطن محاربيهم في بلادهم فنال القنصل لسعة هذا الامر تكدر جداً وكتب الى المجلس يقول بان عند وفاة مزارعه قد عرض امر قطعة ارضه

الصغيرة الى أخير بعضة بسبب آلات الزراعة واسدار وغيره محصورة واجب ليصرفى أمر لبيان [illegible] مرتبه واولاده فقرر المجلس حينئذ تعويضه [illegible] خسره والاعتناء بارضه وتقدم لبعث اللازمة [illegible] من الحربية عمومية فاض [illegible] بذلك [illegible] وذهب الى البلاد الافريقية فاستولى على مدن كثيرة منها وكسر جيوش القرطجنيين بالقرب من مدينة قادس ثم زحف الى تونس وملكها واحد يضايق القرطجنيين

روي ان رغولس [illegible] في البلاد الافريقية وعسكر على ضفاف نهر [illegible] الذي يصب في البحر بالقرب من قرطجنة [illegible] ارتحال [illegible] في النهر [illegible] جدًا حتى [illegible] [illegible] جدًا [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] رسالة الى رغولس [illegible] درگات [illegible] [illegible] في ساحة [illegible] [illegible] بعد الاكثر

[illegible] القرطجنيون في ذلك الاوان [illegible] من [illegible] وكان [illegible] رجلاً خبيرًا بالفنون الحربية [illegible]

نظاماً جديداً وخرج بهم وهجموا لمحاربة الرومانيين فنشب القتال وكان رغولس قد احتقر الاعداء فلم يكترث لهم وهجم عليهم برجاله بعجلة كساعٍ لادراك المفاخر والمنى فانكسر امامهم ووقع أسيراً في يدهم وقتل القرطجنيون في ذلك النهار من جنوده عدداً عديداً فسقوط رغولس يعلمنا الاتضاع ووجوب الاحتراس أن نحذر من غدر الدهر وصروف الزمان لئلا تذهب بنا الصلف الى حيث لا نرغب ويحق للقرطجنيين ان يظهر لهم صحة ما قاله احد الحكماء ان رجلاً عاقلاً قد غلب جهل كثيرين وان من لا يحترس من الدهر يصبح كواقف على شفا جرفٍ هارٍ ويكون سقوطه لا محالة قريباً

ومضت سنوات لم يحدث فيها سوى وقعتين مهمتين دل للرومانيين في كسبهم النصر احداهما وقعة بحرية حدثت سنة ١٥٩ ق م بالقرب من راس مركوري الان راس الطرف الاحمر قتل فيها للقرطجنيين مئة واربع عشرة سفينة والاخرى حدثت سنة ٢٥٠ ق م في ارض صقلية قرب بالرمو قتل فيها قسم عظيم من جنود القرطجنيين في سيسيليا وأسر منهم بعض رجال كثيرون فحدثت بذلك روح الشجاعة والحمية في صدور الرومانيين وعولوا على تجهيز جيوش جديدة لانهاء حرب دموية قد نشب سعيرها من زمان طويل

وفي سنة ٢٤٩ ق م ارسل القرطجنيون الى رومية رغولس ليتوسط لهم للصلح ومبادلة الاسرى وحلفوه يميناً أن يعود الى قرطجنة اذا اخفق مسعاه لدى مجلس الشيوخ الروماني واصحبوه سفراء ليبلغوا هذه الرسالة ويكونوا شهوداً على صدق مخابرتهم ولما وصلوا الى رومية ابى رغولس أن يدخل اليها قائلاً انه خسر حقوقه الوطنية بكونه عبداً لدولة اجنبية وانه لا يحق له ان يخالف قوانين وعوائد بلاده لمداخلة المجلس عن موجهة الغرباء خارج الاسوار وجاءت اليه امرأته واولاده ليشاهدوه فلم يعتن بهم ولم ينظر اليهم بل أطرق اطرق

مستحق من عبوديته وغير اهل للاكرام فاجتمع الآباء خارج المدينة وامروا
الرسل بعرض حاجتهم ثم تذاكروا مليًّا وسألوا رغولس عن رأيه في هذا
الامر فاجابهم ايها الآباء اني عبد قرطجنة قد ارسلني موالي لاخابركم بشان
الصلح او مبادلة الاسراء فألحّ عليه المجلس بان يقول بحرية ما يرتئيه فاجابهم
ايها الرومانيون اني موقن بيأسكم من هذه الحرب التي تحتملون لاجلها مشقات
عظيمة فاعتصموا بالثبات لان الثبات واجب لدى النوازل الجلى واعلموا
ان القرطجنيين في ضيق عظيم اذ شتان بين حالكم وحالتهم فالنصر كان في
الغالب معقودًا بلوائكم وجزيرة سيسيليا ما خلا مدينتين منها في ملك لكم
واسطولكم العديد قهر البحار وبث الرعب في قلوب من ناوأكم وان امركم مطاع
حيثما تملكون وحلفاؤكم يتبارون في خدمتكم متفاخرين اما قرطجنة فقد نفد
مالها ولا تأمن حلفاءها كثيرًا وان نظرتم الى جيوشكم ترونها مؤلفة من
رجال امة واحدة تربطها عرى المحبة والوطنية اما جيوش قرطجنة فمؤلفة من
رجال غرباء قد تجندوا طمعًا في المال وساء عيونا ولا تضعوا الثقة في مهادنة
اعدائنا ولا ارى مبادلتهم الاسراء رأيًا سديدًا لانه يوجد عندكم في الاسر
ثلثة عشر قائدًا فنحن قادرون على محاربتكم متى سنحت الفرصة اما هم فلم
يأسروا قائدًا غيري واني الآن قد شخت فلا تأملوا مني نفعًا والاسراء
القرطجنيون الباقون لاكثر جدًا من اسرانا فاذا بادلتموهم تكونون من
الخاسرين

فقرر المجلس ما ارتآه هذا البطل الشجاع ورد رسل القرطجنيين خائبين
الا انه سمح لرغولس ان يبقى في رومية اذا اراد لان يمينه فاسدة لكونه اكره
على حلفها اما هو فلم يبالِ او بالحري لم يرد ان يبالي بتوسلات اصدقائه
وتحيب امرأته واولاده بل رجع الى قرطجنة غير جاهل العذاب المعدّ له
هناك وهكذا آثر هذا البطل العظيم ان يتجرع الموت الزؤام على ان يحنث
بيمينه ولما وصل الى قرطجنة وعلم القرطجنيون بما قال وفعل في رومية حكموا

عينيه بعذابات تقشعر منها الابدان ثم اماتوه صلبًا

واهاج موت رغولس دواعي البغض والشحناء في قلوب الرومانيين فثاروا على القرطجنيين في حربه العربية من سيسيليا حربًا عوانًا دامت تسعة اعوام قُهروا فيها مرارًا الا انهم انتصروا اخيرًا على اعدائهم واستولوا على مدينة ليليبوم (الان مارسالا) وهي أحصن مدينة في تلك البلاد وحطموا سفنهم الحربية سنة ٢٤١ ق م بالقرب من جزر أغاتس وكرهوهم على طلب السلام فعُقد الصلح سنة ٢٤١ ق م وبذلك تكون مدة الحرب القرطجنية الاولى اربعًا وعشرين سنة اما الشروط التي اتفقت عليها الامتان فهي هذه

اولاً يجب على القرطجنيين ان يخلوا كل بلاد سيسيليا والجزر المجاورة لها

ثانيًا يلزمهم تسليم الاسرى الرومانيين بلا فداء.

ثالثًا يدفعون للرومانيين بمدى عشر سنوات ثلثة آلاف وزنة فضة

رابعًا لا يمكنهم محاربة ملك هيرون ولا احدًا من حلفاء رومة ولا يمكن الرومانيين ايضًا الاعتداء على حلفاء قرطجنة

خامسًا لا يمكن احد الفريقين المتعاهدين بناء حصن في اراضي الآخر ولا تجهيز عسكر من البلاد الخاضعة له

سادسًا لا يمكن احدًا منهم ايضًا ان يتحد مع حلفاء الآخر

وجعلت جزيرة سيسيليا ما عدا سيراكوز ولاية رومانية اي امة يحكمها والٍ روماني يعين في كل سنة وتكون خاضعة لقوانين وشرائع رومة وأُرسل اليها خازن لجباية المكوس التي فرضت على الاهلين وكانت هذه المكوس على نوعين اما مقررة وهي مقدار معين من الدراهم يقدمونه للحربية كل عام نظير جزية وغير مقررة وهي عشور الغلال والرسوم المأخوذة على البضائع الصادرة والواردة

الفصل الثاني

ان بخل وطمع القرطجنيين الذين اعتادوا تفضيل الدراهم على كل شيء في العالم أثارا عليهم فتنة كبرى وحرباً عواناً ذاقوا من هولها عذاب السعير وذلك انهم رفضوا تأدية أجرة الجنود التي استأجروها لمحاربة الرومانيين وبالحري ارادوا تخفيض تلك الاجرة غير عابئين بما دون ذلك من خطر النتائج لانه كيف يمكن رجالاً غرباء قد قدموا على سفك دمائهم للانتصار لهم رغبة في المال يصرفون عنهم بسلام اذا لم ينقدوا اجرتهم المعينة بالتمام وأي انسان عادل يستحل صرف جنود قد خاطرت بحياتها في خدمته ولا يعطيها مكافأة على تلك الخدمات او من يا ترى يستطيع ان يهضم حقوق قوم لا يمكنه قتالهم ولقد ارتكب القرطجنيون في هذا الامر غلطاً فادحاً بان سمحوا لاولئك الغرباء في الاجتماع خارج المدينة وبارسال اولادهم ونسائهم اليهم لانه كان أجدر بهم ان يفرقوهم ليضعفوهم وان يقبضوا على اولادهم ونسائهم كرهائن لاكراههم على الطاعة والانقياد لاوامرهم وان تكن طائلة

ولما رأى هؤلاء الغرباء ما آل امرهم اليه هجموا على المدينة وحاربوها ونهض مساعدتهم النوميديون سكان جزائر العرب الذين ثاروا وقتئذ في طلب الحرية فدامت الحرب ثلث سنوات واربعة اشهر ولم تنته الا على يد أملكار القائد القرطجني الذي احاط بالاعداء احاطة الاسورة بالمعاصم فمنع القوت والامداد من الوصول اليهم فمات بعضهم جوعاً وبعضهم قتلاً وأُسر الباقون وصلبوا ودعيت هذه الحرب الحرب غير المغتفرة لسبب الفظائع التي جرت والقساوة البربرية التي أظهرها الفريقان المتحاربان

ويلوح ان الرومانيين لم يفرحوا بصفو اهالي قرطجنة من جراء هذه

السنة ولم يسعوا في زيادة ضعف هذه المدينة الشهيرة ليغنوا بخرابها صرح مجدهم بل حافظوا على شروط العهدة وساعدوهم مرارًا كاصدقاء وجنوا سبيل رجالهم الذين اسروهم في الحرب السيسيلية وسعوا لتجار الرومانيين ان يمدوها بما يعوزها وقطعوا صلاتهم الحبية والتجارية مع اعدائها وحدث ان شعب اتيكا في شاطر اعصى القرطجنيين وطلب تسليم المدينة الى الرومانيين فرفض هولاء الاستيلاء عليها وكان العسكر المستأجرون في جزيرة سردينيا قد ثاروا على الحكومة محتنة وارادوا ان يملكوها الرومانيين فابوا ذلك مراعاة للعهدة وخوفًا من الخيانة على انها اذا تاملنا في اعمال الرومانيين بعد هذه الحادثة نرى ورآء ما اظهروه من الصداقة حكمة واطماعًا لانهم نظروا الى قرطجنة نظرة عاقل بصير وعلموا ان هذه الدولة العظيمة متوقف نجاحها وخرابها على قائدها أملكار البرقا الذي لو سقط في ايدي العصاة لاصبحت بلاده في موقف حرج والجأتها الاحوال الى الخضوع لرومية مرارًا من شر محاربيها الطغام فرضوا قبلا ان يدولوا بكون ويكسبوا محبة القرطجنيين النصف والاحسان اليهم الا انه لما انتهى القتال وخرجت قرطجنة منه ظافرة وعمدت الى استرجاع سردينيا رأت رومية رفع الصداقة وارسلت احد قنصليها للاستيلاء على جزيرتي سردينيا وكورسيكا وحاربت القرطجنيين محتجة بانهم عدو ... ... فيه وتركت عدوها حافدة عليها ابدًا ولم تصرف عنها الاعين ... حدث منها الف ومائتين ربة فضة فمن ان ذلك كان من اعظم الاسباب التي اثارت حرب القرطجنية الثانية وولدت في قلب ... ... الرومانيين ورغبة في الانتقام منهم

وكان ملك البلاد الافريقية الواقعة في الجهة الغربية من قرطجنية ... ... الاحكام ... ... وكانت هذه ... ... جهة فلم تصرف همها في تحسين ادارة مملكتها بل جهدت في تعميم شعبها

السرقة وكانت مراكبها تجول في البحر لتعتدي على المسافرين وتنهب ما يمكنها نهبه وغتاظ الرومانيون من هذه الافعال وارسلوا اليها سفيرين يسألانها تأديب القرصان ومنع رعاياها عن حرفة تلك الاعمال فالملكة اجابتهم انها ستبذل ما في وسعها لاجتناب الاضرار التي تلحق الرومانيين ولكنها لا تستطيع ان تحظر على قومها الجولان في البحار للكسب وطلب المعاش فقال لها احد السفيرين ان الرومانيين قد عادوا الاستقامة من اية امة كانت لديهم بمعرفة بعض رجالها وسيمكنهم بحول الآلهة ان يؤدبوا المعتدين وان يصلحوا هذا الخلل فحنقت الملكة من كلامه وامرت بذبح الرسولين عند رجوعهم الى الاوطان ولما سمع رومية خبر قتلهم هاج الشعب هيجة عظيمة وجهز المجلس مائتي سفينة حربية وعشرين الف جندي لمحاربة الايليريين وحرب السواحل اليونانية فسار القنصلان بالمراكب والجيش واحتلا مدينة كورة اسمها ابولونيا وهي مفتاح البلاد الايلرية من جهة مكدونية ثم تقدما وافتتحا عدة مدن اخرى بعد ما قبضا على القرصان واذلا المعتدين سنة ٢٢٨ ق م وابرما صلحاً مع الملكة بشروط منها ان تنقد الرومانيين جزية معلومة في كل سنة وان تسلم اليهم كل البلاد ما خلا بعض مدن تبقى للملك القاصر الذي اقيم وصياً عليه ديمتريوس من جزيرة فاروس في بحر الادرياتيك

وكانت رومية مهتمة بعد ذلك في محاربة الغاليين كما سنعرفه فظن ديمتريوس ان الاوان قد آن لجمع شمل هذه الامة وتوسيع نطاق املاكه فنقض العهود واعتدى على حماية الرومانيين وجهز عدة ارسلها نحو جزائر الارخبيل وحاصر مدينة [illegible] في [illegible] وجمع جنوداً [illegible] جزيرة فاروس فحاربه القنصلان سيبون واميليوس سنة ١٨ ق م واستوليا على [illegible] بعد حصار سبعة ايام ثم [illegible] فاروس وفتحاها [illegible] اما جميع البلاد [illegible] على ذلك

العصر لان ما حدث اولاً وثانياً كان ناتجاً عن اطماع وجهل وضعيف

وقبل انتهاء حرب الاسرة الاولى سنة ٢٢٦ اتحد الغاليون القاطنون ما يقرب من نهر بو ويتقدمون في أراضي الجمهورية فجزع الرومانيون من هولاء الاقوام الذين خربوا بلادهم سابقاً وكادوا يجعلونهم في عداد الامم البائدة وكان الشعب يرتعد في ذلك من الغاليين واليونانيين سيستولون يوماً على رومية كما انبأت بذلك السحرة وبعض الكهنة في النبوة ثم دفن رجل وامرأة غاليين ورجل وامرأة يونانيين احياء في شوارع المدينة ففعل جمهور هذا الفعل البربري الشنيع واعتقدوا ان الغاليين واليونانيين قد استولوا بهذا الامر حقيقة على رومية كما اشارت كتب المشعوذين وتمت نبوة من كان يعتقدها ويعتقد صدق النبوة فلا ريب ان جهل ذلك العصر وعدم قبول الانسان يستعبده لبعض الخرافات ويقوده بسلاسل الاوهام

وحمل القناصل سنة ٢٢٥ ق م بعسكر وفير من الرومانيين والامم الخاضعة لهم وبعد محاربة الغاليين فهزموهم عند رأس تلامون على بعد ثلاثة ايام من رومية فضعف الغاليون وكان مهولاً من جنود الرومانية فسطوت خيرة على اعدائهم لسبب تقدمهم بعض وسلاحهم الماضي وقتل منهم اربعين الف رجل واستولى الرومانيون على جميع البلاد الواقعة في جهة الغربية من بو ثم عبروا هذا النهر واخذوا مدينة ميلان قاعدة الانسوبريين سنة ٢٢٣ و ٢٢٢ ق م وعقب انفصال [illegible] جميع [illegible] على جميع [illegible]

الفصل الثالث

في الحرب القرطجنية الثانية

او حرب هنيبال

قد مرّت الآن على قرطجنة مدة ثلاث وعشرين عاماً بعد خضوعها لاحكام الجمهورية الرومانية ووقوعها على اثر الحرب الاولى عهدة سلبت حقوقها واذلتها بين الملأ فاورثها ذلك حقداً لا ترى منه سوى الانتقام وولد في نفسها داءً لا دواء له الا سفك دم عدوها وتقويض صرح مجدها الشامخ وكان قائدها اميلكار الشهير يود دوام الحرب ليخوض عجاج القتال ويشرب كأس الموت او يرجع ظافراً غير انه حال دون بغيته احوال الجأته الى الاذعان ليمنع جنوده من الهلاك ورضخ لاحكام الغالبين وعاد الى وطنه لاهجاً باخذ الثار ودرك الوسائل اللازمة للنجاح ولعلمه ان هذا الامر لا يتم الا بتقوية شوكة القرطجنيين فسعى في الاستيلاء على اسبانيا وهي بلاد كثيرة المعادن ومخصبة جداً ففتح قسماً منها وخطر له جيوش يمكنها الانتصار في ساحات الحرب والطعن ومما يدلنا على بغض اميلكار الشديد للرومانيين وارتياحه للانتقام منهم هو انه قبل ذهابه الى اسبانيا دعا اليه ولده هنيبال الذي كان عمره وقتئذٍ تسع سنوات وقال له انه يرغب ان يستصحبه في هذه الحملة فسرّ الولد جداً وصب ... ثم قاد اميلكار ابنه الى المذبح ووضع يده عليه وحلّفه ان يبغض الرومانيين ويجتهد في خذلانهم ما دام حياً

ومات اميلكار باسبانيا سنة ٢٢٩ ق م وخلفه في قيادة الجيش صهره هسدروبال

امور المركب البحرية فهذا هذا القائد الحكيم سطوة القرطجنيين في تلك البلاد وبنى مدينة قرطجنة الجديدة في جمعها لسبب مركزها الحسن محلاً لادخار السلاح والمهمات الحربية ومحطاً للجيوش الصادرة من افريقيا الواردة اليها

وهيج تقدم القائد اسدربعل في صدور الرومانيين عوامل الخوف والحسد الا انهم لم يبدوا حركة لانشغالهم بمقاتلة الغاليين فرسموا اليه سفراء يتهددونه ليحملوه على عقد عهدة معهم يحصرون بها جيوش العدو على الشعوب القاطنة وراء الايبرس الان نهر الابرو وما ذلك الا بسبب يتذرعون به لمقاتلة القرطجنيين فيما بعد لان رفض اسدربعل اجابة طلبهم او اجابة طلبهم ونقضه العهد يكون عذراً كافياً ونذرة لنشوب نار حرب عظيمة ولم يكن اسدربعل اقل دهاءً منهم من مباكرة ولكنه رأى بعد الحدود التي عينوها لم يجد مانعاً من معاهدتهم ليتمكن من توطيد سطوته هناك على ان هذه العهدة قد اشهرت اسم الرومانيين في ذلك القطر ومهدت لهم سبل نكاية اعدائهم لان الاسبانيين عموا به علم اليقين ان الجمهورية الافريقية التي تحاربهم حرباً عواناً ستتولى على بلادهم تخشى قوة وبأس شعب آخر قدير فاستجاروا بعضهم به وسعى في محالفته وفي سنة ٢٢١ ق م قتل اسدربعل رجل غالي فخلفه في الرئاسة وقيادة الجيش أنيبال بن املكار البطل الشهير

ولما استتب الامر لانيبال واصبح الآمر الناهي تقدم لمحاربة الاولكاديين فظفر بهم ثم جمع الاسلاب وسار الى مدينة قرطجنة الجديدة حيث صرف فصل الشتاء في المدرسات الحربية وتدريب الجنود والانعام عليهم بعدة الجميع واراد كل القتال تحت رايته والخضوع لاوامره طاعة عمياء ولو ذاقة ذلك خضوع عدو لتي وجرعة كأس الحمام ولم يزل أنيبال معدن عائد حتى أخضع كل البلاد الواقعة وراء نهر ايبرس وهم بالاعتداء على

بعض الشعوب المحالفة رومية كساغونتيين الساكنين في الجهة الجنوبية
من النهر فارسل اليه الرومانيون سفراء يذكرونه بالمعاهدة حتى رفعهم
اسدربال لئلا يقتل احدًا من حلفائهم ويعبر النهر فلم يكترث أنيبال
لهم ولا بالى بتهديداتهم واجابهم قائلاً ان الفتنة التي حدثت قبلاً في ساغونتوم
قد سببها الرومانيون بتحالفهم مع قبيلة بعض الرؤساء ظلمًا وبناءً عليه
اعلن انه يريد ان ينتصر للمظلومين ويعاقب الظالمين ثم صرف السفراء.
فذهبوا الى قرطجنة ولم يفوزوا من مسعاهم بطائل

وكان أنيبال باذلاً جهده في الاستيلاء على ساغونتوم لان خضوع
هذه المدينة له يضعف امل الرومانيين بالنجاح في محاربة القرطجنيين
بالديار الاسبانية ويزيد خوف سكان تلك البلاد منه فيأمن شرهم ويستطيع
مداومة الحرب وشن الغارات غير مبالٍ باحد فهدم حصونها وحاصرها
ثمانية اشهر وفتحها عنوة وقتل اهلها بحد السيف وترك العبيد والامتعة
التي فيها غنيمة لعسكره اما الاموال والاثاث الثمينة فجمعها واتخذها عدة
لحوادث الدهر

ولما بلغ رومية خبر خراب هذه المدينة العظيمة هاج الشعب وحرب
حربًا شديدًا واخذ في الاستعداد لنقل الحرب على الاثر فجهز
القنصل سمبرونيوس عشرين الف راجل والفين ومائة فارس وعول على
الذهاب الى سيسيليا ومنها الى افريقية لمحاربة اعداء الرومانيين في بلادهم
وجهز القنصل كورنيليوس سيبيو اربعة عشر الف راجل والفًا وستمائة
فارس وامره بالتقدم الى حدود اسبانيا ليحارب أنيبال ويمنعه من الدخول
الى ايطاليا

ولما كثر على الرومانيين خوفهم من هذه الحرب كما يدل على ذلك
استعدادهم وتجهيزاتهم لان القرطجنيين قد قويت شوكتهم بعد الذل والفشل
وحازوا نصرات كثيرة وفتحوا مدنًا ثم بعد مدة وردت جيوشهم تجدد الاسبانيين

الشجعان ولم يكن للجمهورية الرومانية قائد كهنيبال خبير بضروب القتال وعليم بالشؤون الحربية واخدع صبور على مضض التعب لا يبالي بالاهوال وآيات قد بسقت في ساحات الوغى وشاهد معه مع تشبب الاطفال فشب بطلاً مغواراً وفارساً جسوراً لا يجارى في مضمار الحرب والقتال وكانت جيوشه مثالاً للشجاعة والانقياد تحسب بهمة مقعودة لواء قائدها فتتقدم على القتال بوجه طلق وقلب لا يعرف الجزع ويعود منه بنصر واضح

وقبل ان يجهز الرومانيون جيوشهم ارسلوا سفراء الى قرطجنة يسالون مجلسها تسليم هنيبال واعوانه اليهم والا اشهروا الحرب على القرطجنيين فانتدب لمفاوضتهم [illegible] رئيس مجلس الجمهورية الافريقية وعرضوا لمجلسها دعوى دولتهم وطلبهم وانكروا عليهم تلك الحقوق فرفع فابيوس رئيس السفارة الرومانية ثوبه وقال ها قد اتيتكم على هذا الثوب بالسلام والحرب فاختاروا منهما ما تشاؤون فاجابوه جميعاً اننا لا نختار شيئاً فقال اني اصب الحرب فكونوا لها مستعدين

وذهب السفراء بعد ذلك الى اسبانيا ليحرضوا امراء الولايات الواقعة في جهة الشمال من نهر الايبر ويغروهم بان لا يساعدوا القرطجنيين فاجابهم بعضهم من الافرنج وقالوا كيف يمكننا محالفتكم وقد رأينا ما حل بساغونتس بعد ما خذلتموها ولكن ما جرى لها سيكون لا محالة انذاراً لنا كي نحذر الا نصدقكم ولا نغتر بوعودكم فعادوا وقصدوا امراء الغاليين وطافوا في بلادهم وسألوا رؤساءهم الا يدعوا هنيبال يمر في بلادهم فضحكوا حتى اهتزت لحاهم واسمعوهم ملامة كيف يدعونهم الى جعل بلادهم عرضة للحرب وساحة للقتال ليصونوا بلاد أناس غرباء وما زال السفراء الرومانيون يتنقلون من مكان الى آخر وهم لا ينالون سوى الخيبة والفشل حتى وصلوا مرسيليا وعلموا هناك ان هنيبال قد جاز البيرنه وعبرها فذهب امرهم فرجعوا خائبين الى

رومية مرودين بهذه الاخبار المكدرة

وكان أنيبال في هذه الاثناء مشتغلاً باصلاح احوال البلاد وتدبير ما يلزم لهنيبال فوز مبين على العدى فسمح لعساكره الاسبانية ان تذهب الى ديارها وتقضي فصل الشتاء بالفرح والسرور وان ترجع اليه في ابتداء الربيع وارسل الى افريقية لحمايتها جنوداً اسبانية واحضر الى اسبانيا جنوداً افريقية لاستتباب السلام فيها ومنع الاهلين من العصيان واقام اخاه اسدربال قائداً لهذه الجيوش ونائباً مدة غيابه

وفي ابتداء الربيع من سنة ٢١١ ق م جمع أنيبال جيوشاً جرارة وزحف بها من قرطجنة الجديدة الى نهر الايبرس فعبره واخضع بعد معامع كثيرة الشعوب الساكنة بين النهر وجبال البرينه ثم اجتاز هذه الجبال ودخل غاليا فرأى بعض الغاليين مفتتنة فصادقهم بالهدايا والاموال وما زال سائراً بسلام وأمن حتى وصل الى ضفات نهر الرون فابتاع من سكان الضفة الغربية قوارب عديدة لنقل المهمات والجنود اما اهالي الجهة الاخرى فتجمعوا واستعدوا بالسلاح ليمنعوه من دخول بلادهم فصرف ثلاثة ايام في محاربتهم ومنعهم ليصادفوه غير ان اجتهاده في هذا الامر ذهب ادراج الرياح فارسل "حنّون" احد قواده سراً بفرقة من العساكر وامره ان يعبر النهر من مكان لا يراه منه الغاليون ففعل وهجم على خيام الاعداء واحرقها وانتصر هؤلاء فخطر الخبط بهم من كل جانب فولوا منهزمين الى قرام والمساكر

ولما بلغ الرومانيين ان أنيبال قد عبر نهر الايبرس ركب القنصل كورنيليوس سيبيو البحر وانحدر مع جنوده مدينة مرسيليا فأُخبر هناك ان القائد القرطجني قد عبر جبال البرينه وزحف بعد ذلك الى مصب الرون واقام ينتظر اعداءه في تلك الناحية وارسل ثلثمائة فارس ليتجسسوا الاخبار فلقيت هذه السرية خمسمائة فارس نوميدي بعث بهم انيبال ليستطلعوا احوال

العدى فنشبت الحرب بين الفريقين وكانت عوانًا وانتصر الرومانيون في ذلك النهار وكسروا افراتهم ولحقوا بهم الى معسكرهم فرأوا رأي العين ما كانوا راغبين في معرفته ورجعوا الى القنصل واخبروه بكل ما نظروا وسمعوا

وحينما وصل المنهزمون الى أنيبال واعلموهُ ما حدث امر هذا القائد جنودهُ بالرحيل حالاً لانهُ لم يرد مقاتلة الرومانيين خارج ايطاليا فمشى شمالاً ووصل بعد مسير اربعة ايام الى ارض اسمها الجزيرة لان نهر الرون ونهرًا آخر يفصلان فيه يحيطان بها من جهتين ويجعلانها تشبه وادي النيل ولا فرق بينهما الا ان هذه يحدها من الجهة الثالثة جبال شامخة وحدود تلك البحر . ووجد انيبال هناك اخوين يتنازعان الملك فاستحق احدهما وحكمه على البلاد ولا يخفى ما في عمله هذا من الحكمة والدهاء لان الملك الثاني الجديد شكره على احسانه اليه وقدم لهُ زادًا وسلاحًا وثيابًا ورافقهُ بنفسه الى المكان الذي اراد ان يرتقي جبال الالب منهُ

أما ما كان من سيبيو القائد الروماني فحين رجوع الفرسان وعلمه بالمكان الذي عسكر فيه القرطجنيون أنزل عسكره من السفن واسرع لملاقاتهم غير انهُ لم يصل الى هناك الا بعد رحيل انيبال ورجاله بثلثة ايام فعاد الى مركبه وامر اخاهُ نيوس بالذهاب مع قسم عظيم من الجنود الى بلاد العرب في الديار الاسبانية وقفل هو راجعًا الى ايطاليا ومرّ في بلاد اتروريا ليقاتل الاعداء عند نزولهم من جبال الالب

وانتصر خصيون القرطجنيين بان قوم اقتصدوا فتجمعوا في الاماكن العالية الوعرة واستعدوا لملاقاتهم بالسيوف والرماح ورميهم عن بعد بالسهام والحجارة فتوقف أنيبال وتربص قليلاً يرى ما يكون فاخبرهُ الادلاء العارفون ان هولاء الاقوام لا يبيتون في مراكزهم عند بلوغ دروبهم ليلاً ويذهبون الى مدينة قريبة فبرح القرطجني ولاحت لهُ اوجه من وجوه دهم الظلام نهض بفرقة من الجنود واسرع بالصعود الى قمم تلك الجبال وتحصن فيها حتى وعند

الصباح عاد اولئك الزوارة حرباً على عدوهم فضربوا معسكراً ومناهضة
للكفاح فدهشوا وانكفؤوا راجعين ليشكوا [illegible] الذين كانوا وقتئذ
سائرين [illegible] فهجموا عليهم كالنسر [illegible] وقتلوا منهم [illegible] كثيرين لان
جيشهم كانت من حسن [illegible] تصادفة في المهاوي التي
على جانب الطريق وبعد ذلك [illegible] على [illegible] الفصاص
السواعق وقتلت [illegible] منهم [illegible] اسر [illegible]
من الموت الزرقاء ثم [illegible] مدينتهم واستولى [illegible] عنوة واستغرب الخيول
والبهائم التي [illegible] واحد حصة واعد [illegible] يكفي حصة يومين او ثلثة

وما زال الفرنسيون سائرين بين الروابي والآكام مدة ستة ايام الى
ان وصلوا الى مكان [illegible] على [illegible] ضعف [illegible] فنوهم
خائفين [illegible] [illegible] ودلوا هم [illegible] خوفكم [illegible]
وحينئذ [illegible] بين الاعداء [illegible] كلامهم واحد منهم ادلاء ليتوددوا
حوده في تلك [illegible] العمرة [illegible] ولك الاعداء [illegible] حتى وصلوا
الى واد عميق تكتنفه الصخور والشعاب [illegible] على العساكر
وصهرت [illegible] واختلطوا [illegible] الاسود [illegible]
[illegible] في [illegible] الاعداء ومكن [illegible]
من الصخور وبعد بضعة ايام وصل الى [illegible] الاسد ومكث [illegible] يومين
لاراحة الجنود [illegible] ثم [illegible] الاعداء [illegible]
الى هذه الاقفار [illegible] واسعة واحدة [illegible]
[illegible] الاعداء [illegible]
[illegible] سوار [illegible] واحدة و
[illegible] على عاصمة [illegible]

وبعد اتعاب كثيرة واخطار مهولة قدر الفرنسيون على النزول من
تلك الجبال الى السهول المجاورة لبلاد [illegible] وكان عدد جيوش [illegible]

جيش عدد رجاله ثلثة وستين الف راجل وثمانية آلاف فارس ما خلا العابثين وغيرهم الذين جاوروه وشخصوا لاعانته انتقاماً من اهل رومية

وذاع امر دخول انيبال البلاد الايطالية بسرعة عجيبة كان ذلك الخبر الخفيف قد نقل الى الرومانيين على اجنحة الرياح العواصف او على متن البروق خواطف فوقعوا في دهش حائرين ولقد استعظموا هذا الخطب وخوفهم ان يستفحلوه ارسلوا الى اسبورسالة يدعون القنصل سمبرونيوس الى العود حالاً من جزيرة سيسيليا فلبى هذا القائد دعوة الداعين واقبل مسرعاً لحماية وطنه وانقاذه من ايدي اعدائه الباسلين

وكان القنصل سيبيو قد رجع من مرسيليا كما ذكرنا لقتال القرطجيين بانه بلغ من جبال الالب اذا جاوزوها وارادوا الدخول الى البلاد الايطالية فالتقى بهم بالقرب من نهر تيسينوس (الآن تيسينو وهو نهر يصب في البو بالقرب من مدينة بافيا في لومبرديا) وقبل انتشاب القتال اخذ كل قائد يشجع جيشه بالكلام واعصب الحماسية وينهض همة بذكر حروبه ونصرته السابقة فقال انيبال وعد عسكره ان يعطي كلاً منهم اموالاً واراضي في افريقيا واسبانيا وبعد ذلك اخذ حجراً وجرحه ورفع عينيه الى السماء وقال يا جوبيتير العظيم وباقي الآلهة فتلوني كما قتلت هذا الخروف اذا لم اوف ما وعدت ثم شج راس الخروف بالحجر الذي بيده فتحمس رجاله وتشمروا للكر والكفاح

وحدث ان سيبيو بين فرسانه وبعض جنده يجول في تلك الاثناء يستطلع احوال الاعداء فنصبه انيبال الذي خرج مثل هذه الغاية بجنده حينئذٍ الاستيلاء على الابطال واشتد القتال واظهر القائد الروماني في هذه المعمعة من الشجاعة والتدبير ما يشهد له بالمروءة والذكاء غير انه جرح جرحاً بليغاً فسقط على الارض وكاد يقضي نحبه لولا ابنه الشجاع الذي بادر اليه وخلصه من براثن الموت ولم يستطع الرومانيون الثبات لدى

الاعداء انهم في ذلك النهار بل ولوا منهزمين يطلبون النجاة

ورحل سيبيون ذلك الليل تحت جنح الظلام فعبر نهر البو وأتى وعسكر بالقرب من مدينة بلاسنتيا الا انه [illegible] وعند ذلك القرطجنيون لحقوا به وارادوا قتاله فاجتنب القتال ما امكن واسرع بالذهاب الى نهر تريبيا والتحصن وراءه منتظرا وصول رفيقه سمبرونيوس ومعالجة جراحه ليشفى ويستطيع خوض غمار الحرب ومنازلة الفرسان واتى هنيبال وعسكر تجاه الرومانيين على بعد خمسة اميال منهم فبادر الغاليون لاغاثته وتقديم ما يحتاج اليه من السلاح والقوت

ووصل في هذا الحين سمبرونيوس وجنوده الى نهر تريبيا واخذوا في الاستعداد للحرب والكفاح فاحيوا بقدومهم روح الشجاعة والاقدام في قلوب اصحابهم المعسكرين هناك وكان سمبرونيوس حديد الطبع مغرورا فاراد قتال الاعداء حالا فنصحه سيبيون بالعدول عن ذلك وان ينتظر مدة في تمرين جيوشه وتعليمهم [illegible] فلم يسمع [illegible] هذا الكلام [illegible] حارب القرطجنيين وانكسر كسرة مشؤومة هلك فيها من عساكره ونجا الذين [illegible] سمبرونيوس فنهض برجاله ولجأ الى مدينة بلاسنتيا

وسمعت الرومانيين هذه الاخبار فكدروا وذهلوا وزاد خوفهم من هنيبال وامر مجلس الشيوخ في الحال بجمع جنود جديدة من الوطنيين والحلفاء وارسل عساكر الى سيسيليا وسردينيا [illegible] وبعث بقوت ومؤونة الى [illegible] وامر بتجهيز ستين سفينة حربية كبيرة لحماية سواحل ايطاليا ومنع الاعداء من الهجوم على البلاد بحرا [illegible]

[illegible] جنود الرومانية في سبانيا فكانت منتصرة انتصارا عظيما لانها استظهرت على [illegible] القرطجني واخضعت اكثر الشعوب [illegible]

نهر ايبرس وجبال البيرينه

واخضع أجيال الاسرة الذين خدموا من الامم محالفة الرومانيين وقال لهم انهم يأتون بضحايا لتجارتهم لعل يستعينهم على استرجاع حريتهم واستقلالهم القديم وحرضهم ان ينتصروا له ويجعلوا بذلك مواطنيهم وصرمهم بلا فداء ثم زحف بجنوده واجتاز جبال البيرينه ودخل بلاد تروريا من طريق رديئة جداً بين لوسول ومستنقعات واخر ذلك العسكر واهلك بعض منهم لكثرة الرطوبة والاتعاب وطول السهد حتى ان هنيبال ذاته فقد احدى عينيه

وكان فلامينيوس القنصل الذي نخبه الرومانيون سنة ٢١٦ ق م اكثر من سمبرونيوس جهلاً وجهلاً وعدم تحقق الاسباب الذي عم طمع ومعرفة خصمه فاراد ان يقوده في مكان يسهل فيه للقرطجنيين الانتصار فزحف بعساكره واحدث تخريب حقول وربما عصبة ذلك فلامينيوس وعقد مجلساً حربياً للاستشارة فاشار عليه معظم ان يبقى في معسكره الى حين وصول رفيقه وان يرسل شرذمات فقط تمنع الاعداء من اتلاف الغلال وتخريب الحقول فخرج من مجلس غضبان وامر جنوده بالرحيل وعم الفزع من معه وخشوا عاقبة الفشل والخجل وكان يسل مشياً الى رومية على جانب بحيرة ترازيمينوس الآن لاغودي بروجيا حيث لحقه ان القنصل متأثره في وادٍ يمتد من بحيرة ... لجهة وعرة تكتنفها الروابي والآكام فرتب جيوشه على هذه ... واقام كمناً ينتظر الرومانيين فاتى القنصل ... في ... ذلك الوادي وكانت ضبابة كثيفة منتشرة ... فوق تلك الارجاء ثم ... الرومانيون بعد ... الذين هجموا عليهم من كل جهة هجمة الاسد الرئبال وقتلوا منهم خمسة عشر الفاً من جملتهم القنصل فلامينيوس وسقط كثيرون في البحيرة وماتوا غرقاً ولم ينج من ذلك الجيش الجرار سوى ستة آلاف رجل خرقوا صفوف القرطجنيين ورجعوا الى

قمة رابية وانصرفوا منها لما انقشعت السحب وانصاب اصحابهم مجدلين على الصحصحان رزقاً لوحوش الفلا وطيور السماء. ونصرهم انيبال فارسل اليهم احد قواده ليحاربهم فاستسلموا له وتبعوه وهم مكبلون بالسلاسل والقيود

وعم الشعب الروماني ما اصاب القنصل والجنود فهرع الى الفوروم يسأل الحكام عن حقيقة الامر فنهض احدهم بقصبة واجابه بهذه الكلمات قد غلبنا في معمعة عصيبة ولقد زاد هذا المصاب مصاباً خبر اتاهم ان القنصل سرفيليوس جمع باقدام فلامينيوس على محاربة انيبال فامده باربعة آلاف فارس وصلوا بعد نهاية المعمعة التي مرّ ذكرها فارسل القائد القرطجي مهربال احد قواده فحاربهم فقتل منهم لفيف واسر الباقين

ورأى المجلس ضرورة اقامة رئيس ذي سلطة مطلقة وحيث ان القنصل وحده له حق تعيين دكتاتور وكان محصوراً وقتئذ غائباً قام الشعب فابيوس ماكسيموس حاكماً مطلقاً ودعاه بروديكتاتوراً وكان فابيوس هذا رجلاً هادئاً متأنياً في جميع الامور فاصلح حصون المدينة وهدم الجسور وارسل يأمر سكان البلاد التي يطرقها انيبال عن قريب ان يحرقوا منازلهم ويسعوا ثمار اراضيهم ويختبئوا في الاماكن المحصنة ثم جمع جيشاً جديداً وضمّ اليه جنود القنصل سرفيليوس الذي بعثه الى اوستيا ليجهز سفناً ويتولى قيادة المراكب الحربية وحراسة السواحل الايطالية من القرطجيين ومشى فابيوس بعد ذلك اقتفاء انيبال ولكن لا يقدم على عمل قبل الاختبار والتروي ولا يسلك طريقاً قبل فحصها ومعرفة ما تحوي

وما زال انيبال سائراً في البلاد يخرب ما يراه ويقتل من يصادفه من الرومانيين حتى نزل فابيوس في ... معسكراً على رابية بالقرب من مدينة تشي فرجعت اليه بمدينة فم بعد للبروديكتاتور حركاً وعي في معسكره عبر ... بكلام القائد القرطجي الذي فعل من ذلك المكان يشتم الرومانيين وينعتهم بالجبن والخمول وكان فابيوس يتأثر القرطجيين عن بعد ويرسل

اليهم شرذمة توقع بهم متى سمعت الزعقة ولا يخفى ان هذه هي الطريقة
الوحيدة لاهلاك ابطال ورجال لانهم في ارض غريبة يعوزهم بها كل شيء
واذا مات احدهم لا يمكنهم تعويضه بسهولة لبعد الاوطان وانقطاع الصلات

وبعد ان عبر القرطجنيون سامنيوم رحلوا الى كامبانيا الآن ترّا دي
لافورو وهي بلاد خصبة جداً من اخصب ما في الدنيا فدخلوها وعسكروا
عند نهر فولتورنوس الآن نهر فولتورنو فنهض فابيوس من حصونه واتى
واحتل رابية تجاههم ونظر الرومانيون اعداءهم يجمعون الغلال والاثمار في
تلك الحقول الخصبة فحنقوا وضجروا من صبر رئيسهم وبعده عن القتال وظنوا
فعلة هذا ناتجة عن ضعف وجبانة فقال له بعضهم بعد ان نبه هذا المكان
لنشهد بلادنا تخرب بعينك ولعلك رأيت الارض لا تصلح لذلك فوددت
ان تضرب خيامك في الجو وتختفي بالسحاب اجابهم فابيوس اني لا اخشى
عاراً في عمل ما يؤول الى صيانة بلادي وان الانسان الذي يخاف عذل
الحاسدين ويخضع لاهواء من هم دونه منزلة ليس اهلاً لان يتسلط على الناس
وبعد هذا لقد حكم بسداد يليق بذي الحذر غير مبالٍ بمن يجبنه ولوم الشعب

ولما قرب فصل الشتاء اراد هنيبال الخروج من كامبانيا من مضيق
لا يبعد عن كسيلينوم حيث كان الرومانيون معسكرين فارسل فابيوس اربعة
آلاف رجل يحتلون المضيق وفرقة في مدينة كاسيلينوم الواقعة على ضفة
نهر فولتورنوس واقام هو مع الجنود برابية على قمة قريبة فتيقن القرطجنيون
كأنهم محصورون فلجأ هنيبال الى حيلة وهي انه ربط بقرون ثيران حطباً يابساً وفي
الليل أطلق الثيران بقرب من المضيق وامر الرعاة ان يشعلوا الحطب
ويسوقوا هذه البهائم الى اماكن على قمة الرابية ومع الرعاة فرقة من الفرسان
ونظر الرومانيون المحتلون المضيق الانوار وسمعوا الجلبة فظنوا ان القرطجنيين
قد اجتازوا الجبل من تلك الناحية فتركوا مراكزهم بسرعة وذهبوا كما زعموا
لقتالهم ولما دنوا من الثيران وابصروها هائجة وقرونها مشتعلة ذهلوا وخافوا

خوف شديد ما فابيوس فعلم ان هذه حيلة او شرك نصبه له الاعداء فبقي في مركزه صابرًا ليرى ما يكون وفي اثناء ذلك عبر انيبال وجيوشه المضيق وخرج من كامبانيا سالمًا

وحدث ان الشعب الروماني تكدر من سلوك فابيوس وحذره وطبعه الخائف فعين رفيقًا له رجلاً اسمه مينوسيوس كان لا يفتر عن الطعن عليه والتعيير من حكمته وتأنيه ولم يحقق الدكتاتور لاحلامه في المشارب والمطامع فعمد الى قسم الجيش ليتولى كلٌّ منهما نصفه ولم يلبث مينوسيوس زمنًا طويلاً حتى نازل القرطجنيين آملاً نيل الظفر واحراز الفخار فاستدرجه انيبال بجنوده وفرسانه وكسره كسرة مشؤومة وكاد يسقيه وجنوده كأس الهلاك لولا فابيوس الذي اسرع كالبرق لاغاثته بجميع عسكره المنتشرة واطبق على القرطجنيين فالجأهم الى الرجوع حتى ان انيبال قال لاعوانه في ذلك الحين ألم اقل لكم ان هذه السحابة الحائمة فوق رؤوس الجبال ستسقط فوقنا وابلاً سهلاً

وجمع مينوسيوس جنوده بعد ذلك واعلن لهم خطأه وقال انه من الواجب عليَّ وعليكم ان نطيع فابيوس بكل ما يأمر ثم قدمهم الى حضرة الدكتاتور وصرّح له بما يخالج ضميره من عواطف الشكر له والثناء عليه واستعفى من منصبه فسعده فابيوس بالبشاشة والاكرام وسرت الجنود جدًا حتى ان كل واحد كان يقبل رفيقه من شدة الفرح

وفي سنة ٢١٥ جهز مجلس الروماني جنودًا وفرسانًا واقام اميليوس وفارو قنصلين الذين اسرعا لقتال انيبال بالقرب من قرية كانه في ابوليا وكان القنصل اميليوس رجلاً عاقلاً ومصيبًا قد اشتهر في الحروب التي ادارها بالبلاد الايلرية فجمع العسكر وحرضهم على الشجاعة والثبات في القتال معتقدًا ان فوز الاعداء بالوقائع الماضية كان ناتجًا عن اسباب جديرة بالاعتبار اهمها عدم ترتيب الجنود الرومانية كما يجب وجهلها قوة وبطش قائد شهير

كانيبال وان الذين حاربوه في وقعة تريبيا كان التعب قد اعياهم فلم يستطيعوا الكفاح وان في معمعة ترزيميوس قد حال بين الرومانيين والقرطجنيين ضباب كثيفة فلم ينظروا العدو احاط بهم بل كانوا كلما بحث عن جيشه يطلبوه الى ان قال قد تغيرت تلك الاحوال واصبحنا عالمين بمكر وخداع عدونا الالد واني لاعجب ايها محمود كيف امكننا الانتصار عليه بالوقائع الصغيرة وبنا من الجرح والضجر اذا كانت الحرب واسعة المجال يخوض عجاجها جميع الفرسان والابطال واني اخاف جيوش العدى ونحن اكثر منهم عددًا ونعلم علم اليقين ان صيانة بلادنا وشرفنا متوقف على اليوم فلنصبر على الاهوال ولنبادر الى القرطجنيين بقلب ثابت لا يعرف الجزع

وكان الفريقان معسكرين في فلاة واسعة الاطراف يمكن فرسان أنيبال الافريقيين الجولان بها وهؤلاء الفرسان كانوا حاذقين جدًا بركوب الخيل وشهيرين في الازمنة القديمة بالشجاعة والفروسية كمشهوري العرب العرباء في الكر والكفاح ولا غرو فانهم نصيرهم بسكون الوادي والقفار ويعتادون وهم صغار الفراسة وشن الغارات وعلم اميليوس صعوبة مركزه وما لديه من الاخطار فاراد ان يخرج من تلك البطاح قبل ان تهاجمه خيل انيبال وتوقع بعساكره اما فارو الذي كان متوليًا قيادة الجيش في ذلك النهار فلم ينتبه الى آراء رفيقه الحكيم بل زحف لقتال القرطجنيين وعاد بالخسارة والفشل وحدث بعد ذلك انه كان متوليًا بنفسه قيادة محمود وغير مخادع أنيبال ونازله في مركز رديء جدًا لان الشمس كانت تجاه الرومانيين وكانت الرياح عاصفة تهب في وجوههم فتعمي بصرهم بالغبار على انهم قاتلوا قتال من سئم وسلوا ثبات من لا يخاف الموت ولم ينج منهم سوى اربعمائة فارس وثلاثة الاف رجل تشتتوا في البلاد واسر القرطجنيون الفي فارس وثمانية الاف راجل وقتلوا الباقين الذين يبلغ عددهم كما قيل

نحو سبعين الف رجل اما خسارة انيبال فكانت اربعة الاف غالي واسباني
والف وخمسمائة افريقي ونوميدي فارس

نرى مدل الشعب الروماني بعد هذه الوقعة العظيمة وبقر سيادة
القرطجنيين مع انه بات خائفاً من ان ذلك الجيش المهزوم لجرار الذي
حرّض ربعاً الجيش قائلاً: لا خوف للخور قد هد منه الاركان ولكنه يبعده
تلك الحماسة والشجاعة في سائر ... الارض فيمنعهم لدى حصول
الرزايا وقبل لذلك على تحصين ... واخذ الوسائل الواقية منه ونشاط
ملاً ان ... بخسارته وحكمه ما عن ... من الذل و... فكان به موسس
ومصلح احدى امالك ... قد ... لعلنا كيف
... وعلى كل حال ان ما حدث ... العوام فصل
فابيوس ... الذي قدر ان يعرف ... والنور والنجاح
من غير ان ... مسالة يمكن يجتني منه ...

واقدم الرومانيون في ذلك ... بوسوس ... المصلح ...
ويكون وسيلة لاجتماع كلمة الشعب ... في التحمد ... وحميه
... اخبار الحكومة ... من السود

ورجع انيبال بعد ... في ... بلاد ... وقسم هناك
جيشه الى قسمين ولى ... ومشى هو ... الى مدينة
... ... على ... بحرّ على ...
... واى ... في ...
... ووجب ... في ...
المجلس ... اولا جمهور ... الغالب ... وان
كانوا ... بنوا ... بتوجب ... الحاكم في تسليم المدينة
الى انيبال وجمع لذلك ... المجلس ... وقال لهم قد ... الشعب
... ان يجتمع لانيبال بعد ان يقتسكم جميعاً ... وطلبوا اليه ... الحاج

ان يشفق عليهم ويتقدم من هذا البلاء ويعدم بذلك وذهب وجمع قومه واخبرهم ان اعضاء المجلس في قبضة يده الآن وانه يمكنه ان يسلمهم اليهم ليعملوا بهم ما يشاؤون جزاء لهم على محاربتهم الرومانيين ثم قال لهم انه لما كان لكل مجتمع بشري عوائد وامور اوجدتها الضرورة وانشأها الزمان كان من الواجب ان ارادوا الفتك بهؤلاء ان ينتخبوا اعضاء آخرين يخلفونهم في الرئاسة وتدبير الاحوال فرضي الشعب بترك القديم على قدمه وعفا عن اولئك التعساء الاولى لا ذنب عليهم سوى صدقهم في خدمة الوطن ومصادفتهم اهل رومية فعلموا علم اليقين ان لا راحة لهم ولا نجاح الا بسلوكهم هذا المسلك

اما الآن فقد صح الحكم مطلق التسلط لخضوع الشعب والمجلس له فحاصر انيبال كابوا ثم فتح له ابواب المدينة فدخلها القرطجي بالعز والاكرام ومنح الاهلين الحرية والاستقلال

وفي ذلك الاوان بعث انيبال اخاه ماغو الى قرطجنة ليخبر مجلسها بنصراته العظيمة على الشعب الروماني الذي راعت حروبه امم الارضين وخفقت اعلام مجده فوق الروابي والبحار ويطلب انيبال ان يمده بالرجال والمال فعهد المجلس الى اعانته ولكنه لم يقدم على الامر بسرعة ونشاط كما كان واجبًا عليه ان يفعل

وكان ماهربال احد قواد الجيش القرطجي نصح لانيبال ان يزحف حالاً الى رومية فابى هذا ان يفتتحها فاجابه ذلك القائد انت تستطيع الانتصار ولكنك تجهل طرق الانتفاع منه والحق يقال ان انيبال لو زحف حالاً الى رومية بعد وقعة كانه لاستولى عليها عنوة واخضع شعبها او جعله في عداد الامم البائدة

وصرف انيبال فصل الشتاء في كابوا والمدائن الاخرى التي حالفته واحد وجوده في ارتشاف كؤوس الصفو والانشراح كأن نصراته المتتابعة

واعي له العصبية قد تعبت فاراد الاستراحة في سن الطم فكان ذلك داعياً الى فور الرومانيين الذين جدوا في الاسعد د محاربة عسكر قد دلوا للمحدث فسروا شجاعتهم في كسبهم مجرى تحمده صحف التاريخ وبقي مثالاً يقتدي به فرسان الارض واتصع

وكان الترنتيون يعصون الرومانيين ويرغبون في التخلص من ربقة الخضوع لهم فحاربوا نيسال شسيم مدينة ليه شرط ان يكونوا احراراً لا يدفعون حرية ولا يحتل رصهم جيش فرنجي فرضي انسال بما طلبوا ودخل المدينة بحيلة وقبض قسماً من العسكر الرومانية اما الباقون فلجأوا مع قائدهم ليبوس الى القلعة وتحصنوا فيها تحت الفرنجيون امام تلك القلعة خندقين وسوا وراءه كل خندق سوراً لتامين الترنتيون شر العدى ويستطيعوا الدفاع متى رحل انيبال بجيشه

ولما كانت القلعة مبنية بالقرب من مدخل مرفأ راد انسال منع المدد من الوصول الى الرومانيين ومع عرض البحر سرسين فنقل السفن بكثيرة موجودة في ميناء المدينة على عجلات صنعت لهذه الغاية وارسلها في البحر من ناحية حرى فصارت ورست تجاه القلعة التي اصبحت محصورة من كل الجهات

وفي سنة ٢١١ ق م زحف له صلانيوس عسكر لمحاربة كابوا والاستيلاء عليها فعلم ذلك انيبال واسرع بالتوجه الى الطريق لاعانة الكابوانيين فحارب الرومانيين وهاجمهم مراراً ولكن بلا فائدة لانه لم يستطع خرق صفوفهم ليدخل المدينة التي اصبحت في ضيق عظيم من الحرب والجوع فارتد راجعاً ومشى الى رومية ليلجئ الخصوم الى رفع الحصار ولكنهم لم يعبأوا والرومانيون بحذافيرهم بل بقوا مشددين الحصار الى ان دخلوا المدينة قسراً وبحيانة الرعاع

وحدث بعد ذلك حرب بين الفرنجيين من جماعة المدفع زمناً طويلاً

جمع فيبوس فربوس احد زعماء اعضاء شيعة وامامهم بعض الرومانيين لهم وحقدهم عليهم اى ... قال لا يحق بها الاصدقاء الا بالموت فما قد حدث في معركتي وبيّنة فاخرة ادعوكم الى ان تسمعوا من طيبات هذه الدنيا ولنشرب بعدها رحيق الحمام من كأس يطوف علينا به احد السقاة فمن منكم قد انعته الحيوة او مل منها فليسعى لان ميتة مجيدة تكسب الميت فخراً وتجعله اهلاً لاعتبار الاعداء والخلان فلبى دعوته سبعة وعشرون رجلاً فصلوا معهم جميعاً فتجرع سم زعاف دير عليهم بكأس الراح كما تدار الصهباء بالافراح فغادروا هموم الدنيا واحزانها وهم عارفون بحر ابتسامات والسرور

ولما دخل الرومانيون مدينة هدموا اسوارها ودكوا حصونها وقتلوا كثيرين من كرائم الدين ... تجرّوا ونهبوا سبعين زنة ذهب وثلثة الاف ومائتي زنة فضة وحرموا الاهلين امتيازاتهم القديمة ليظهروا للعالم ان شعب رومية كريم يعامل اصدقاءه ومحبيه بالرفق والاحسان وجنود ينتقم من اعدائه ولا يصفح عنهم لانه يؤدب اعداءه ويوطد اركان سلطته في في البلاد الخاضعة له

وأتى القنصل فولفيوس رجل شجاع اسمه بوبليوس بوريا بعد ما اصدر مجلس رومية امراً بكف القتل واعطاء الامان وكان القنصل قد هم بالانصراف فقال له مر فتي بافولفيوس واخر ما دمت حياً باردآء فصل بعوفك بالشجاعة والبأس جثة الرومي جند ... تغضب ولا اعطاني الامان فصرخ فولفيوس ... هل عسى ان الان لارى موطني عبيداً وهل بعد ذلك مرتي واولادي تصبوءا من الاهانة والعار احرم لذة القتل ليتفرح دمي بدم اصدقائي ومواطنيّ ولكن انا رفض العدى قتلي فاني اموت رغمي بالانتحار قال هذا واستل مدية طعن بها صدره وخر قتيلاً يتخبط بدماه

وفي سنه ٢١٦ ق.م مات هيرون ملك سيركوزا وخلفه حفيده

أرويسوس فخالف هذا الملك الفتى وصية جده ونقض عهود صداقته للرومانيين وارسل رسلاً الى قرطجنة يحالفون مجلسها ويعقدون معهُ عهدة مفادها اقتسام جزيرة سيسيليا بينهما بعد اتحادهما لافتتاحها ولكنهُ ندم بعد ذلك وطلب اليهِ فقط ان يحالفهُ ليشهر الحرب على الرومانيين اذا مست الحاجة فسر القرطجنيون بما حدث ورضوا بما طلب الملك لانهُ حليف قوي يمكنهُ اعانتهم واحباط اعمال اعدآئهم بالجزيرة المذكورة

وفي سنة ٢١٤ ق.م اقدم القنصل مارسيلوس على محاربة السيراكوزيين محاصر مدينتهم برًا وبحرًا وكان في تلك المدينة عالم شهير اسمهُ ارخميدس فقدر وحدهُ على لقآء جنود الرومانيين وقهرهم مرارًا لانهُ كان مسلحًا باختراعاتهِ العجيبة ومحصنًا ورآء اسوار علمهِ وافكاره الثاقبة فعمل آلات كانت ترمي المحاصرين باحجار الى مسافة بعيدة فتردي من تصيبهُ وتحطم السفن وعمل ايضًا آلات اخرى كانت تمسك المراكب الرومانية وترفعها ثم تنقذها على الصخور فتنكسر ويغرق من فيها فابعد مرسيلوس عن الاسوار وحل بمكان لا يصل اليهِ ضرر من آلات ارخميدس آملاً ان الجوع سيفتح لهُ مدينة لم يمكنهُ الاستيلآء عليها بالسلاح والجيوش

ودام حصار سيراكوزا ثلث سنوات الى كان ذات يوم عيدٌ عظيم اهمل فيهِ الاهلون حراسة الاسوار وانصبوا على الافراح والولائم ناسين ان العدو على الابواب فاغتنم مرسيلوس هذه الفرصة وارسل فرقة من جنوده تسورت الجدران والحصون ودخلت المدينة وملكت قسمًا منها وبعد بضعة ايام استولت على الاقسام الباقية فنهبت ما نهبتهُ وقتلت كثيرين من جملتهم ارخميدس العالم الذي لم يكترث لدخول الاعدآء المدينة بل كان منهمكًا في بعض مسائل علمية او رسوم هندسية فمات وهو قابض على قلوسيب شهرتهِ وهلا كولانهُ لو ترك شعلة وجيء الى معسكر الرومانيين بحالا محالة

وكان سيبيو الذي حارب أنيبال بالقرب من نهر تيسينوس متولياً مع اخيه كنيوس قيادة الجيش الروماني في اسبانيا فانتصر الاحوال مراراً كثيرة على القرطجيين وكانا يستوليان على جميع البلاد لو لم يقسما جيشهما الى قسمين ويفترقان فحارب كلاً منهما اسدربال اخو أنيبال وكسره فخسر الرومانيون ما كسبوه قبلاً في معامع كثيرة واسفوا جداً لموت ذينك القائدين اللذين خرّا صريعين في ساحة القتال

ولما بلغت هذه الاخبار رومية حزن الشعب ويئس من النجاح باسبانيا وعدّ استرجاع ما فقد فيها من الامور المستحيلة ودليل ذلك انه لم يرضَ احد من الرومانيين تولي قيادة الجيوش هناك الا بليوس سيبيو ابن المتوفى وكان شاباً عمره اربع وعشرون سنة شهيراً بالذكاء والتدبير ومحبوباً من الجميع فعين على الفور بروقنصلاً وقائداً عاماً للعساكر الرومانية في تلك الديار فبادر الى الرحيل حالاً والى البلاد الاسبانية وقاد جيشه لمحاصرة قرطجنة الجديدة فاستولى عليها في يوم واحد ثم حارب الاعداء في معامع عديدة وانتصر عليهم انتصاراً مبيناً وشتت شملهم فاستتب له الامر وخضعت له جميع شعوب ذلك الاقليم

وكان هذا القائد الفتى شهماً عطياً وفاضلاً كريماً فاتته يوماً بعد استيلائه على قرطجنة الجديدة امرأة شريفة من اهالي تلك الديار وسالته وهي جاثية بين يديه وعبراتها تتساقط على الارض من شدة الكدر ان يامر رجاله باحترام الاسراء فلم يفهم سيبيو معنى كلامها وظنها تشكو عسرها فاجابها انعمي بالاً ايتها المرأة لانك ستحصلين على كل ما تحتاجين اليه قالت له هذا الامر لا يهمني ولا يقلقني سوى حالة هؤلاء الواقفات حولي وكان معها بنات اخيها ملك الارجيين وبنات اخر شريفات كلهن بديعات الحسن والجمال فتحركت في صدره حاسات الشفقة والحنو واغرورقت عيناه بالدموع وقال لها يا اماه ثقي اني ورجالي جميعاً لا نخلّ

اشيئاً محرماً وسنبذل الجهد في صون طهارتكن وشرفكن ثم طيب خاطرهن وصرفهن بالاكرام فذهبن مسرورات شاكرات

واحضر اليه قوّاده مرةً فتاةً عذراء ذات حسن باهر وقدّ رشيق وكان سيبيو بربر نساءة ومفتن بها الا انه ملك شهوته وقال لاعوانه ان منصبي يمنعني من قبول هديتكم ثم التفت الى الجارية واستخبرها عن اهلها ووطنها فجاءته بها مخطوبة لامير قبيلة السلتبريين المدعو البيبوس فاحضره سيبيو مع ابيها وقال له يا البيبوس انا فتيان ويمكن كلاً منا ان يكون صاحبة محرّبة فاخبرك من جودي قد اتى بجارية عذراء علمت منها انها خطيبتك وانك مغرم بها فاردها عليك الآن عفيفة طاهرة كما كانت قبلاً ولا اسألك عوضاً عن ذلك الا ان تكون حليف الامة الرومانية التي فاقت شعوب الارض بالفضل والفضيلة ولا يجاريها احد في حب الاحسان الى اصدقائها ورغبة الانتقام من اعدائها

وكان ابوها قد قدم مقداراً وافراً من الدراهم فداء لها فاعطى سيبيو تلك الدراهم لالبيبوس لتزيد بها مهر امرأته فانصرف ذلك الفتى الاسباني مع خطيبته كرّاً مسروراً واخبر قومه انه اتى مع الجيش الروماني بطل يحكي الآلهة في الشجاعة والكرم يفتح المدن والقلوب بسيفه وشهامته

اما اسدربال قائد الجيوش القرطجينية في اسبانيا فعبر هارباً من امام سيبيو واجتاز من معه جبال البرينه والالب ودخل ايطاليا ليعين اخاه على حرب الرومانيين فيها فارسل احمس القنصل ليبوس ليقاتله ومعه من الاتصيم الى أبيل وكان القنصل الآخر نيرون يحارب بطل قرطجنة فنهض سرًّا بسبعة آلاف رجل وبعد مسير سبعة ايام وصل الى معسكر ليبوس بالقرب من نهر متورس فدهم القنصلان سدربال وانشب القتال وكانت هذه المعمعة من اعظم المعامع التي حدثت في تلك البلاد او منذ دخول أبيل ايطاليا لان قائد تلك الجيوش القرطجينية خرّ قتيلاً

باسياف اعدائو ومات من عسكره ستون الف رجل وقد مل المنتصرون من القتل وسمك دم الابطال حتى ان لبيوس ترك بعض المهزمين يذهبون بسلام قائلاً فليمضوا ليذيعوا خبر انتصارنا في سائر الانحاء ورجع نيرون الى معسكره بسرعة عظيمة كما اتى منه وطرح امام سرادق أنيبال راس اخيه ليعلمه ما جرى فرعب هذا البطل وادرك عظم المصائب التي فاجأت حكومته وعائلته فرحل حالاً من ذلك المكان واحتل برونوم وشرع في الاستعداد للحرب والدفاع

وكان سيبيو القائد الروماني مكللاً بالظفر والنجاح في جميع اعماله وعدواته فيما امن شر اعدائه بالدبار الاسبانية اخذ يفكر في محاربة القرطجنيين بافريقيا فارسل لليوس احد اصدقائه لمحالفة سيفكس ملك الماسيسيليين (اسم احدى القبائل الشهيرة في الازمنة القديمة الساكنة في جزائر العرب) فرضي هذا الملك البربري بمصادقة الرومانيين ورغب في مقابلة الامر فنصل لمجاورة بهذا الشان فتاه سيبيو على جناح السرعة غير مبالٍ بالاخطار التي تحيق به ان نكث الامير النوميدي العهد وغدر به لانه راى في تلك المقابلة خيراً لامته وخطر محبته ليس هدمه لغاية الشريفة

وحدث ان اسدربال القائد القرطجني في اسبانيا الذي خلف اخا انيبال حضر في ذلك الاوان الى عاصمة الملك سيفكس ليسترضيه ويحمله على محالفة القرطجنيين فسرّ هذا الامير بان يرى في بلاطه قائدي عظم واقدر ام الدنيا يتباريان في مصادقته فدعاهما الى الطعام فجلسا الى مائدته ويلوح ان اسدربال قد عجبه حديث سيبيو وفصاحته وذكاءه فقال لا بدع ان خسر القرطجنيون املاكهم الاسبانية ولكن العجب كل العجب في استطاعتهم المحافظة على افريقيا . وقدر البطل الروماني على محالفة سيفكس ومعاهدته وارتد راجعاً من حيث اتى

وعم سيبيو بالوسيلة لوحدة لادول قرطجنة واخذ عنها نسبته لرومانيين

في محاربتها في بلادها الافريقية لان وجود جنود غريبة هناك يثير لا محالة حسد ها والامم المعاصرة لها التي تطلب فرصة للانتقام منها كيف لا وان عدوك من صديقك مستفاد فطلب الى المجلس ان يأذن له في ذلك فعقد مذكرات طويلة لا محل لاستقصائها هنا عن قبولاً وسمح له بالذهاب الى سيسليا ومنها الى افريقية بجمهور الجنود اللازمة ورحل اليها سنة ٢٠٣ ق م وكان سيفاكس النوميدي قد نقض العهد وحالف القرطجنيين فنهض بعسكره واتى مع اسدربال القائد القرطجني لمحاربة الرومانيين ولما كان الاعداء لا يحرسون معسكرهم في الليل كما يجب ارسل سيبيو ليليوس احد قواده وامره ان يحرق معسكر سيفاكس فاتم هذا القائد النشيط ما امر به وحرق خيام الجيوش النوميدية فمات عدد عديد منها بالنار والسيف ونظر القرطجنيون ناراً مشبوبة فلم يعلموا ما سببها فبادروا حالاً لمساعدة حلفائهم النوميديين وكان سيبيو واقفاً لهم بالمرصاد فهجم عليهم بغتةً وما زال يقصفهم حتى قتل منهم كثيرين وشتت الباقين في تلك البيد . ثم تقدم الى معسكرهم وحرقه كما حرق الاول ولم ينج من ذلك الجيش العرمرم سوى الفي رجل وخمسمائة فارس ولوا هاربين الى قرطجنة

وركب ليليوس مع الملك مسينيسا النوميدي الذي حالف الرومانيين وجدا في المسير لمحاربة سيفاكس فاسراه فمسكاه وقاداه اسيراً مع احد اولاده وارسلاه الى سيبيو مكبلاً بالسلاسل والقيود فسأله القائد الروماني لماذا نقض عهده وحارب امة حالفها قبلاً اجابه سبب ذلك الحنون لاني احببت امرأة قرطجنية تزوجتها فاخضعتني لسلطان هواها وكرهتني على مقاتلة صديق قريتك وكرمتك فانا على ذلك نادم واطلب المعذرة

وحدث ان مسينيسا بعد انتصاره على سيفاكس دخل مدينة سيرتا عاصمة مملكته فلقيته امرأته سوفونيزبا بنة اسدربال القرطجني التي مر ذكرها وخرّت ساجدة وقالت له قد حصنت بها انصر محتاج حرب وحرجب

منها طاهرةً عالةً تحول الآلهة فهلاً تجيب طلب اسيرة جاثية عند قدميك وترغب اليك بذل ان تشفق عليها ولا تسلمها الى اعداء امتها الرومانيين واذا كنت لا تستطيع انقاذها فاضرب عنقها بسيفك البتار لانهُ خيرٌ لها ان تشرب كاس الحمام من حسام نوميدي افريقي من ان تحمل وتنال العار من اعدائها الرومانيين. ثم قبضت على يده واخذت تقبل قدميه فاهاجت في قلبه عوامل الحب والغرام لانها كانت حسناء رداحًا تسبي الالباب بجمالٍ حرمها الدهر فاقترن بها مسينيسا حالاً غير مفكر بعاقبة ما عمل لكونها اسيرة رومانية لا يحق له ان يتزوج بها فبلغ الخبر بذلك سيبيو الذي بلغه هذا الامر فعظم عليه وخاف من دهاء هذه الملكة التي لا بد ان تغلب على زوجها هذا كما تغلبت على زوجها الاول وتجره الى محالفة القرطجنيين ومحاربة الرومانيين

ولما حضر مسينيسا الى المعسكر خلا معه سيبيو وقال له لا ريب ان صفاتي الحسنة هي التي حملتك على مصادقتي ومحالفة مواطنيّ ولكن احسن تلك الصفات واحسنها هي القناعة والزهد فاود انها الفضل لو تجد هذه الصحبة سعد الآن عدوك الشديد السلاح هو قد حضر لك من الميدان وانني ملك شهوته فعش ممن يحب لذات واعصوا ومع ذلك ان سيفاكس قد ذل بقوة الرومانيين فامرأته ومملكته واراضيه وكل ما يملك هو للرومانيين فاسيه انها الشهوة لم تصب وما تفعل واحذر من تدنيس ثوب كمالك بامر يحملك منه للخزي والعار

فعلت وجه الامير النوميدي حمرة الخجل واغرورقت عيناه بالدموع ثم انصرف الى سرادقه واخذ في الحين وهو يكتب لامرأته ما يأتي . كان بودي ايتها الحبيبة ان اقوم بجميع ما يقتضيه واجبات الزواج ولكن قد حال دون ذلك موانع وعقبات فاني في وعدي لك الا اسلمك الى الرومانيين وانت في قيد الحياة واصدقك لا ترهبي اجراء امر فيه صيانة شرفك

وصنك من العار وختم كتابه ودفعه الى عبد اعطاه سماً زعافاً يسلمه اليها فاخذت الملكة المكتوب والسم وقالت اني راضية بهذه الصدقة اذا كان زوجي لا يمكنه ان يهبني غيرها ولكن كان يحق لي الا اقترن باحد وانا عازمة على الموت ثم شربت السم المرسل اليها ووقعت في الحال على الارض لا حراك لها

وارسل سيبيو بعد ذلك سيفكس الى رومية فامر بحبسه وعين مسيبسا ملكاً على كل نوميديا وبعث له بهدايا كثيرة دلالة على اعتباره وصداقته

وكان نصرة سيبيو على اسدربال قد هدت من اهل قرطجنة الاركان فارسلوا رسلاً الى هنيبعل يدعونه بالرجوع الى بلاده حالاً فبلغ ان هذا البطل حين بلغته تلك الاوامر بكى وقال ان بعض الرومانيين بل المجلس القرطجني الذي رفض ارسال مدد لي ثم ركب البحر وسار بجنوده وهو يبكي بشدة ويشكو الآلهة والناس وبقي شاخصاً الى السواحل الايطالية حتى توارت عن انظاره وحين وصوله الى قرطجنة اخذ في الاستعداد لمحاربة سيبيو الذي كان حينئذ في بلاد نوميديا يفتح المدائن ويقهر الابطال فجهز العسكر وزحف الى مدينة زاما ... الان زوارين وطلب مقابلة القائد الروماني الذي في معسكره ... فتقابلا في مكان على مرأى من الجيشين وبقيا صامتين برهة متأملين من الدهشة حتى خاطب انيبال خصمه بهذه الكلمات

قد قضي علي انا الذي فتح الحرب ونال نصرات عديدة ان ... واحررت بالسلام وبشرني ... هذا الامر لك واعلم ... انك ستحرز الفضل وترسل الذين من ابطال الشهر لدى ظفر على قوادٍ رومانيين كبيرين قد خضع لك وحدك

وبعد ان حذر سيبيو من الدهر وغدره قال له سامحني اسبانيا

وسيسيليا وسردينيا وكل الجزائر الواقعة بين ايطاليا وافريقيا ملكاً للرومانيين ولعمري ان صحّت هذه شروط تعود بالراحة علينا وبالنجاح والفلاح عليكم ولا تحفظ حرية للقرطجنيين ذلي ما أنيبال الذي يسالك الآن السلام يسالك اياهُ لكونه ضرورياً لبلاده ولكونه ضرورياً سيحافظ عليه حتى الممات

اجابهُ سيبيو ان هذه الشروط لا ترضى بها امة ظافرة بل من الواجب على القرطجنيين ان يخضعوا لشروط نحن نعاملهم كما نشاء او يجربوا نجاح الحرب لعلهم ينتصرون

حينئذٍ انفصل القائدان ورجع كلٌّ لمعسكرهِ ليستعد للكر والكفاح وفي الغد خرجت الجنود باكراً واصطفت في تلك البطاح ثم هجمت الرجال على الرجال واحتدمت نار الحرب وزاد سعيرها فانكسر القرطجنيون وانهزم انيبال مع بعض فرسان ودخل قرطجنة واعلن للمجلس والكبراء ان الصلح واجب فيسعوا في ابرامه فارسلوا الى سيبيو ثلثين سفيراً من الشرفاء ليخابروهُ بذلك فرضي بمخاطبتهم الى ما طلبوهُ بالشروط الآتية

اولاً يملك القرطجنيون المدن والاقاليم الافريقية التي كانت لهم قبل الحرب

ثانياً يسلم القرطجنيون الى الرومانيين اسرى الحرب والعساكر الذين هربوا والعبيد الآبقين

ثالثاً يسلمون اليهم ايضاً جميع سفنهم الحربية ما خلا عشراً وجميع افيالهم ولا يسمح لهم باقتناء هذه الحيوانات فيما بعد

رابعاً لا يحاربون احداً في افريقيا وخارجها بلا اذن الشعب الروماني

خامساً يردون على مسينيسا ما سلبوهُ اياه ويحالفونهُ

سادساً يدفعون الرومانيين مدة خمسين سنة عشرة الاف وزنة فضة عن

مليون واحد وتسعمائة وسبعة وثلثين الف وخمسمائة ليرة انكليزية ،

سادساً يسلمون الى سيبيو رهائن مائة رجل لا يكون عمر اصغرهم اقل من اربع عشرة سنة و اكبرهم اكثر من ثلثين

وذهب السفراء الى رومية بعد صون هذه الشروط لجلسها و يطلبون اليه توقيعها فصدق عليها المجلس وصرف الرسل القرطجنيين فانقلبوا الى بلادهم راجعين

وعاد سيبيو الى ايطاليا ودخلها بالاكرام وكان الناس يزدحمون في الطريق التي يمر بها ليروا مخلص الوطن ودعي من ذلك الحين بالافريقي تذكاراً لاعماله وانتصاراته التي رفعته الى ذرى المجد وتوج بالغار

الباب الخامس

من انتهاء الحرب القرطجنية الثانية
سنة ٢٠١ الى حين انتهاء الحرب الثالثة
وخراب مدينة قرطجنة سنة ١٤٦ ق م
و
من سنة ٥٥٣ الى سنة ٦٠٧ ب ر

الفصل الاول

ان ضعف الجمهورية القرطجنية حوّل الرومانيين الاولى انتصروا عليها سلطة عظيمة فاصبحوا مرهوبي الجانب يخافهم جميع الارض ولا يخافون من احد وكانوا منتبهين للحوادث يرقبونها بعين بصيرة وعقل

حبير جاهدين في توسيع نطاق املاكهم سائر الاقطار ومتذرعين لذلك باسباب طمعه لا سوحب تارة الحروب وسفك الدماء لو لم يكن وراء تلك تلك الاسباب اعراض سياسية واطماع أشخصية

وكانت الدولة مكدونية اقوى لولاية الرومانية واقربها من ايطاليا وكان لها منذ ايام فيلبس الثاني ابي اسكندر الكبير حق السيادة بين اليونانيين فمهد الرومانيون الى اذلالها بينما هم ولوج المدن الاسيوية والتمتع بخيراتها واموالها وحاربوا عنها سنة ... ق م حرباً عوانا دامت ثلث سنوات محجوين بهم بهصوا بنصرة الآتيين والروديين وغيرهم فقهروا ملكها فيلبس الخامس مراراً واكرهوه على ابرام الصلح بالشروط الآتية

اولاً جميع اليونانيين الساكنين في اوربا وآسيا يكونون احراراً مستقلين

ثانياً يخلي فيلبس قبل اوان الالعاب الكورنثية كل المدن اليونانية التي له فيها جنود

ثالثاً يسلم الى الرومانيين كل سفنه الكبيرة ماخلا خمساً

رابعاً لا يكون له اكثر من خمسة الاف جندي ولا يسمح له باقتناء افيال ولا اثارة حرب خارج مكدونية الا باذن الشعب الروماني (هكذا روى ليبوس وعهدة ذلك على الراوي)

خامساً ينقد الرومانيين الف زنة نصفها عاجلاً والنصف الاخر بمدى عشر سنوات

ولما علمت هذه المعاهدة ليونانيين سروا جداً وشكروا للرومانيين الاولى سفكوا دماء اعظائهم لعموم الحرية والسلام غير محررين سوى انهم اصعبوا لمكدونيين وعدوا منقذي الامم الالبية من ربقة الخضوع لهم على انا اذا تأملنا في الامر نجد ان الرومانيين لم يفعلوا ما فعلوه عن شهامة واخلاص ولكنهم دركوا صعوبة اخضاع هؤلاء الاقوام الذين

يحبون الحرب ويفدونها بالنفوس مهددين بما حرره سبل الاستيلاء على بلادهم في المستقبل

وفي سنة ١٩٢ ق م حارب الرومانيون انطيوخوس الكبير ملك سوريا الذي اعتدى على البلاد التركية واليونانية وقهروه بالقرب من مضيق ترموبيلي وفي مواقع اخرى واكرهوهُ على تخلية المدن والاراضي الواقعة وراء جبل طورس ودفع خمس عشرة ربة آنية (نحو مليونين وتسعمائة وستة آلاف ومائتين وخمسين ليرة انكليزية) بمدى اثني عشرة سنة وطرد انيبال القرطجني من بلاده لانهُ لجأ اليهِ بعد نفيهِ من وطنهِ واغراهُ بمحاربة الرومانيين وكان ذلك على يد سيبيو الافريقي واخيهِ لوسيوس الذي دعي الاسيوي لسبب نصراتهِ في هذه الحرب بالديار الاسيوية وحدث في هذه الاثناء ان سيبيو الافريقي ذهب الى افسس ليقابل انطيوخوس فلقي انيبال هناك فبعد ان تذاكرا مليًّا سأل سيبيو خصمهُ من هو الرجل الذي يظنهُ اعظم قائد وجد في الدنيا

اجابهُ القرطجني هو اسكندر الكبير

— ومن هو الثاني

— بيرس

— ومن هو الثالث

— قال لهُ انيبال على الفور انا هو

— فتعجب سيبيو من كلامهِ وسألهُ قائلاً اي رتبة كنت تستحق لو غلبتني

— اجابهُ حينئذٍ كنت اعظم من اسكندر وبيرس وجميع قواد العالم

وبعد عودتهِ الى رومية اتهمهُ وكلاء الشعب انهُ اخذ رشوة من انطيوخوس وسلب واخفاءهُ اموالاً للجمهور وطلبوا اليهِ ان يقدم حسابًا مدققًا فنهض سيبيو ومسك بيدهِ سجلاً وقال للحضور بهذا السجل ترون حساب الاموال والغنائم التي حزتها قال لهُ الوكلاء اقرأهُ اذًا ما كتبتهُ فيهِ اجابهم عارٌ عليَّ

ان افعل ذلك ثم مزق السجل اربًا اربًا وطرحه امامهم ولما كان الوكلاء مصممين على تعريضه المقت الى الشعب وقال له بمثل هذا اليوم نحن الرومانيون قد غلبت انيبال والقرطجنيين فسادر الى الكابيتوليوس ولنشكر جوبيتر على ما اولانا من النعم فثار كلامه بجمهور الواقف وتبعه الجميع الى الهيكل اما اخوه الاسيوي فغرم بدفع مقدار وافر من الدراهم وبيعت امتعته واملاكه لوفاء تلك الغرامة فكان جزاؤه من مواطنيه جزاء سنمار

وفي سنة ١٨٢ ق م قضى انيبال القائد القرطجني الشهير نحبه في بلاد بثينيا لان الرومانيين ارسلوا رسلاً الى ملكها يطلبون تسليمه اليهم فخوفاً من ان يقع في ايدي اعدائه شرب سماً ومات

وكان فيلبس ملك مكدونيا بعد انتصار الرومانيين عليه لا يألو جهداً في الاستعداد لمحاربتهم والانتقام منهم وقد حمله بغضه الشديد لهم على قتل ابنه الاصغر ديمتريوس الذي كان يحبهم ويثني عليهم جهراً في كل مكان وفي سنة ١٧٨ ق م مات هذا الملك وخلفه ابنه برسيوس الذي كان اشد عداوة لهم من ابيه فنشبت من جراء ذلك الحرب المكدونية الثالثة سنة ١٧١ ق م ودامت اربع سنوات وكانت نتيجتها استيلاء الرومانيين على البلاد وجعلها ولاية رومانية وهكذا انقرضت الدولة المكدونية بعد ما سادت مدة طويلاً واستولت في ايام اسكندر على اكثر الممالك المعروفة

ثم اخضع الرومانيون الايبريين ومن يجاورهم وقهروا الغاليين الذين اعانوا انيبال وجعلوا بلادهم ولاية رومانية ودعوها غالية سيزالبية اي الواقعة داخل جبال الالب

الفصل الثاني

في الحرب القرطجنية الثالثة

ان الجمهورية الرومانية لم تكن راضية عن القرطجنيين الذين البسوها ثوب العار بدخولهم بلادها وقهرهم مرارًا ولم يشف غليلها ذل هذه الامة وخضوعها لها بل كان يودها لو تجعل مدينة قرطجنة خرابًا ينعق فيها البوم وتاوي اليها الوحوش لا سيما الان وقد قويت شوكتها وتسلطت على اقاليم كثيرة واسعة شاسعة

وحدث ان الملك مسينيسا تعدى على القرطجنيين واستولى على بلاد لهم فارسل مجلس رومية سفراء الى افريقيا للنظر والبت في هذا الامر وكان من جملتهم رجل اسمه كاتون الكبير شهير بالزهد وحب العيشة الخشنة لظنه ان هذه هي الطريقة الوحيدة لاحراز المجد والفخار ولما رجع كاتون الى رومية خبر المجلس ان القرطجنيين استعادوا قوتهم وقد دبروا وحرضوا على محاربة هذه المدينة وحربها واحضر معه تينًا من تلك البلاد كبيرًا جديدًا واراه لاعضاء المجلس وهم متعجبون وقال لهم ان البلاد التي توجد بها هذه الاثمار هي على بعد ثلثة ايام من رومية ومن ذلك الحين لم يكن يتكلم في المجلس عن امر الا ويقول في عرض الكلام اظن حرب قرطجنة واجبة

ولما كان القتال منتشبًا بين مسينيسا والقرطجنيين اتخذ الرومانيون ذلك ذريعة للمجاهرة بالعدوان وارسلوا الى افريقيا سنة ١٤٩ ق م ثمانين الف راجل واربعة الاف فارس فقلق القرطجنيون وبعثوا سفراء الى رومية يسترضون مجلسها فاجابهم المجلس انه يمنحهم الحرية والاستقلال بشرط ان يعطوا القنصلين قائدي الجيوش رهائن ثلثمائة من شريف ويخضعوا لطاعته

عمياً . لكل ما يامرانهم به وكان انقد الان وقتئذ في سيسيليا مستعدين لركوب البحر حين وصلت اليهما الرهائن القرطجنية فاجابا الرسل انهما يعلمان القرطجنيين ما يريدان حينما يجسران الى افريقيا

ثم اسرعا بالمسير ووصلا الى تيك الان او شاطر . ولقيا هناك سفرآء قرطجنيين اتوا ليسترضوهما محرطبوهما بما معادانا يحمل الذنب الذي جنيناه والاسباب التي حملت الرومانيين على غزونا بهذا الجيش العرمرم الم نقدم الحربة لما جاهدين بعمل كل ما يرضيهم واذا كانت الحرب التي حدثت بيننا و بين مسيبسا قد اغضبتهم ام ينظروا كيف احتملنا اعتدآءهُ نصبر عليهم ورضينا اخيرًا ان اليه ما طلبه . ولو فرض ان محاربتنا النوميديين دفاعًا عن وطننا هي ذنب ام نكفر عن هذا الذنب بتسليم انفسنا وبلادنا الى الشعب الروماني ومبادرتنا الى اعطآء الرهائن المطلوبة حسب امر المجلس فقال لهم حينئذٍ احد القنصلين اذا كنتم ترغبون في السلام احضروا لنا حالاً جميع الاسلحة الموجودة في مدينتكم لانها لا تفيدكم شيئاً فانقاد القرطجنيون لامره صاغرين وبعثوا الى المعسكر الروماني بمائتي الف مجن ورماح وحراب لا تحصى واتى ايضاً الكهنة والكبرآء بهيئة ذليلة ليحركوا الشفقة في قلوب الرومانيين فنهض حد القنصلين وقال لهم ابني اشكركم ايها القرطجنيون لاذعانكم لاوامرنا وتسليمكم الينا حالاً جميع ما طلبناه غير انه يجب عليكم الان ان تغادروا مدينتكم وتنتقلوا الى اي مكان ارديتموهُ من بلادكم بشرط ان تبعدوا عشرة اميال عن السواحل لاننا قد صممنا على هدم مدينتكم ودك اسوارها

وحين سمع القرطجنيون هذا الكلام نفش طار صوابهم من اعينهم ومرقوا ثيابهم من الحزن والقنوط ووقعوا على الارض يضربونها برؤوسهم ثم تقدموا الى القنصلين وهم يذرفون الدموع كالمطر وسالوهما ان يشفقا عليهم ويرحما قوماً اصبحوا كالطفل الصغير لا يستطيعون خيرًا ولا

شراً فلم يبالوا بتوسلاتهم وتذللهم شيئاً فملكوا المدينة واخذوا الشعب
بما كان فاضت الجميع بالبكاء والعويل وماجت الارض باقدام الرجال
والنساء والاولاد لانهم كانوا يسرعون لاستعلام الاخبار ويشعرون بالكآبة
واليأس ولا يعلمون اين هم ولا الى اين يذهبون غير ان بعضاً من
الكبراء العاقلين [illegible] عدم الاختيار المخصصة بهم ولكنه آثر الموت
شريفاً في ساحة الحرب على الحياة بالذل والعار فامر بايصاد ابواب المدينة
وجمع الحجار على الاسوار لرمي المحاصرين فنشط فعله هذا الاهلين الذين
قدموا على القتال بشجاعة وحمية مبين الحياة والموت في ساحة الحرب
فداء الوطن واعتقوا عبيدهم في ذلك النهار ليحسنوا ويقاتلوا معهم ببسالة
وكان الفرنسيون قد سلموا من المدينة احد قوادهم العظام المدعو
اسدروبال ارضاء للرومانيين لانه هو الذي حارب مسيبسا النوميدي
وكان هذا القائد محتالاً وقد جمع جيشاً يبلغ عدده عشرين الف راجل
فكانت فرصة فارجعوه الى المدينة وشرعوا يستعدون للقتال وجعلوا
الهياكل والمحال العمومية [illegible] واقاموا [illegible] رجالاً ونساء
شيوخاً واحداثاً يشتغلون الليل والنهار لتجهيز العدد اللازمة فكانوا يعملون
في كل يوم مائة واربعين مجناً وثلاثمائة حسام وخمسمائة رمح والف حربة
وقصت النساء شعورهن وصنعها حبالاً للآلات الحربية

ولم يكن القنصلان [illegible] هو جار دخل المدينة [illegible]
وامل وطمع لمحاصرتها ظانين [illegible] يستولون عليها بسهولة ولكنهما دهلا حينما
رايا الاهلين [illegible] السلاح [illegible] والمدافع [illegible]
واريد عن الاسوار [illegible]
[illegible] من حصنها [illegible] كانوا [illegible] حرب [illegible]
و [illegible] نجوم [illegible] كيف [illegible] يدافعون
عن نسائهم واولادهم وعن حريتهم التي [illegible] شيء لهم في العالم [illegible]

حرب اكثر من سنتين ولم تنته الا على يد سيبيو اميليانوس بن سيبيو الذي غلب برسيوس ملك مكدونية فذهب هذا القائد الفتى الى افريقيا واصلح نظام الجيش وشدد الحصار وفي ربيع سنة ١٤٦ ق.م استولى بفرقة من جنوده على احد الاسوار ودخل المدينة فقامت الحرب في الشوارع والمنازل على قدم وساق وبقي اشتعال نار القتال ستة ايام ولم يسلم من سكان قرطجنة الكثيرين الذين يبلغ عددهم سبعمئة الف نفس سوى خمسين الفاً لبسوا لباس الذل واتوا معسكر الرومانيين يطلبون الامان فاستخدمهم سيبيو واتخذهم عبيداً

وكان في المدينة تسعمئة رجل روماني قد هربوا من معسكرهم والتجأوا اليها فعلموا علم اليقين انه لا نجاة ولا امان لهم في جميع الاقطار فدخلوا مع هسدروبال القائد القرطجني الى هيكل وعزموا على حرقه والموت فيه اختياراً غير ان هسدروبال خرج من الهيكل سراً واتى الى القنصل حاملاً غصن زيتون دليل السلام واستسلم له فجثا سيبيو عند قدميه واراه للقوم المحصورين في المعبد فصرخوا صرخة شديدة وشتموه ثم اشعلوا النار وماتوا قبل ان امرأة هسدروبال صعدت الى سطح الهيكل ونادت سيبيو ورغبت اليه ان يقتص من زوجها الخائن ثم خاطبت بعلها قائلة ايها الرجل اللئيم الجبان الذي ان النار التي ستحرقنا مشتعلة ستجعلني قريباً مع بنيّ مروحة من هذه الدنيا مزودين بالفخر وستلبث انت يا مؤثر الحيوة على اماتة الالتزيد بمجد من انت جاثٍ عند سيبيو وتذوق منه عذاباً اليماً

وحينما استولى الرومانيون على قرطجنة امر المجلس بهدمها تماماً وهدم كل المدائن التي حاربتها واعطاء ارضها لحلفاء رومية وجعل البلاد التي كانت خاضعة للجمهورية الافريقية ولاية رومانية فانفذ سيبيو تلك الاوامر وعاد الى رومية حيث احتفل بنصره ولقب بالافريقي

قال احد المؤرخين ان سيبيو الكبير قد مهد سبل عظمة الرومانيين

اما سيبيو الصغير فقد فتح لهم باب السعة والترف لانهم لما صاروا من الفرحين اهملوا تلك الصفات الحسنة التي اوصلتهم الى هذه الدرجة العليا من سلم الفضيلة والفخر وسقطوا في مهاوي الرذائل

الباب السادس

من حين انتهاء الحرب القرطجنية الثالثة سنة ١٤٦

الى اقامة الحكومة الثلاثية الاولى سنة ٦٠ ق م

او

من سنة ٦٠٧ الى ٦٩٤ ب ر

الفصل الاول

لا ريب ان دأب الرومانيين توسيع نطاق سلطتهم بكل وسيلة يرونها موافقة لهذه الغاية ولا يهمهم بذلك رعاية صدقة وحفظ ذمام لانهم بعد ما هدموا مدينة قرطجنة وخربوا تلك الجمهورية الافريقية العظيمة بزمان قليل هدموا اركان الحكومة الاخائية اليونانية وحرقوا مدينة كورنثوس عاصمة البلاد وسبب ذلك انه تنازع الاهلون في امور طفيفة وابوا الانقياد لما امر به المجلس الروماني واضرموا نار الحرب الاهلية فحاربهم الرومانيون وقهروهم وخربوا مدنهم الحصينة وجعلوا البلاد اليونانية ولاية رومانية وكان الاسبانيون الشداد شجعاناً يحبون الحرب والغارات ويأبون الخضوع لغيرهم فنهضوا لقتال الرومانيين مراراً وقهروهم في وقائع كثيرة ودامت هذه الفتن مدة مديدة لجهل او جبن قواد الجمهورية في تلك الديار وبسالة وحكمة فيرياتس رئيس الثائرين الذي قتله

الرومانيون اغتيالاً سنة ١٤٠ ق م ومما يشهد لاولئك الاقوام بالجسارة والبأس هو ان نومنسيا احدى مدائن الاسبانية الحصينة قدرت وحدها ان ترد هجمات المحاصرين ولم تستظهر على ابطال دانت لهم امم الارض صاغرة فاقام الشعب سنة ١٣٣ ق م قنصلاً وقائداً لجيوش ذلك الاقليم سيبيو الذي خرب قرطجنة لانه كان احسن رجل قادر على اخضاع العصاة واحياء الشجاعة بقلوب الجنود

ولما وصل هذا القائد البطل الى اسبانيا وجد العسكر الرومانية هناك بلا ترتيب ولا نظام لا تعرف الانقياد لرؤسائها ولا الاذعان لاوامرهم وكانت منغمسة بالنعيم والملذات كأنها اتت لتتنزه لا للعسكر والكفاح فعلم القنصل انه من الواجب عليه قبل ان يحارب الاعداء ويقهرهم ان يصلح احوال الجنود ويكرههم على الخضوع لاوامره بطاعة عمياء فمنعهم عن التأنق بالماكل والمشرب وطرد من المعسكر الباعة والخدام والنساء العواهر ولم يترك للجندي غير مرجل وفراش محشو اوراق شجر او تبن وعوّد هؤلاء الرجال الاتعاب والصبر عليها

وفي ذلك الاوان ارسل ابو ميسيبسا ملك نوميديا مدداً مع ابن اخيه يوغرطة الفارس المغوار الذي له في تاريخ الرومانيين شأن عظيم والذي سنفرد لذكر اعماله الفصل الذي من هذا الباب

وكان سيبيو يرغب اجتناب قتال النومنسيين ما امكن لانه رأى الجوع خير جيش واحسن سلاح يفتح بها تلك المدينة بلا عناء فشدد عليها الحصار ومنع المدد والقوت من الوصول اليها فضاق الاهلون ذرعاً وارسلوا اليه رسلاً يسألونه السلام بشرط ان يعاملهم بالرفق والاحسان فمثل السفراء لديه ونهض رئيسهم وعرض بفصاحته بعبارات وجيزة اعربت عن مدح مواطنيه واطراء بسالتهم وعقب ذلك بقوله ان النومنسيين وان كانوا تعساء الان ليسوا مذنبين لانهم اقدموا على سفك دمائهم دفاعاً عن نسائهم واولادهم

واستدل بلا دم من العدل ايها الفضل ان زعم بحقانا يرومون الاستسلام
لك ولا ابن قد نهم بجار ويلك ويموتون كرجال في ساحة القتال اجابهم
سيبيو لا سلام الا بتسليمكم اياي سلاحكم ومدينتكم وانفسكم فرفض النياسيون
اجابته الى ما طلب وفضلوا الموت على حيوة ذليلة واخذوا في الاستعداد
للقتال ثم خرجوا من مدينتهم وهجموا على متاريس الرومانيين فهلك منهم
عدد عديد وارتد الباقون بالفشل ولما خاب املهم من النجاة حرقوا سلاحهم
وامتعتهم ومنازلهم وقتلوا انفسهم جميعاً بالجوع او السيف او السم او النار ولم
يتركوا للمنتصرين من المدينة سوى اسمها فدخلها سيبيو وامر بهدم الاسوار
والمنازل الباقية الدفينة وعاد الى رومية واحتفل بنصرته فيها

فيما كان سيبيو جاهداً في اخضاع مدينة نياسا والاستيلاء عليها
حدثت في رومية حوادث اقلقت الاهلين وفتحت باباً جديداً للفساد
واهراق الدماء في الاجتماعات العمومية وسبب ذلك تيبريوس وكايوس
غراكوس حفيدا سيبيو الافريقي الاول من ابنته كورنيليا اللذين كانا
حاذقين محبين نجيبين بالذكاء ولا يجاريان في الحصافة والا بين
مواطنيهم ... وشهرة واسعة وانتخب تيبريوس وكيلاً للشعب في هذه
السنة

وكان من عوائد الرومانيين كما ذكرنا سابقاً انهم اذا افتتحوا بلاداً او
اخضعوا امة ... يأخذون قسماً من اراضي تلك البلاد يبيعون نصفه
قيام نفقات الحرب ويعطون النصف الآخر للفقراء باجرة طفيفة ليحرثوه
ويقتاتوا من غلاته غير ان الاغنياء والكبراء قدروا بالخبث والدهاء ان
يختلسوا الاراضي المذكورة ويحرموا المحتاجين وسائل الراحة والهناء فحمل
ذلك تيبريوس غراكوس ان يفتح القانون العقاري الذي مرّ ذكره صفحة ٦٢
والذي بعد ان صدق عليه المجلس وعمل بموجبه مدة من الزمان أهمل
وطوته يد النسيان وكان هؤلاء الكبراء يستخدمون لحرث حقولهم

ونسائهم الكثيرين عبيداً وغرباء. لانهم تقدم الجمهورية ويرجون بحرابها

ونظر تيبريوس الى حالة الوطنيين الاحرار نظرة أسف على حالتهم التعيسة وشفق منهم فاراد احياء القانون العقاري وكاشف بذلك بعض اصدقائه الاصفياء فوافقوهُ وعولوا على مساعدتهِ لارجاع هذا القانون واجرائه

وعلم بما جرى الشرفاء والاغنياء فجنوا وهاجوا ولعنوا تيبريوس وقالوا انه ظالم مفسد يريد القاء الفتن لينال امر بشرفهِ والى اصدقائه واعوانه ويكسبهُ من الجميع اما الفقراء فكانوا مقيدين بسلاسل الحاجة والتعاسة لا يستطيعون ازواج لاحيائهم وان تزوجوا لا يمكنهم القيام باود عائلتهم وتربية اولادهم فتذكروا تلك الحروب التي خاضوا عجاجها والمعامع التي اقتحموا الاهوال فيها دفاعاً عن الجمهورية واعلاء لمنار مجدها وراوا انهم جوزوا على بسالتهم واتعابهم هذه بان كان الفقر لهم نصيباً وحرموا قسمة ارض يحرثونها و [illegible] [illegible] وراء العظمة [illegible] طله [illegible] من الشغل بسبب العبيد عنهم فاستعبدوا وهم احرار اسمى من الاولى خسروا الحرية وحقوقهم المدنية

وحينما اجتمع الشعب ليطرح مشروع القانون نهض تيبريوس وادفع بكلام بلاغة تفتن الالباب وتسلب القلوب ثم التفت الى الاغنياء وقال: هم اتفضلون يا قوم العبيد على الوطنيين والذين لا يجوز تجندهم على الاولى يسكبون دماءهم [illegible] الوطن [illegible] وحوش [illegible] واعوانا لها اما الرجال الذين يحافظون [illegible] واحد [illegible] سوى [illegible] والهواء [illegible] يطوفون [illegible] واولادهم [illegible] بأوونة فلا ريب ان القواد يتجرون من الحقوق [illegible] على [illegible] الاحصار [illegible] لانهُ لا يوجد احد منهم [illegible]

او مدقع فالحقيقة انهم يحاربون ويموتون دفاعاً عن ثروة الآخرين ومن العجب العجاب انهم يدعون سادة الارض وهم لا يملكون منها قدماً واحدة

فاذهلت فصاحته وحجته الدامغة الحاضرين فلم ينطقوا ببنت شفة بل انصرفوا متعجبين وكان مجلس الشرفاء يحاولون هلاكه واحاط اعداؤه فيما كان يخطب مرة في محفل حافل وقد زاد تحمسه والتعب حتى ان صوته لم يكن الجميع يسمعونه وضع يده على رأسه مشيراً للناس ان بعضهم يريد قتله فاوّل اعداؤه تلك الاشارة بانه يطلب الى الجمهور ان يجعل الملك فانقض عليه سيبيو ويكا احد نسائبه وكثير من الشرفاء وقتلوه مع ثلثمائة رجل من اصدقائه

وكان كايوس اخوه فتياً فلم يشترك معه في هذه المؤامرة بل قضى سنوات عديدة ساكناً لا يبدي حركة ولا يظهر رغبة في الانتقام من اعداء اخيه وقاتليه غير انه لما انتصب له الامر واصبح قادراً على اجراء اغراضه اعلن صداقته للشعب وعداوته للمجلس والكبراء واخذ يقترح قوانين واموراً تحط سلطة العظماء فرعبوا وعمدوا الى ارداته بالطريقة التي قتلوا بها اخاه تيبريوس وارسلوا لذلك القنصل او بيميوس مرفقاً من الجنود وحينما انصر اعوانه الخطر المحيط بهم التجأوا الى النهر فامر كايوس اذ ذاك احد عبيده ان يقتله فصنعه ذلك العبد ثم طعن نفسه وخر كلاهما صريعين سنة ١٢١ ق م [illegible] [illegible] [illegible] عشر رطلاً [illegible]

وحزن الشعب [illegible] على موت هذين الاخوين [illegible] مثالين في المكان الذي قتلا به وكان [illegible] وكلاء العوام فذلوا بعد مدة عديدة وفقدوا تلك الحمية التي طالما اشتهروا بها وعند الكبراء والاغنياء قدرهن لا يجسر احد ان يجابههم امراً وكان

الذين العتاقي قد دخل مع العركيين فاصبح نسيباً منسباً

وفي سنة ١٣٤ ق م ثارت حرب مهولة في سيسيليا وسببها ان الاغنياء هناك اشتروا عبيداً كثيرين لحرث ارضهم والاعتناء بها ولما كان اولئك العبيد لا يعاملون معاملة حسنة ولا يعطون طعاماً كافياً لهم كانوا يفتكون احياناً بالاهلين وينهبون دائماً ما يمكنهم نهبه وكان الولاة يغضون الطرف عن اعمالهم خوفاً من مواليهم الذين كانوا في الغالب فرساناً رومانيين ذوي مقام رفيع فاتسع الخرق وزاد اولئك الاشرار جسارة وتجوراً حتى انهم تآمروا في خلع نير العبودية

وكان لرجل سيسيلي عبد سوري يسمى اونوس ذو فكر ثاقب ودهاء عظيم فادعى ان الآلهة تظهر له في الحلم وتذاكره بامور السر فصدقه بعضهم وصار الناس يأتونه افواجاً ليخبرهم بامور خطيرة

وجاءه اليونانيون يوم عبيد رجل غني من مدينة انا واخبروه انهم يريدون قتل مولاهم وسألوه اذا كانوا محقين في عملهم ام مخطئين فاجابهم ان كل ما يريدون فعله يرضي الآلهة بشرط ان يباشروا الامر بسرعة ونشاط فاجتمع العبيد المذكورون وكان عددهم اربعمئة نفس واقاموه قائداً عليهم وقصدوا مدينة انا [illegible] ودعوه الصيوخوس وسموا انفسهم سوريين ولما علم بذلك العبيد اسافون رعوا اليه حتى صار عددهم [illegible] وحاربت تلك الفئة وقهرتهم وبثت جنودهم في البلاد

ولما استفحل امر عصاة العبيد جاء الى سيسيليا قنصل وجيش عرمرم [illegible] الفتنة [illegible] في سنة ١٣٢ ق م

الفصل الثاني

في حرب يوغرطا

ان مسيبسا الذي ملكه الرومانيون على بلاد نوميديا خلف ثلاثة بنين مات منهم اثنان وبقي ميسبسا الذي ملك بعد وفاة اخويه على جميع ذلك الاقليم وكان لهذا الامير غلامان وابن اخ اسمه يوغرطا احبه جداً واعتنى بتربيته غاية الاعتناء

وكان يوغرطا جميلاً وشجاعاً لا يهاب الموت ويقتحم الاخطار بقلب ثابت كأنه ساع لنيل المنى ولقد الف ركوب الخيل وهو صغير فشب فارساً مغواراً لا يجاري في فنون الضرب والطعن ولا يبارى بميدان البسالة والاقدام وكان مع ذلك لطيفاً ودوداً لا يعرف العُجب والافتخار فاحبه جميع الفرسان والابطال ودانوا له طائعين اختياراً

وكان الملك قد خشيه من عشيرته وادرك ان يوغرطا لا بد ان يجمع اليه عن قريب الملك ويرفعه دون ابنيه فاراد ان يهلكه اغتيالاً ولكنه خاف الشعب وخشي حدوث ثورة وفتنة فارسله مع فرقة من جنوده الى البلاد الاسبانية لمساعدة الرومانيين على فتح مدينة نومانسيا آملاً ان تقع عليه وقعة فيهلك فاسرع يوغرطا الى ساحة القتال واظهر ادهش من البأس والاقدام ما حيّر الابطال ونال له بين الرفاق من القواد العظام الذين [illegible] في [illegible] [illegible] بمكنة الملك على البلاد النوميدية وارضاء الرومانيين [illegible] [illegible] الاصغر [illegible]

ولما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لمساعدته [illegible] يوغرطا واثنى عليه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ان يكون صديقاً

صديقاً للشعب الروماني وألا يغفل عن عمل كل ما يرضيه ليحرز المجد
وينال المقام العالي ثم امره بالانصراف بعد ما اعطاه كتاباً الى ميسبسا هذا
معناه

احييك علماً ان يوغرتا قائد جنودك قد اظهر في هذه الحرب فعلاً
غير الشجعان فساخبر بصفاته الحسنة مجلس وشعب رومية ليجاه وجلاءه
كما احبه واجله انا وبناء عليه امتلك مثل هولاء ربيب اهل لان يكون
ابن اخيك وحفيد مسينيسا العظيم

وعلم الملك استحالة هلاك يوغرتا سراً او علناً واراد تلافي الخطب
ومصادقته فتبناه واشركه في الملك مع ابنيه الشرعيين وحين حضرته ساعة
الوفاة ضمه الى صدره وسأله الا يحول عن العهد وان يتذكر احسانه اليه
ويعامل ابنيه بمثل ذلك

وبعد ان دفن الملك المتوفى بالفخر والتكريم اجتمع الامراء الثلاثة
للنظر في امور المملكة واصلاح شؤونها نخوة وكان اصغر ولدي ميسبسا
فتى حادقاً محتقراً يوغرتا وبمعصية دنية وحرص على يمين اخيه لئلا يكون
ابن عمه في الوسط وهو محل يحفظ في الاجتماعات لذوي المكانة العالية
ويدل في كل حال على الرئاسة فغضب يوغرتا ووغر صدره عليه لا سيما
حينما قال انه يجب مراجعة الاوامر التي اصدرها ميسبسا في السنين الخمس
الاخيرة اجابة ذلك الفتى نعم بما راحني ما تشير به لان ابي قد تساهل في هذه
المدة فاشعل هذا الكلام الذي في قلب يوغرتا سعير الغضب وحب الانتقام
وارسل رجالاً الى منزل ابن عمه فقتلوه به ليلاً

وعلم النوميديون بما حدث وانقسموا الى قسمين حازب كل منهما احد
الامراء واستشبت بذلك الحرب بين الفريقين واضطرمت نار الفتن الاهلية
ولما كان الفرسان والابطال يحبون يوغرتا لبسالته انضموا اليه حالاً فتقدم
بهم الى ساحات الضرب والطعان وانتصر مدة ثم واستولى على جميع البلاد

ورأى ادربال بن ميبسا فور حصره والانحصار انه اصبح محاطاً بها من كل جانب فرّ هارباً الى ولاية رومانية ومن هناك اسرع بالذهاب الى رومية

وخشي يوغرطا غضب الرومانيين فارسل على الفور سفراء الى رومية واعطاهم الهدايا الثمينة والاموال الوافرة ليسترضوا الرؤساء ويرشوا القابضين على زمام الاحكام فنجح اولئك الرسل بالتزلف من الكبراء واستمالتهم فسيدهم وغض المجلس لذلك الطرف عن اعماله القبيحة وامر بقسم المملكة بين الاميرين فنال المغتصب احسن النصيبين واكبرهما غير انه لم يرض بما حتى شن الغارة على ادربال وبعد حروب طويلة استولى على مدنه واماته شر ميتة . فاغضب هذا الفعل الشعب الروماني وامر يوغرطا بالحضور الى رومية ليبرئ نفسه مما نسب اليه متكلاً على دراهمه ودهائه كبراء تلك المدينة ولقد كاد يظفر بامره لو لم يقتل هناك نوميدياً نسيب ميبسا اراد ان ينازعه الملك حينئذ امره مجلس الشيوخ واوعز اليه ان يغادر ايطاليا حالاً فقيل انه لما خرج من رومية فاه بهذه الكلمات ايتها المدينة المبيعة على الفساد والرشوة انك على شفا الخراب ولا يعوزك غير مشترٍ يشتريك

واراد الرومانيون تاديبه وعزموا لهدم الطاغي فارسلوا الى افريقيا جيوشاً جرارة سنة ١١٠ ق.م واملوا ان يفتحوا بها ذلك الرجل المحتال ولكن دهاءه وضع النقود حالا دون النجاح والبس ملك الامة العظيمة ثوباً من الذل والعار لان ذلك النوميدي قدر ان يستميلهم بالدرهم الغرار فاهملوا واجباتهم وقضوا اياماً كثيرة بالجولان بالبلاد بلا فائدة واخيراً حينما رجع القنصل رئيس تلك الجنود الى رومية اغتنم يوغرطا الفرصة وحارب عساكره وقهرهم واكرههم ان يمروا تحت النير دلالة على الذل والعبودية

ولما بلغت تلك الاخبار الشعب الروماني غضب جداً وبعث سنة

١٠٩ ق . م ميتلوس مع جيش جمهورتهُ وكان هذا القائد خبيرًا بالفنون الحربية ورجلاً فاضلاً لا يؤثر شيء على خير امته والبلاد فاتى افريقيا وباشر الحرب بهمة وحكمة فنال على عدوهِ نصرًا مبينًا واستولى على المدائن الحصينة ولقد كاد يذلل جميع المصاعب ويقبض على يوغرتا اسيرًا لولا ماريوس احد قواده الذي رغب في الارتقاء بحمل الرومانيين بدهائه ومكره على اقالته فصلاً وتقليده قيادة الجيش

وفي سنة ١٠٧ ق . م وصل ماريوس الى افريقيا واثار على النوميديين حربًا عوانًا فقهرهم مرارًا وتنقلت عساكرهُ في البلاد واكره بوكخس ملك موريتانيا وحما يوغرتا على العود من ساحة القتال وطلب السلام وارسل اليهِ حارثة سيلاً وهو رجل يقل نظيرهُ في الدنيا ودليل ذلك ما سنراهُ في هذا الكتاب عن اعمالهِ العجيبة التي تشهد لهُ بالبراعة والنباهة ولكن لا نبرئهُ من المكر الذي اتخذهُ شعارًا ولا نبيض سيرتهُ التي سودتها قسوتهُ وجعلتهُ مثالاً للحقد وحب الانتقام

وحينما قابل سيلاً الملك المغربي اخبرهُ ان المجلس الروماني رضي بابرام الصلح معهُ بشرط ان يشتري السلام بخدمة مهمة وبسلم صهرهُ يوغرتا الى الرومانيين فتردد بوكخس زمانًا طويلاً حتى انهُ عزم ان يقبض على سيلا ويسلمهُ اسيرًا الى يوغرتا غير ان هذا البطل الروماني تغلب عليهِ بمكره ودهائهِ واراهُ جليًا ما وراء عذره من الاخطار وخوفهُ من غضب الرومانيين فحملهُ على خيانة صهره الذي دعاهُ اليهِ محتجًا بانهُ يريد محاربتهُ ولما حضر قبض عليهِ وسلمهُ الى سيلا مكبلاً بالقيود وهكذا انتهت هذه الحرب الشهيرة التي كان بودنا ان نتكلم عنها بالتفصيل حسبما روى ذلك سلست المؤرخ اللاتيني البليغ لولا وجوب مراعاة المناسبة في الاخبار من حيث الاسهاب او الاختصار وخوفنا من ملل المطالعين في ديارنا العربية لانهم لم يعتادوا درس الحوادث القديمة بهمة ونشاط فيسرعون من كثرة الاسماء الاعجمية وتستك مسامعهم

من الفاظها الوحشية فيتخذون ما تكتبه ورآه ظهريًا كما اتخذوا كتبًا اخرى تاريخية النها او ترجمها بعض الفضلاء من ابناء الوطن ولا ذنب على اولئك المؤلفين او المترجمين سوى انهم لم يبسطوا الكلام على الاخبار التي تستلفت نظار المتفكهين ولم يهملوا الحوادث القليلة الاهمية المملوءة بالالفاظ الغريبة التي يجب حصرها في الجداول التاريخية او تركها راسًا لانها من مباحث الاسفار المطولة . وهناك ايضًا ذنب آخر وهو ان بعض المترجمين غير مصطلح بلغته التي يكتب فيها او ينقل اليها فيلتزم الترجمة الحرفية ويعسر عليه احيانًا فهم غرض المؤلف فياخذ في التاويل والتحريف وهو يخبط خبط عشواء فياتي كلامه لغوًا وعباراته خارجة عن حد التركيب المالوف وبعضهم يكون قليل المعرفة باللسان الذي يترجم منه فينصرف بالمعاني وهو لا يدري

وكان سيلا يفتخر ماريوس بنصرته على الملك النوميدي حتى انه عمل خاتمًا نقش عليه صورته وصورة باخس آتيًا يسلم اليه يوغرتا الذي أحضر الى رومية ومشى امام مركبة القائد الظافر حينما احتفل بنصرته ثم طرح بالسجن ومات فيه جوعًا

الفصل الثالث

في حرب السمبرين والتيتونيين والحرب الاهلية او الايطالية

ان تاريخ الشعب الروماني هو بالحقيقة سلسلة قتال وفتن فلا تكاد هذه الامة توصد باب حرب الا ويفتح الزمان لها ابوابًا لذلك لم يكن فرحها بانتصار ماريوس او قهر يوغرتا خالصًا من شوائب الكدر لان السمبريين والتيتونيين وهم قبيلتان ساكنتان في الجهة الشمالية من اوربا زحفوا الى الجنوب

بالقرب من جبال الالب واخذوا في تخريب ونهب البلاد العامية فارسل المجلس الجيوش اللازمة لقمع هولاء البرابرة ولكن قواد تلك الجيوش كانوا جاهلين غير متفقين فانكسروا سنة ١٠٤ ق . م كسرة مهولة لم ير الرومانيون نظيرها منذ تاسيس مدينتهم لان الاعداء قتلوا منهم ثمانين الف رجل واربعين الفاً من الخدام والتابعين غير ان هولاء الاقوام الظافرين لم ينتفعوا بنصرتهم بل طرحوا الذهب والفضة والامتعة الثمينة التي غنموها في النهر ومزقوا الثياب وكسروا السلاح واغرقوا الخيل وعلقوا الموتى باغصان الشجر وعوضاً عن ان يجتازوا جبال الالب ويدخلوا الى ايطاليا رجعوا الى اسبانيا فهزمهم هناك السلتيبريون والجأوهم الى رجوع من حيث اتوا

ولا يمكننا تصور الكدر الذي استولى على الرومانيين حينما نعي لهم ذلك الجيش الجرار فهاجوا وامروا بخلع القائد عن منصبه وحجز املاكه ولا يخفى ان هذا الامر قصاص قاس لم يعاقب به قائد قبلاً

ولم ير الشعب في هذا الضيق رجلاً اقدر من ماريوس على انقاذ الوطن من مخالب الاعداء فاقامه قنصلاً اربع سنوات متوالية وذلك مضادٌ للعوائد الرومانية والقوانين فشرع ذلك القنصل يستعد للقتال والكفاح ويعود جنوده الاتعاب والصبر عليها ثم زحف وعسكر على نهر الرون فالتقى هناك بالتوتونيين الذين اتوا فاتحين لانهم راموا اولاً اجتياز جانب عساكره وجعلهم يالفون صياح البرابرة الشبيه بعواء الذئاب ولا يجزعون من مناظرهم الوحشية القبيحة قيل ان قائداً تيتونياً قوياً طويلاً اراد مبارزته فاجابه اذا كنت تحب الموت فاذهب واشنق نفسك . ولما راى التيتونيون ان الرومانيين يرفضون القتال رحلوا الى ايطاليا فتبعهم القنصل وهجم عليهم بالقرب من مدينة اكس سنة ١٠٢ ق . م وقتل منهم واسر اكثر من مئة الف رجل وفي اليوم التالي نال ماريوس رسائل من رومية وخبر بها انه اقيم قنصلاً مرة خامسة بسبب هذا الحرب في المعسكر فرد عنها واسرع

لذلك السرور عامة

وفي سنة ١٠١ ق م التقى السمبريون والرومانيون عند نهر البو وشرع كل فريق يستعد للكر والكفاح ويظهر ان السمبريين لم يبلغهم خبر انكسار التيتونيين او لم يصدقوه فارسلوا رسلاً يطلبون الى القنصل ان يعطيهم اراضي ومدناً كافية لسكنهم مع اخوتهم

— ومن هم اخوتكم

— فقالوا له التيتونيون

فضحك جميع الحاضرين من كلامهم غير ان ماريوس [illegible] واجابهم قائلاً

— لا تهتموا بشأن اخوتكم لاننا قد اعطيناهم ارضاً كافية سيملكونها الى الابد

فغضب السفراء جداً وظهرت على وجوههم سمات الحنق وقالوا له ستندم على كلامك لان السمبريين سينتقمون منك ومن جرأتك على احتقارك [illegible] وحينما يصل التيتونيون سيقاتلونك قتالاً لا يبقي ولا يذر

[illegible] ماريوس [illegible] ان [illegible] [illegible]

ثم امر [illegible] وقواد التيتونيين [illegible] السفراء [illegible] ورجعوا في الحال يخبرون قومهم بما جرى

واتى السمبريون بعد ذلك وعسكروا في مكان قريب من الرومانيين ورتب [illegible] الحرب [illegible] [illegible] القنصل

[illegible] واعداءهم [illegible] القتال ولكن [illegible] بعد ثلاثة ايام في سهل [illegible]

وفي اليوم المعين التقى الجيشان واشتبت الحرب وكانت عوانًا وقاتل الفريقان في ذلك النهار قتال من ستمات وثبات ثبات الابطال الا ان الرومانيين انتصروا اخيرًا على اعدائهم وكانوا بهم تنكيلاً واسروا ستين الف رجل واردوا الدفين وسعت هذه الاخبار رومية ليلاً ففرح الشعب جدًا واخذ يقدم قرابين المريوس كما يقدم للآلهة ودعاه مؤسس المدينة الثالث

ان لفظة ايطاليا كانت تصدق قديمًا على الاراضي الواقعة داخل نهر الروبيكون (الان نهر لورا حسب منشور البابا سنة ١٧٥٦ غير ان البعض يرجح كونه نهر بيزاتلو وهو ابعد منه قليلاً الى الجهة الشمالية) الذي يصب في بحر الادرياتيك بالقرب من مدينة ريميني الحالية ونهر اربوس (الان اربو) الذي يصب في البحر الترسي الواقع بين سردينيا وايطاليا بالقرب من بيزا وهي اعظم مدينة في اترورديا (الان توسكانا) وكلا النهرين واقع في عرض درجة ٤٤ شمالاً ما البلاد الواقعة وراءهما الى سفح جبال الالب فكانت تدعى غاليا السيزالبية وهي قد اخضعت من زمان وجعلت ولاية رومانية

ولم يحسب الرومانيون الايطاليين رعية لهم حلفاء. تختلف شروط محالفتهم باختلاف الازمنة والوسائل التي اخضعوا بها وسادوا عليهم لم يكن لهم جميع امتيازات وحقوق الوطنيين سكان رومية غير ان اللاتينيين كانوا ممتازين عن الامم المجاورة والعاصين كان لهم حق الاقتراع لذلك لم ينهضوا مع الباقين في طلب المساواة

وكان الحلفاء مجبرين ان يقدموا للرومانيين جزية معلومة في كل سنة وان يقدموا عساكر لمساعدتهم وقت الحرب غير ان تلك العساكر كانت منفردة وحدها لا يمكنها الامتزاج مع الفرق الرومانية الخاصة اما قوادها وروسائها فكانوا رومانيين يتبعون اوامر قائد الجيش العام

وكان الايطاليون من زمان طويل يطلبون الى الشعب الروماني منحهم جميع الحقوق الوطنية فبدلاً من ان يمنحهم تلك الحقوق التي استحقوها بشجاعتهم واخلاصهم للحكومة الجمهور بقتل الحكام والكبراء الذين جاروهم فاتحدوا اذ ذاك جميعهم وثاروا على رومية سنة ٩١ ق . م حرباً عوانا دامت سنتين ولم تنتهِ الا بنيل مارغبوا

الفصل الرابع

في حرب مثريدات الاولى وعداوة ماريوس مع سيلا

ان مثريدات ملك بونتس الذي نازع الرومانيين زماناً طويلاً السلطة على البلاد الاسيوية ارتقى عرش مملكته في السنة الثانية عشرة من عمره ولما كان هذا الامير عاقلاً نجيباً اراد اوصياؤه ان يهلكوه وهو صغير فاركبوه فرساً جموحاً اخذ يعدو به الرذقي وهو يغير وبعد غير ان مثريدات تخلص من الخطر بمهارته وثبات جنانه ولانه رجع الى قومه آمناً سالماً قبل انه كان مولعاً بالطب والتطبيب حتى ان اعوانه لكي يتزلفوا منه كانوا يجرحون بعضاً من اجسادهم ليعالجهم ويبدر شفائهم وادعى انه يحب الصيد ليخلو من القتل ويكون على حذر خارج المدينة فقضى سبع سنوات جائلاً في الرياض والغياض بين الجبال والآكام لا ينام في بيت ليلة واحدة على ان هذه العيشة وتلك الاتعاب ولدت في قلبه الشجاعة والثبات وعودته الصبر على الاهوال والرزايا فشب درعاً مغواراً يصطفي ... ره وجبارا لا يجارى في ميادين الضرب والطعان فقتل اوصياءه وامه واخاه ورجع نحو ... واخضع قسماً عظيماً من البلاد المكيتة (الان ...) وغيرها واخر

التراكيين ومن يجاورهم ان يحاموهُ ويساعدوهُ بجنودهم ويظهر ان تصراته هذه قد زادت امنة وازالت على ما رغم جميع العقبات التي تقف في طريق نجاحهِ فتحت انصاره الى امتلاك آسيا. فغادر بلاطهُ وسافر متنكراً[13] مع بعض اصدقائهِ يجول في البلاد ليرى قوة المدائن والحصون والمظنون ان هذه الرواية قد اختلقها الرومانيون ليشهروا اعداء الملك في الحرب التي سنأتي على ذكرها في هذا الفصل

وحدث ان ملك كادوكية تزوج لودكي اخت متريدات فولدت له غلامين وكان ملك البونتس جاهداً في الاستيلاء على تلك البلاد فاغتال صهرهُ وسعى ليقتل ابني اختهِ غير ان نيكوميدس ملك بثينيا زحف بجنوده وافتتح كبادوكية واقترن امرأتهُ

ولما سمع متريدات ما جرى اسرع لمحاربة خصمهِ فقهرهُ وملّك ابن اختهِ البكر الذي دفعهُ بعد ذلك بمدة لانهُ عصى اوامرهُ ولم يرضَ بارجاع غورديوس قاتل ابيهِ من المنفى ثم طرد ابن اختهِ الآخر وولى ابنهُ وهو صبيٌ عمرهُ ثماني سنوات دعاهُ اريارانس واقام لهُ وصياً غورديوس المذكور

وكان اعكم الذين اقدم متريدات ظالمين طامعين فملَّ الكبادوكيون من جورهم وارسلوا يدعون ابن ملكهم الشرقي ليملكوهُ عليهم فانام هذا الفتى على جناح السرعة وحارب متريدات ولا مهُ انكسر ومات

وخشي نيكوميدس من ملك البونتس الذي استولى الان على كبادوكية وقويت شوكتهُ ان تدفعهُ المطامع الى افتتاح البلاد البيثينية المجاورة لها فاتى بفتى مليح ادعى انهُ ابن ملك كبادوكية المقتول وارسلهُ الى رومية مع الملكة لودكي يسأل المجلس ردَّ مملكته ابيه عليهِ وعلم ذلك متريدات فبعث بغورديوس ليدحض دعوى خصمهِ ويثبت ان الغلام المالك هو ابن الملك الحقيقي ويلوح ان الآباء اعضاء المجلس ادركوا ما وراء دعوى الفريقين من المكر والخداع فاخذوا كبادوكيا من متريدات وبافلاغونيا من نيكوميدس

(هي بلاد استولى عليها هذا الامير ظلما وعدوانا) واعلنوا انها حرتان مستقلتان ولما كان الكبادوكيون معتادين لحكومة الملكية طلبوا تولية ملك عليهم واختاروا لذلك رجلاً شريفاً اسمه اريوبارزانس

ولم يجاهر متريدات الكبادوكيين بالعداوة ولكنه ثار عليهم الارمينيين فاستجاروا بالرومانيين الذين ارسلوا في الحال سيلا الى آسيا ليصلح احوالهم ويطرد المعتدين ففعل ذلك سيلا ورجع من حيث اتى في سنة ٩٢ ق م

وكان تيغرانس ملك ارمينيا قد فتح مدائن واقاليم واسعة شاسعة فاصبح مرهوب الجانب يخافه جميع الامم المجاورة فحرّض متريدات اليه وزوجه ابنته كليوبترا ثم اغراه بقتال الكبادوكيين فزحف الارمني بجنوده ولما علم ذلك اريوبارزانس ترك عرش مملكته ومملكته وفرّ هارباً يطلب نجاة

ومات في هذه الاثناء نيكومدس فيلوباتر ملك بثينيا وخلفه ابنه المدعو ايضاً نيكومدس وكان الرومانيون راضين به فاصدر مجلسهم امراً بثبت جلوسه على اريكة آبائه الا ان اخاه سوكراتس حرستس ادعى ان له حقاً بالملك فاستعان بعساكر متريدات وحاربه وخلعه

وعلم الرومانيون ما حدث فارسلوا سفراء الى آسيا ردوا على المسكين المعزولين ما فقداه وكان متريدات يود التظاهر بمصادقتهم فقتل سوكراتس حرستس المغتصب الذي لجأ اذ ذاك الى بلاده مستجيراً

وحالف متريدات في ذلك الحين تيغرانس ملك ارمينيا وتعاهد انهما يتحدان لمحاربة الامم المجاورة واتفقا ان المدائن والاراضي التي يفتحانها تكون ملك الاول اما الثاني فله الحق بنهبها ونقل سكانها الى مدينة تيغرانوسرتا التي كان آخذاً بانشائها والتي كان يود ان يجعلها من اعظم مدائن العالم

وكان المعتمدون الرومانيون في آسيا يرومون انشاب القتال ليتسنى لهم النهب وحشد الاموال فاغروا ملك بثينيا بمحاربة متريدات

فسن الغارة على بلاده وغنم قسماً عظيماً منها فتظاهر ملك بونتوس ان لا
علم له بما فعل وامر سفرآء الرومانيين وارسل اليهم رسلاً يعرضون لهم ما
جرى ويسالونهم مدداً لقمع بكوميدس او لاجباره على ارضائه وتعويضه
ما خسر وكان السفرآء الجبليون يشكون من اعتدآء مثريدات عليهم
ونهوضه في عدو رومية الكثوبه اسمه سوكراتس على خلع ملكهم الذي
رجعه محميهما واستولى على محال كثيرة في حرورس التركة مع ان
الرومانيين حصروا على جميع ملوك آسيا تملك قطعة ارض في اوربا ولولم
يكن ناويا العدوان بجاورته لم يجمع الجنود وهو يجهد في محالفة ملوك
كثيرين حين نبر اجابهم بلوبيداس السفير الوطني ان هذا المقام ليس
مقام محاكمة وخصام فالامر واضح لا يستوجب الجدال ثم استانف التهامة من
من المعتمدين الرومانيين ان يامروا بكوميدس بكف القتال او يسعوا
مثريدات عليه فقالوا له انهم غير راضين بما جرى لان ذلك يضر الجمهورية
الرومانية وانهم لا يسعون لاحد ان يعتدي على الاخر

ولما كان مثريدات موقناً ان الكبادوكيين هم المعتدون ارسل ابنه
اريارانس بكتيبة الى بلادهم واستولى عليها بعد ثم بعث بلوبيداس سفيراً
الى المعتمدين الرومانيين يسال لهم ان غدر ومكر الكبادوكيين قد حملاه
على محاربتهم وان مولاه قد ارسل يشكوهم الى مجلس رومية فيلزمهم الذهاب
الى هناك ليدافعوا عن انفسهم لديه فغضب المعتمدون من هذا الكلام
وامروا مثريدات بالجلاء عن كبادوكية وان يكف كل اعتدآء على
بكوميدس ثم صرفوا السفير واوعزوا اليه الا يعود اليهم مرة اخرى اذا كان
الملك ظل مصراً على العصيان

ولم ينتظر المعتمدون لاشهار الحرب امر المجلس بل جهزوا سنة ٨٧
ق م من الولايات الاسيوية مائة وعشرين الف رجل قسموهم الى ثلث
فرق وفرقوهم في البلاد ليحتلوا المراكز الحسنة ويهجموا على الاعدآء وامدهم

بكوميدس بخمسين الف راجل وستة الاف فارس . اما عدد جنود مثريدات فكان مائتين وخمسين الف راجل واربعين الف فارس وكان له مائة وثلاثون مركبة مسلحة واربعمائة سفينة حربية وامدهُ صهرهُ تيغرانس ملك ارمينيا وملوك بارثيا وخورسان اوسور يا وغيرهم بعدد عديد من الابطال والفرسان

وهاجم قائدا ملك بونتس بكوميدس بعشرة الاف فارس ارمني وبضع مركبات فكسراهُ وشتتا شمل عساكره وعامل مثريدات بعد هذه الوقعة الاسرى بالرفق والاحسان وارجعهم الى بلادهم بلا فدا . ثم زحف بجنوده الجرارة وقهر فرقة رومانية والجأ الفرقتين الباقيتين الى الفرار فخضعت له البلاد صاغرة واستتب له الامر في جميع تلك الانحاء وبعد ان الانتصار لم يبطرهُ ولم يهيج بصدره حب الانتقام بل صفح عن الاهلين كافة واعفاهم من الديون التي عليهم للحكومة وسمح لهم بجزية خمس سنوات واستولى بعد ذلك على كل مدائن وجزائر اسيا الصغرى ما خلا رودس وقبض على القائد أكيوس الروماني وكرمه اما القائد اكوليوس فعامله بقساوة عظيمة واركبه على حمار في مقدمة الجيش واجبرهُ ان ينادي وهو سائر انا مانيوس كويلوس الذي قنصل الروماني وامانه اخيرًا في اراضي ترواده بان صب ذهبًا مصهورًا في حلقهِ وذلك توبيخ للرومانيين على طمعهم الاشعبي

وعزم المجلس في هذه السنة على محاربة مثريدات وناوشه بجهز جيشًا جرارًا ولى القنصل سيلاً قيادته فهاج ذلك في فؤاد ماريوس حاسات الحسد والغضب لانهُ كان عدوهُ وكان يرغب من زمان طويل قتال ملوك آسيا طمعًا بثروة تلك البلاد فسعى مع صديقهِ سيلبسيوس احد وكلاء الشعب في عزل سيلاً عن منصبهِ فتم له ما ارادهُ لان المجلس أُكره على اصدار امر بهذا الشان لكن سيلاً كان وقتئذٍ بعيدًا عن رومية يحارب او يحاصر

مدينة نولا فلم يصدع بامر المجلس وقتلت عساكره الرسولين المرسلين لابلاغه ما حدث ولما علم ذلك ماريوس قتل كثيرين من اصدقائه وحجز املاكهم وهو يريد بهذا الامر ان يشفي غليله وينتقم من عدوه الالد حينئذٍ زحف سيلا بجنوده الى رومية ودخلها بعد ان قهر اعداءه وجمع المجلس في الكابيتوليوس واوعز اليه ان يصدر امرًا بنفي ماريوس وابنه وسلبيسيوس وتسعة اخرين فلم يجسر الاعضاء ان يفوهوا ببنت شفة بل صدقوا جميعهم على ما طلبه

ولم يكتف سيلا بنفي عدوه بل أهدر دمه ووعد من يقتله بجزاء وافر ففر ماريوس من رومية هاربًا وهام على وجهه في المدن والبحار وما زال محفوفًا بالمشقات والاخطار حتى القى اعداؤه القبض عليه في مرج منتورني وقادوه اسيرًا روى المؤرخون انه قال لجندي سمبري همّ بقتله اتجسر يا رجل ان تقتل ماريوس فجزع السمبري وهرب واخذ يعدو حتى وصل الى المكان المجتمع فيه شعب تلك المدينة فطرح سيفه وصرخ لا يمكنني ارداء هذا البطل ويظهر ان المنتورنيين اشفقوا عليه وحادوا عنه فجهزوا له مركبًا واعطوه زادًا وسمحوا له بالرحيل عن ديارهم

وظل هذا القائد الشهير تائهًا حائرًا حتى وصل الى افريقيا فبينما هو بين اطلال قرطجنة رسول والي تلك الولاية وامره ان يرجع من حيث اتى فاجابه اذهب وقل لمن ارسلك انك نظرت ماريوس بين اطلال قرطجنة ومعنى هذا الكلام ان ما حدث له ولتلك المدينة العظيمة مثال صريح لغدر الدهر يعلم الوالي الحذر من صروف الزمان

ولما كان سيلا قد غادر رومية ورحل لقتال متريدات قدر ماريوس ان يرجع اليها سنة ٨٦ ق م آمنًا سالمًا لان شيعته سنا الذي هو قنصلًا اعانه على ذلك فدخلها مع اربعة الاف عبد قوي شجاع واوعز الى واحد بقتل الاعيان شيئًا فشيئًا فتشعر بها الاذن فيقتله مثل رجل زري

قد استولى على مدينة عنوة وولجها شاهراً ومشهراً سيف الانتقام لا يعرف سوى سفك الدماء ونهب المهج

وكان اعدآؤهُ واصدقاؤهُ يرتعدون خوفاً لان حيوتهم كانت متوقفة على اشارة او التفاتة منهُ وكثيراً ما كان عوانهُ الاشرار يفتكون بالاولى لا يرد عليهم التحية والسلام وبينما كان الدم جارياً في شوارع رومية كالانهار نهض ذلك الوحش البربري وقص على الشعب الخنوع ما عاناه من المشقات والاخطار ثم قال انهُ بعوده الى المدينة قد عاد اليوم حسرة حين نفيهِ منها

وبعد ان داس هذا الظالم الفاجر قوانين بلاده وشرائع الانسانية اراد ان يستر اعماله القبيحة برفع العدل فسمح برافعة الدعاوي يوم قتلهم فمات عدد عديد من الكبراء والعوام بسبب جوره وجور عدلهِ وفرّ كثيرون من العظماء الى بلاد اليونان يستجيرون سيلاً واخبروهُ ان عدوهُ قد حرق بيتهُ وخرب اراضيهُ واهلك اصدقاءهُ واستبد بالسلطة يفعل ما يشاء ويشاء ما لا يجمل فعلهُ ومع كل هذا لم يكن ماريوس يعرف لذة الراحة او راحة الضمير بل كان قلقاً تتقاذفهُ امواج الهموم لانهُ كان خائفاً سيلاً وما زال كذلك الى ان قبض في ١٣ كانون الثاني سنة ٨٦ ق م ولهُ من العمر واحد وسبعون عاماً

ولما استتب الامر لمتريدات بقهره الجنود الرومانية اصدر منشوراً الى سكان البلاد يامرهم فيهِ ان يقتلوا في يوم عينهُ لهم جميع الايطاليين الموجودين في مدائنهم رجالاً ونساءً واولاداً وعبيداً ومعتقين وان يستولوا على امول اولئك التعساء وجعل جزاءً من يرحم ايطالياً الموت الزوام فمات في هذه المجزرة مائة الف روماني ويقال ان الآسيويين كانوا اشد عداوة وبعض هولاء الغرباء من مساكنهم حتى انهم لم يعفوا عن احد خوفاً من مخالفات لا شيء العقيدة الا البقاء

ولكي يمنع الرومانيين من الدخول الى آسيا عزم على حمل اوربا ساحة القتال فارسل اصغر اولاده المدعو اريارانس مع جيش جرار الى ثراكة ومكدونية و بعث ارخلاوس اعظم واشهر قواده بحارة الى بلاد اليونان ليغري الشعب بحاربتهِ بالقوة او الكلام بمحالفة الاثينيون وعولوا على مساعدتهِ

وفي سنة ٨٧ ق . م وصل سيلاّ الى بلاد اليونان واسرع لمحاربة الاثينيين محاصر مدينتهم واخذ يستعد للهجوم لان اسوارها كانت منيعة جدًّا وارسل يسال الامفنطيون او مجلس الولايات اليونانية المجتمع في دلفي ان يبعث اليهِ الاموال المحفوظة في هيكل الاله ابولو ليحفظها عنده فاذعن المجلس لاوامره واعطاه الاموال المطلوبة وسلم اليهِ ايضاً اهالي اولمبيا وابيدوروس اموال هيكل جوبيتر واسكلابيوس

وكان ارخلاوس قائد مثريدات قد دخل بيريوس ميناء آثينا محارب سيلاّ مرارًا وردَّ هجماتهِ على الاسوار وجرت لذلك وقائع كثيرة اظهر فيها الفريقان شجاعة عجيبة الا ان القائد الروماني تغلب على اعدائهِ وفتح المدينة عنوة سنة ٨٦ ق م وكره ارخلاوس على الفرار الى سفنهِ ثم قتل كثيرين من كبراء الاثينيين والعوام وحرمهم حق انتخاب حكام وسن شرائع ى سنهم الحرية التي طالما جهدوا في الدفاع عنها مخاطرين بالارواح وبعد ذلك ارخلاوس في حروبهِ وكسره وافنى جيشهُ الذي كان كثير عددٌ من جيش الروماني باربع مرار ثم فرس قائداً اسيويًّا آخر في سهل اورخومينس وقهرهُ واردى من عساكره خمسة عشر الف نفس قيل ان الرومانيين حين واجهوا جيشاً من حسن ترتيبه ورأوا كثرة عدده فارادوا الهرب فاخذ سيلاّ راية وتقدم وحده نحو الاعداء وهو يخاطب رجالهُ دعوني اموت مجيدًا في هذا المكان واذهبوا وقولوا لمن يسالكم اين تركتم قائدكم انا تركناهُ في ارخومنس فثارت بهم الحمية واخذتهم بتلو بهم

نار الشجاعة وبادروا الى الضرب والطعن فدحروا هولاء البرابرة وشتتوا شملهم وبقي ارخلاوس يومين متوارياً في المروج الموجودة هناك الى ان تمكن من الفرار والنجاة

ولما كانت احوال مثريدات في آسيا على غير ما رام لضلاله وجوره ورأى انتصار الرومانيين المبين على جنوده في البلاد اليونانية ارسل يأمر ارخلاوس ان يهادن سيلا بالشروط التي يراها موافقة فاسرع ارخلاوس بمحادثة القائد الروماني الذي كان يرغب السلام كرغبة الملك فيه لانه كان يود الرجوع الى ايطاليا لينتقم من اعدائه لمحاربين الشام

وكان القائد الآسيوي عالماً بما هو جار في رومية فقال لسيلا اذا كنت ترضى ان يملك مثريدات على آسيا وبونتس وترجع الى ايطاليا لتخمد نار الفتن الاهلية فامنك يعينك بالمال والرجال اجابه سيلا اذا كنت تخون مثريدات وتسلم سفنه الحربية للرومانيين يمكنك ان تحفظ ملك عوضاً عنه ويكون المجلس راضياً عنك ويمنحك لقب صديق وحليف شعب رومية فاشمأز ارخلاوس وظهرت على وجهه سمات الكدر فقال له سيلا انت عبد او صديق لملك بربري ترفض سرآء الملك بالخيانة فكيف تحضر ان تسال قائداً رومانياً هو سيلا خيانة وطنه لعلك نسيت انك انت ارخلاوس الذي ترك بعد انهزام جيشه في سهل خيرونيا وارخومينس رزقاً لطيور السماء ووحوش الفلا

ولا ريب ان كلام القائد الروماني النصير قد اخاف ارخلاوس واذهله حتى انه رضي حالاً بالشروط التي اقترحها سيلا وهي

اولاً يترك الملك آسيا وبافلاغونيا ويسلم بيثينية لنيكوميدس وكبادوكيا لاريوبارزنس ويسدد للرومانيين الفي وزنة تعويضاً لهم من نفقات الحرب ويعطيهم سبعين سفينة حربية

ثانياً يعد سيلا مثريدات بتملكه على الاراضي الباقية ويمنحه لقب

صديق وحليف الامة الرومانية

وكان الملك متردداً في التصديق على العهدة فارسل رسلاً يخبرون سيلاً انهُ يرضى بالشروط المقترحة الا انهُ لا يمكنهُ تسليم بافلاغونيا والسبعين سفينة قطار الشراس عبي القائد الروماني واجاب الرسل قائلاً أيرفص مثريدات ان يعطي ما مرية ما اعطانه ام يكن واجباً عليهِ ان يخرّ ساجداً عند قدمي ويشكر لي لاني تركت له يده اليمنى التي ذبح بها الرومانيين لذلك سأؤدبهُ حينما احضر الى اسيا اما الان فدعوهُ يحدث نفسهُ بحرب لم يرها بعد فخاف متريدات وصدع بامر الظافر الشجاع

وبعد ان اصلح سيلا شؤون البلاد عاد سنة ٨٢ ق.م الى ايطاليا بعوده الحرارة واحتل برندزيوم واسرع بالمسير الى رومية

الفصل الخامس

في استيلاء سيلاً على رومية
واقامته دكتاتوراً طول حياته
الى حين موته سنة ٧٨ ق.م

ولما علم اصدقاء ماريوس والقانصون على زمام الاحكام بوصول سيلا الى ايطاليا نهضوا يداً واحدة وجهزوا الابطال والفرسان وزحفوا لقتاله وقتلهِ ان امكن فانتشبت الحرب بين الفريقين مراراً وكان الظفر في جميع الوقائع خاصاً لسيلا ومعقوداً بلوائهِ لان عساكره كانوا شجعاناً قد اعتادوا الضرب والطعان ورجالاً اشداء يخاطرون بارواحهم في ساحات القتال حباً به وحارب بومبايس وكراسس الشهيران واعاناه على محاربة الاعداء وقهرهم

وبينما كان سيلا رانعاً في بحبوحة الصفر المبين وسائراً في سبل النجاح حدث حادث كاد يوقعه في مهاوي الذل والفشل وذلك ان بوشيوس تليزيوس القائد السمنيتي كان راجعاً لاعانة مدينة بريستي فبلغه ان سيلا وبومبايوس آتيان لمحاربته فنهض على الفور ومشى الى رومية واراد محاصرتها فخاف الاهلون منه خوفاً لم يروا مثله منذ ايام انيبال القرطجني غير انهم استعدوا لقتاله وخرجوا عليه ليدافعوا عن مدينتهم فلم يثبتوا امامه ولم يطيقوا كرَّهُ وكفاحه ورجعوا حالاً الى رومية مدحورين

وعلم سيلا بما فعل الاعداء فاتى بعساكره مسرعاً وهجم عليهم هجمة الاسد الرئبال وحملت الرجال على الرجال وسالت الدماء انهاراً وكان تيليزيوس قائد السمنيتيين يجول بين الصفوف يشجع الابطال ويحث الشجعان وهو يقول . هذا آخر يوم من حياة رومية تهدم به المدينة وتدك اسوارها لانه لا نجو من تلك الذئاب الخاطفة السالبة حرية الايطاليين الا بخراب وجارها ولما كان الرومانيون قد اتعبهم مسيرهم السريع وكانوا قد بادروا الى الحرب قبل ان يستريحوا خارت قواهم وابتدأت جنود الميسرة في الرجوع الى الوراء والهزيمة ولما راى ذلك سيلا ارتبك في امره واخذ صورة الاله ابولو التي كان معلقها في عنقه وقبلها وقال ترى بعد ما انتصرت مراراً عديدة في جميع الاقطار قد اتيت الى وطني لاقهر عند ابوابه واهلك لابساً لباس الذل والعار

ودام الفوز للسمنيتيين الى ان خيم الظلام وخرَّ تليزيوس قائدهم جريحاً فانكسروا واستولى الرومانيون على معسكرهم واردوهم جميعاً

وكان ماريوس بن ماريوس الشهير قد لجىء الى مدينة بريستي وتحصن فيها فلما بلغه خبر انكسار القائد السمنيتي يئس من الفوز وانتحر ففتحت المدينة ابوابها لسيلا وخضعت له صاغرة حينئذ لقب ذلك البطل نفسه بالسعيد ودخل رومية ظافراً واخذ في سفك الدماء وقتل ابرياء

ومحرمين بلا فحص ولا شفقة فجرى من المهجات بحرٌ زاخر واصبحت عاصمة العالم والبلاد الايطالية محرزاً تذبح فيهِ الناس كالاغنام

وتم هذا الظالم اعماله الوحشية بان جمع ثمانية آلاف اسير في محل عمومي وامر المجلس بالالتئام في هيكل بلونا القريب من ذلك المكان وبينما كان يخطب كانت عساكرهُ كما اوعز اليها تقتل اولئك الاسرآء التعسآء الذين ملأ صراخهم ونواحهم الفضاء . فرعب اعضآء المجلس وتغيرت الوانهم فقال لهم سيلا انتبهوا ايها الآبآء لما انا قائلة ولا تبالوا بصراخ بعض الاشقيآء امرت بقصاصهم

بعد ذلك شرع في القتل والنهب فلم يصفح عن احد من اعدائهِ ولا اعدآء اصدقائهِ وكثيراً ما كان اعوانهُ يقتلون اناساً ابريآء لسبب رفعة شأنهم او طمعاً بمالهم وفي ذات يوم قال له كاتيلوس احد اصدقائهِ مع من يلزم ان نعيش اذا كنا نقتل في الحرب الرجال المتسلحين وفي السلم الذين نراهم عزلاً وسالهُ صديق آخر متى تكون نهاية هذه البلايا ومن هم الذين عزمت على ابادتهم والذين ترغب خلاصهم اجابهُ سيلا لست اعلم بعد من سأترك حياً وطلب اليهِ آخران يعلمهم اسمآء الاولى يريد اهلاكهم فوعدهم بذلك وفي الغد اصدر منشوراً كتب فيهِ اسمآء ثمانين شخصاً حكم عليهم بالموت وامر ان كل من يخلص احداً منهم يُقتل ومن يقتل احدهم يأخذ جزآءً الفي زنة وان املاكهم واموالهم تحجز ولا يجوز لاولادهم ولحفدتهم ان يتولوا منصباً في حكومة وصريفة القتل هذه هي اهدار الدم واول من اجراها هو سيلاً قال سنست المؤرخ انهُ اول من فرض قصاصاً لاناس لم يولدوا بعد واعدّ ضرراً للاولى حياتهم غير موكدة

وفي اليوم التالي اهدر دم مائتين وعشرين نفساً وفي اليوم الذي بعده مثلهُ وقال للشعب وهو مجتمع انني قتلت من قبضت يهِ والذين نسيتهم الان سأهلكهم فيما بعد وبالجملة انني لا اعفو عن احد من اعدآئي ثم اصدر

مشهوراً اهدر به دم ار بعين ان من اعضاء المجلس والف وستمائة فارس قبل ان مثربدات لم يذبح من الايطاليين بمقدار ما ذبح منهم سيلا لان جلاديه كانوا يطوفون في البلاد يبحثون عن الذين حاربوا ماريوس ويقتلونهم ولم يكن الذنب فقط محاربة سيلا بل بمساعدة اعدائه او مصادقتهم او اقراضهم دراهم او السفر معهم ولو اتفاقاً وكانت ابصاره طامحة الى الاغنياء ليستولي على اموالهم ويعطيها لاعوانه وقد والى اناساً اشقياء لئاماً. كان اولى بهم الصارم البتار من جملتهم اوبابيكس وكاتيليتا فالاول فارس روماني من لاريوم قتل امرأة اخيه ليرث اسمه اموال جدته وغصب عملة اقربائه واراد املاكه ففر هارباً الى معسكر ميتلوس وحدث ان سيلا ارسله بعد ذلك سرقة من العساكر الى مدينة لاريوم لقضاء بعض حاجات فذبح جميع الذين قصدوا اضراره والثاني قتل اخاه وطلب الى البروقنصل ان يدرج اسم اخيه بين الذين حكم عليهم بالموت وقبض على رجل اسمه ماريوس غرانيديانوس وجلده في المدينة امام الناس ثم سحبه الى ضريح كسر عليه رجليه وذراعيه وقلع عينيه وقطع يديه واذنيه وبعدما اذاقه من العذاب الوان ضرب عنقه واحضر راسه الى سيلا في الفورم وذهب وغسل يديه في بركة هيكل الاله ابولو المقدسة

وكان يوليوس قيصر في خطر عظيم لان ماريوس الكبير تزوج عمته وافترن هو بابنة سنا فنصله سيلا عن الكهنة ارفاقه وحجز املاكه وكاد يقتله لولم ياته كبراء رومية والمتبتلات خادمات الالهة فيستاو يلحون عليه بالعفو عنه اجابهم قد تغلبتم عليّ في هذا الامر ولكن اعلموا ان الذي تودون خلاصه سيقهر جميع الاحزاب واذا كنتم لا ترون في هذا الغلام رجلاً يفوق ماريوس يكون الجهل قد اعمى ابصاركم وبصائركم وجعلكم لا تدركون من العالم شيئاً

ويلوح ان قتل الناس وتنكيلهم لم يكفيا ذلك الظالم الطاغي بل امر

يهدم ويخرب مدائن كثيرة كبيرة ودفع قسماً عظيماً من سكانها وقتل جميع السمنيتيين او سامنيوم من ايطاليا محتجاً ان هذه الامة عدوة الرومانيين فلا تدعهم ابداً يذوقون لذة الراحة والسلام

ولما آن اوان انحلال قنصلية تولي الاحكام جريا على العادة غادر سيلا المدينة وعاد الى معسكره وكتب منه الى المجلس او الى رئيس لجنة الاقتراع كتاباً يأمره فيه ان يسأل الشعب اقامة دكتاتور يقبض على زمام الاحكام الى اجل غير مسمى لتصلح الاحوال في سائر الاقطار وختم رسالته بقوله انه يود تقديم هذه الخدمة للجمهورية اذا كانت الامة ترضى بذلك حينئذ جمع فالريوس رئيس لجنة الاقتراع الشعب ووضع قانوناً معناه اقامة سيلا دكتاتوراً الى اجل غير مسمى وصدق على جميع اعماله الماضية واعطاه سلطة مطلقة على حياة واموال الوطنيين

وفي اول كانون الثاني سنة ٨١ ق م احتفل الدكتاتور بنصراته في الشرق واقيمت الافراح يومين وكان الآباء اعضاء المجلس والوطنيون الذين نجاهم من غضب ماريوس وسنا ماشين خلفه ورجال وهم يدعونه ابا الوطن وحامي الذمار غير ان بعضاً من عساكره دعاه ملكاً مسكراً اما التاريخ فلا يتردد بتسميته ظالماً طاغياً مستبداً

وجعل ابهى الاحتفال ربي سيلا ... وحضر حفلة ... طولاً ذكر فيه اعماله العظيمة ونسب نجاحه الى الهة الحظ ودعا نفسه منذ ذلك السعيد واقام المجلس له تمثالاً كتب عليه اسمه مع هذا اللقب

وكان كثيرون ممن حارب ماريوس وسنا قد لجأوا الى سيسيليا وافريقيا وجاهروا بالعصيان فارسل الدكتاتور بومبيوس لقتالهم فسار الى ... عنود الثائرين ... وطلب ... الدكتاتور ... الاحتفال بنصرته فاباه لان الشريعة الرومانية تحصر هذا الاكرام بالشرف

على الذين لم يقصوا فقط على زمام الاحكام اجابهُ بومبايس ان الساجدين للشمس عند اشراقها اكثر جداً من الاولى يسجدون لها وقت المغيب ولم يسمع سيلا هذه العبارة ولكنهُ راى سمات الدهشة والانذهال على جميع الوجوه فسال الحاضرين عما يسرون واجمرون وعما قال بومبايس فعجب جداً من جسارتهِ ورضي بانالتهِ ما طلب

ومعلوم ان سيلا كان مطلق السلطة وقوياً فلو اراد ابطال الحكومة الجمهورية وارتقاء عرش الملك لم يعترضهُ احدٌ في العالم ولكنهُ كان يرغب في الاعتزال عن الاعمال السياسية بعد ان يهلك اعداءهُ كلهم ليمكنهُ ان يعيش بالراحة والهناء وبناء عليهِ لم يبقَ في المجلس الا من كان مديوناً له بحياتهِ وشرفهِ ومالهِ وحط سلطة وكلاء الشعب وقوى شوكة الشرفاء وقسم بين عساكرهِ البالغ عددهم مائة وعشرين الف نفس الاراضي التي اخذها من الرجال الذين ستاهم سيف ظلمهِ كاسر المنون ليطلبوا يدافعون عنهُ وعن شرائعهِ متى مست الحاجة ولما تم له ما اراده وادرك من العصمة درجة لم يدركها احد قبله استعفى من منصبهِ وسلم زمام الاحكام لقنصلين جديدين ومضى بذوق في العزلة لذة الراحة والسلام ولكن ان تلك الراحة ارجل اضنى جسمهُ التعب واوهنهُ الرذائل فاعتراهُ مرض رديءٌ جداً افسد احشاءهُ وكسى جسمهُ دوداً ولم تكن الاغسال والنظافة تجدي بهِ نفعاً فمات سنة ٧٨ ق م بحالة تعيسة جداً وقد امر ان يكتب على ضريحهِ ما معناه لم يبقَ احد سيلا في الاحسان الى اصدقائهِ والانتقام من اعدائهِ

وقبل الابتداء بحرب ميرمدات الثانية نلمع الى اعمال واخبار سرتوريوس وهو من اعظم رجال الرومانيين العصاميين ولد في قرية صابينية واشتهر في الحرب التيتونية مع ماريوس وتقلد عدة مناصب عالية وحينما ثارت الحرب الاهلية سنة ٨٨ ق م حارب العوام ولكنهُ لم يعاد ماريوس رئيسهُ القديم وفي سنة ٨٢ ق م اقيم والياً على الديار الاسبانية

مجمع العسكر وذهب الى موريتانيا وكسر فيها باكسياوس احد قواد سيلا وحمته الاسبانيون لا سيما قبيلة اللوريتانيين والقوا اليه مقاليد الامور فعظم منهم حوده فقدر ان يلتقي بها الجيوش الرومانية ويقهرها مرارًا ولما كان اولئك البرابرة جهلاء يعتقدون بالخرافات اراد التسلط على عقولهم بالاوهام فربى ظبيًا وكثر الاعتناء به حتى دجن واصبح لا يفارقه فادعى حينئذٍ ان الظبي رسول الآلهة يعلمه اسرار المستقبل فصدق ذلك الاسبانيون واذعنوا لكل اوامره نظرًا عنه عميًا . وبعد ان استولى سيلا على ايطاليا لجأ اليه كثيرون من كبراء تلك البلاد الذين حكم عليهم الديكتاتور بالموت واباة اعاند ورمانيين وحسب فرقة رومانية فقويت شوكته وانشأ مجلسًا عاليًا مثل مجلس رومية وفتح مدرسة في مدينة هوسكا (الان أُسكا) ليعلم اولاد الاهلين العلوم والآداب وكانت الحرب اذ ذاك ثائرة بينه وبين الرومانيين الذين ارسلوا اليه القائدين متلوس و بومبايوس ودامت الحال هكذا الى سنة ٧٢ ق م حين قتله برربا وقواد آخرون في وليمة دعاهم اليها

اما سبرتاكس فولد في تركيا وكان اولاً راعيًا فصار جنديًا ثم رئيس لصوص ووقع في ايدي الرومانيين الذين اسروه وباعوه لمدرّب المسايفة اي الملاتسبة علا دياتور وهي لفظة مشتقه من غلاديوس اي السيف وهم جماعة من الاسرآء او المذنبين يمرنون على ضرب السيف ويبرزون في اوقات معينة وفي الاعياد العظيمة بميادين الملاعب ويتقاسون امام الجمهور ويسفكون دمآءهم ليسر المتفرجون برؤية تلك المناظر القبيحة التي تنفر منها القلوب وتقشعر الابدان ولا نعلم كيف كان الرومانيون يتهافتون عليها ويعدونها من احسن وافخم الملاهي وعندي ان لعب السيف والترس المألوف في بلادنا بالاعياد والافراح مأخوذ عنها . واظن ان لفظة المسايفة التي استعملها تدل تمامًا على المعنى المقصود لانهُ فضلاً عن

لاوامر الديكتاتور وانصرف كل الى مركزه . غير ان متريدات لم يصرف جنودهُ بل زحف بهم لمحاربة القوقافيين والساكنين بالقرب من نهر فازس ليمرنهم ويجعلهم ابطالاً قادرين على لقاء الرومانيين في كل آن ومكان

وفي هذه الاثناء كانت الفتن الاهلية وحرب سبارتاكس وسرتوريس قائمة على قدم وساق في ايطاليا واسبانيا فظن متريدات انهُ يمكنهُ الانتصار على الرومانيين فاغرى تيغرانس ان يجاهر بالعداوة فدخل هذا الملك بلاد كبادوكية واستولى عليها وخرب اثنتي عشرة مدينة منها ونقل سكانها البالغ عددهم ثلثمائة الف نفس الى تيغرانوسرتا مدينتهِ المحبوبة

وفي سنة ٧٥ ق . م مات نيكوميدس ملك بيثينيا الذي اوصى بمملكتهِ للرومانيين فاغضب هذا الامر متريدات لانهُ كان يود من زمان طويل الاستيلاء على تلك البلاد فزاح اذ ذاك برقع الصداقة واشهر حربهُ الثالثة مع الشعب الروماني آملاً ان ينتصر عليهِ وينال الوطر لانهُ جمع في هذه المرة مائة وعشرين الف جندي خاضوا عجاج الحروب مراراً واصبحوا خبيرين بالضرب والطعن ثابتين لدى الاهوال في ساحات القتال لا يبالون بشرب كاس الحمام وعمل مائة مركبة مسلحة بالمناجل تدفع بين صفوف الاعداء فتحصد الاعمار حصداً وجهز اربعمائة سفينة كبيرة وتقدم لمحاربة البلاد البيثينية براً وبحراً فافتتح قسماً منها وزحف لمحاصرة مدينة كيزيكوس وبينما كانت جنودهُ محيطةً بها والقتال منتشب بينهُ وبين الاهلين جاء ليكولوس القنصل الروماني وهجم عليهِ هجمة الرئبال فدحرهُ وقتل عدداً عديداً من عساكره واكرههُ على الفرار بحراً الى مدينة باريوم ثم تأثر من بقي من رجالهِ ودهمهم عند نهر غرانيكس فقتل منهم عشرين الفاً واسر كثيرين وشتت شمل الباقين وحينما رجع الى كيزيكيوس استقبلهُ شعبها بالترحاب والاكرام وعمل لهُ عيداً دعاهُ ليكوليا

وجرت بعد ذلك وقائع كثيرة بين الفريقين كان النصر فيها

للرومانيين الذين استولوا على بلاد البونتس فلجيء متريدات الى صهره ملك ارمينيا وبينما كان منهزمًا وعساكر ليكولوس تتاثرهُ لتاسرهُ ترك في الطريق برذونًا محملاً ذهبًا فاشغل النضار الجنود الرومانية وسهل لهُ الفرار والوصول سالمًا الى تيغرانس سنة ٧٠ ق.م

وكان تيغرانس وقتئذٍ اعظم واقدر ملك في آسيا قد الف الحروب من صغره فشب بطلاً مغوارًا وقهر امراء كثيرين واستولى على بلادهم ودعا ذاتهُ ملك الملوك وافتتح مزوبوتاميا (الان الجزيرة) ونقل اليها اقوامًا يونانيين من كليكية وكبادوكية واكره بعض قبائل عربية ان تاتي بلادهُ وتستوطنها وتتعاطى التجارة فيها ولما ملَّ السوريون من الحروب والفتن الاهلية التي اثارها السلوقيون ملوكهم خضعوا لهُ اختيارًا وطلبوا حمايتهُ ليعيشوا بالراحة والهناء تحت ظل رايتهِ الظليل غير انهُ كان متكبرًا فخورًا يحتقر البشر ويظنهم خلقوا لخدمتهِ وعبادتهِ وعليهِ فالملوك الذين غلبهم كانوا يمشون امامهُ او وراءهُ متى ركب ويقفون عند قدميهِ صاغرين حينما يجلس على سرير الملك وذلك اشارة الى انهم عبيد سيدهم القادر ان يفعل بهم ما يشا ويريد

وكان تيغرانس يستعد لقتال الرومانيين لانهُ ابى ان يسلم اليهم حماهُ متريدات فجمع الابطال والفرسان وماجت الارض باقدام المحاربين وملأَ الفضاء اصوات الجنود وصهيل الجياد ويلوح ان ليكولوس قد احتقر اعداءهُ ولم يبال بهم فتقدم بجسارة الى البلاد الارمنية ودخلها باثني عشر الف راجل وثلثمائة فارس غير خاشٍ بأْس عدوه امير الشرق وملك الملوك الذي اعمى بصيرتهُ وبصره انتصاره القديم على امراء الولايات الصغيرة التي تجاور مملكتهُ فلم يكترث للرومانيين ولم يباشر الحرب بهمة ونشاط بل كل غارقًا في بحار الملذات بين ربات الحسن والجمال وجماعة من الكبراء المملقين الذين يتزلفون اليهِ بالثناء على اعمالهِ التي تستوجب احيانًا

الذم والاهانة وبناءً عليهِ لم يعلم اولم يرد ان يعلم تقدم اعدائهِ في بلاده لان الرجل التعيس الذي ساقهُ سوء الحظ الى اخباره بوصول الرومانيين كان جزاؤُهُ شرب كاس الحمام في الحال وما زال ليكولوس سائرًا بامان يفتح المدائن ويستولي على الاقاليم حتى وصل الى مدينة تيغرانوسرتا وحاصرها فتنبه اذ ذاك الملك الارمني من رقدة الاهمال وزحف بجنوده لمحاربة قوم اتوا على ما زعم لتجرع الموت الزؤام بعيدًا عن الاوطان وحينما ابصرهم ورأى قلة عددهم استغرب وقال اذ كان هولآء سفرآء فكثيرون واذا كانوا اعدآء فقليلون وهكذا قضى نهارهُ وليلهُ في المزاح والسخر منهم

ولما اصبح الصباح زحف الجيشان للقتال وكان جدول فاصلاً بينهما فاخذ الرومانيون يتقدمون الى ناحية من النهر راوها احسن مركز في ذلك المكان فظن تيغرانس انهم عازمون على الهزيمة فقال لاحد قواده انظر الى اعدائنا كيف يستعدون للهرب اجابهُ القائد اود ان يتم هذا الامر الذي اخالهُ مستحيلاً لانني ارى بريق سلاحهم ومغافرهم واعلم علم اليقين انهم ان جردوا الصوارم لا يغمدوها الا بعد الظفر

وبينما كان ليكلوس اخذًا في اجتياز الجدول قال لهُ احد اعوانهِ ان هذا النهار وهو ٦ تشرين اول يتشآءم بهِ الرومانيون اجابهُ ونحن سنجعلهُ فألاً ثم داوم المسير حتى وصل الى قمة رابية ومن هناك هجم على الاعدآء في مقدمة جنوده وهو يناديهم دونكم الانتصار فبادروا اليهم كالضراغم وما زالوا يضربونهم ويطعنونهم الى ان قتلوا منهم مائة وخمسين الف رجل وشتتوا شمل الباقين ولم يمت من الرومانيين حسبما روى الموءرخون واظن في الرواية مبالغة سوى خمسة انفس وجرح البعض وذلك سنة ٦٩ ق ٠ م

ثم رجع الرومانيون بالطريق التي اتوا منها وجمعوا اسلابًا واموالاً لا تحصى وكان تيغرانس قد هرب في ابتدآء المعركة فاعطى تاجهُ وهو يبكي

لابنهِ وحرضهُ ان يذهب بطريق اخرى و يطلب النجاة لنفسهِ فلم يجسر الامير الفتي ان يضع التاج على راسهِ بل سلمهُ الى احد اعوانهِ الذي اسرهُ الرومانيون واخذوا منهُ التاج المذكور

وذكر القدماء هذه المعركة وعجبوا جدًا من انتصار ليكولوس السريع وانكسار تيغرانس العظيم قال احدهم ان الشمس لم تشاهد قط يومًا كهذا وقال آخر ان الظافرين قد تخجلوا من انهم قد استلوا سيوفهم لمحاربة عبيد جبناء محتقرين

ومن الامور التي يجدر بنا الالتفات اليها والتنبيه عليها هو امتهان الاوربيين للشرقيين في الزمان القديم والحديث فانك قلما ترى كتابًا من كتبهم يذكرون فيهِ حربًا او فتنة جرت بين الفريقين الا و ينسبون لاعدائهم الاسيويين الجبن وخساسة الاخلاق ولعمري انهم يرتكبون في ذلك متن الشطط لانهُ من ينكر شجاعة العرب العرباء الذين دانت لهم امم الارض صاغرة ومن لا يقرّ بالبسالة والفراسة للاقوام الاسيويين الذين رحلوا من بلادهم في اوقات مختلفة واستولوا على المدائن والاقاليم واحيوا مدى قرون عديدة الرعب في قلوب الغربيين ولكن لكل زمان دولة ورجال ومعلوم ان الثروة والنجاح يورثان التنعم والاهمال سببي الخراب لا سيما في الايام القديمة حيث الظفر كان متوقفًا على الجسارة اكثر من الرأي ومع هذا كلهِ لا ارى الرومانيين في ايام سلاطينهم اقلّ جبنًا وخساسة من الارمنيين الذين يسخرون منهم في هذا المقام و يشركون معهم جميع القاطنين بقارة آسيا الواسعة الارجاء

وكان حاكم تيغرانوسرتا يابى تسليمها الى الرومانيين و يرغب في مداومة الدفاع عسى حادث غير منتظر ياتيهِ بالفتح الا ان اليونانيين الموجودين في المدينة نهضوا يدًا واحدة وقاتلوا الاهلين المحازبين الحاكم واستولوا على احدى القلاع وفتحوا ابوابها للاعداء فدخلها ليكولوس وجنودهُ وقبض على

خزائن الملك فوجد فيها ما خلا الامتعة الثمينة والجواهر ثمانية الاف وزنة ذهب وفضة (نحو مليون واحد وخمسمائة وخمسين الف ليرة انكليزية) فمنح كل واحد من عساكره ثمانيائة دراخمه (نحو ست وعشرين ليرة انكليزية) وسمح لليونانيين ان يرجعوا الى بلادهم واعطاهم ما يلزمهم من الدراهم لاجل نفقات السفر وعامل الباقين الذين نقلهم تيغرانس الى هذه المدينة بالرفق والاحسان واذن لهم بالانصراف الى الاوطان فاصبحت تيغرانوسرتا بعد تلك العظمة قرية صغيرة لا ذكر لها بين مدائن الشرق

ولا يخفى ان الزمان خير مؤدب للانسان يكسبهُ خبرة بالتجارب وتكسيهِ التجارب ثوب حكمة وفطنة وعليهِ فتيغرانس بعد ما قهره الرومانيون ذل وعرف ضعفهُ وجهلهُ فدعا حماه متريدات وفوض اليهِ اصلاح احوالهِ وقيادة جنوده فجهز ملك البونتس في الحال الفرسان والابطال وتقدم لقتال الاعداء ناهجًا غير منهجهِ الاول وذلك انهُ كان يجتنب المعامع العظيمة ويرقب حركات الرومانيين ليفتك بهم اغتيالاً ويمنع وصول القوت اليهم فضاق ليكولوس ذرعًا واراد محاربة متريدات باية وسيلة كانت فساق عساكرهُ الى الى جهة ارتاكزاتا عاصمة ارمينيا حيث ادخر تيغرانس اموالهُ وابقى نساءهُ فاغتر الملكان بخداع الروماني واسرعا لقتالهِ دفاعًا عن تلك المدينة ولما علم ليكولوس مراد عدوهِ فرح واستبشر وانقض عليهما انقضاض الصواعق واعمل بجيوشهما السيوف البواتر فقتل منهم عددًا عديدًا وشتت شمل الاولى بقوا في قيد الحيوة ولا ريب ان خوف الرومانيين قد حل في قلب متريدات وانساهُ شجاعتهُ القديمة لانهُ اول من بادر الى الهزيمة في ذلك النهار واصبحت مدائن ارمينيا بعد هذه الوقعة مفتحة الابواب يمكن الرومانيين دخولها متى ارادوا الا ان العساكر عصت اوامر قائدها ليكولوس الحكيم وابت الانقياد لهُ لان الاموال التي جمعتها من تلك الاقاليم الاسيوية قد ابطرتها وشوقتها الى ابطاليا فطلبت الرجوع الى الاوطان لتتمتع بالراحة والسلام بعد

المشقات والاتعاب . وهكذا أُكره ذلك البطل ان يعود الى رومية حينما ذلل المصاعب وانتصر على اعدائهِ انتصاراً مبيناً فرحل سنة ٦٧ ق.م من ارمينيا وخلف قواداً جهلاء اضاعوا بجهلهم ثمر اعماله العظيمة وتركا متريدات وتيغرانس يرجعان الى البلاد ويتولى كل منهما مملكته كأنهُ لم يحدث شيئاً قبلاً

وبلغ مجلس وشعب رومية ما جرى فقلقا جداً وارسلا الى آسيا بومبايس القائد الفتى واصحباهُ بالجنود والفرسان آملين انهُ يقمع الاعداء ببسالتهِ وتدبيره ويصلح الاحوال المختلَّة في تلك الارجاء بفطنتهِ واصالة رأيهِ لانهُ كان بطلاً مغواراً وقائداً حكيماً قد خاض عجاج الحروب مراراً وعاد من ساحاتها مكللاً بالنجاح ومرتدياً بالظفر

وحدث ان ابن ملك ارمينيا عصى اباهُ وفرَّ هارباً الى بارثيا واقام في بلاط حميهِ ملك تلك البلاد فوقعت الوحشة لذلك بين الفريقين وطال النفار ولما كان تيغرانس موقناً ان متريدات قد حرض ابنهُ على العصيان أبغضهُ ورفض مساعدتهُ في حربهِ مع الرومانيين فاصبح حينئذٍ ملك البونتس منفرداً في القتال لا حليف لهُ ولا صديق يعتمد عليهِ بين الامراء المجاورين

وكان دأب متريدات في هذه المرة ان يتجنب القتال النظامي ما امكن ويفتك باعدائهِ اغتيالاً متى سنحت لهُ الفرصة فادرك ذلك بومبايس وقدر لمهارتهِ بالفنون الحربية ان يدهمهُ ويحيط بمعسكره احاطة الاسورة بالمعاصم غير ان ملك البونتس تخلص من الشرك والاخطار بخداعهِ وذلك انهُ لما خيم الظلام وادلهم الليل ترك النيران والانوار في خيامهِ ومشى بجنوده سرًّا ولم يستطع القائد الروماني ان يحاربهُ لانهُ كان يتحصن في النهار بعسكره ويسير في الليل تحت جنح الظلام يطلب النجاة

وحينما دنا الملك من الفرات ابصر واذا بومبايس قد ظهر بغتة بجنوده

واحتل ذالك المكان وحال بينهُ وبين النهر ليمنعهُ من عبورهِ ودخول مملكة تيغرانس صهرهِ ولما كان وصولهُ جريًا على العادة تحت جنح الظلام لم يشعر بالاعداء حتى اختلطت عساكره بهم فامر بومبايس اذ ذاك المبوقين ان يبوقوا والرجال ان يهتفوا ويهجموا على البونتسيين الاولى كانوا غير مستعدين للقتال فرعبوا وولوا هاربين يرون الشجاعة بالفرار والفرار للجبناء في كل حال حصين منيع

وتقدم متريدات بثمانيمائة فارس وهجم على صفوف الرومانيين فاخترقها وخرج منها سالمًا الا ان هولاء الفرسان تركوهُ بعد ذلك وشانه وذهبوا الى حيث يرجون الكسب والغنيمة فلم يبقَ معهُ سوى ثلثة انفس من جملتهم جارية اسمها ابسيكراتيا كانت قوية باسلة ترافقهُ في جميع غزواته ورحلاتهِ وتركب بجانبهِ وهي لابسة عدة الجلاد كالفرسان والابطال

وقدر ملك البونتس وهو هارب هائم على وجههِ ان يجمع ثلثة الاف راجل وبعض فرسان غرباء فتقدم بهم الى قلعة اسمها سنوريا على حدود ارمينيا الصغرى حيث كان مدخرًا اموالهُ فاخذ منها ستة الاف وزنة ووزع بين اصدقائهِ الثياب الثمينة والجواهر واعطى لكلٍ منهم سمًّا كي يسفهُ ولا يقع حيًّا في ايدي الرومانيين وكان راجيًا ان تيغرانس يستقبلهُ بالترحاب ويسمح لهُ بالاقامة في بلادهِ فخاب املهُ لان الامير الارمني لم يابَ بفقط اجابتهُ الى ما سأَل بل اعلن جزاء من ياتيهِ براسهِ مائة وزنة وتاكد حينئذٍ ذلك الملك التعيس ان كثرة اصدقاء واعداء المرء متوقفة على سعادتهِ وتعاستهِ وان رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل فارتد راجعًا واجتاز بلادهُ محفوفًا بالاخطار ووصل بعد المشقات والاتعاب الى بلاد البوسفور السميرية حيث كان مالكًا ابنهُ ماخرس . وبنى القائد الروماني في المكان الذي انتصر بهِ على متريدات مدينة دعاها نيكوبولس اي مدينة الظفر ثم زحف لمحاربة تيغرانس فدخل ارمينيا واخذ بفتح المدائن

و يقهر الجنود فرعب الملك واتي مسرعًا الى معسكر الرومانيين وجثا عند قدمي بومبايس واعلن خضوعهُ لهُ صاغرًا فاشفق عليهِ ورضي بكف القتال وابرام الصلح معهُ بشروط منها انهُ يسلم الى الرومانيين كل البلاد الواقعة وراء نهر الفرات و يتقدم ستة الاف وزنة و يملك على ارمينيا الكبرى و يكون صديق وحليف الامة الرومانية

وزحف بومبايس بعد ذلك واخضع الالبانيين وغيرهم الساكنين في الجهات الشمالية ثم تقدم الى الجنوب واستولى على بلاد ماديا وكوماجن وارسل قائدهُ سكورس ليفتتح الديار السورية التي خضعت لهُ سنة ٦٤ ق . م فجعلها ولاية رومانية وهكذا سقطت الدولة السلوقية بعد ما ملكت مائتين وثمانيًا وخمسين سنة

وبينما كان بومبايس في سوريا منهمكًا في اصلاح احوالها وترتيب حكامها اتاهُ سنة ٦٣ ق . م رسلٌ من بونتس يخبرونهُ بموت متريدات وتولي ابنهِ فارناسس سرير الملك مقرًا جهرًا بسيادة الرومانيين ومعلنًا بسرور خضوعهُ لهم وسبب ذلك ان متريدات جهز جيشًا جرارًا ونوى الذهاب الى ايطاليا لمحاربة الرومانيين في بلادهم كما فعل انيبال القرطجنيُّ قبلاً فجزعت جنودهُ من هذه الحملة وادركت الاخطار والمشقات التي تحول دون النجاح فجاهرت بالعصيان واسعفت فارناسس ان يرتقي العرش ويقبض على زمام الاحكام ففر متريدات اذ ذاك هاربًا ولجأ الى قلعة واقام بها ينتظر فرجًا ثم ارسل يسال العصاة عما يرغبون فيهِ وما يطلبون اجابوهُ اننا نريد تمليك فارناسس لكونهِ فتى لا يملك قيادهُ مماليك لئام ولا يروم توطيد سلطتهِ علينا بقتلهِ قوادهُ واصدقاءهُ وبنيهِ كما هو دابك

وعلم متريدات ان لانجاة لهُ الا بالموت فخرَّ ساجدًا ورفع عينيهِ الى السماء وقال ايتها الآلهة الآخذة بثار الآباء اذ كنت موجودة حقيقة ارغب اليك ان تجعلي موت فارناسس على يد بنيهِ ثم نهض على قدميهِ واعطى نساءهُ

وجواريه وبناتهِ سماً تجرعنهُ وقضين نحبهنَّ في الحال ولما كان السم لا يؤثر بهِ لانهُ اعتاد شربهُ وهو صغير اخترط حسامهُ لينتحر فجرح جسدهُ جرحاً خفيفاً حينئذٍ التفت الى جنديٍّ غاليٍّ وقال لهُ ايها البطل قد اختبرت شجاعتك في ساحات القتال واني شاكر لك على ما فعلتهُ لي قبلاً فاطلب اليك الآن ان تنعم عليَّ وتقتلني لئلاَّ اقع حيًّا في ايدي الرومانيين فصدع الجندي بامره واستل سيفهُ وضربهُ ضربة سقاه بها كاس المنون

ولا يخفى ان متريدات كان من اعظم الملوك الذين اشتهروا بالشجاعة واصالة الراي لا توقفهُ صعوبة في طريق النجاح ولا تخيفهُ الاخطار ان حالت دون المرام ولقد حكى أنيبال القرطجني في بغضهِ للرومانيين واجتهادهِ في احباط اعمالهم واذلالهم غير ان اجتهادهُ عاد عليهِ كما عاد على ذلك القائد الشهير بالويل والحرب ومات مثلهُ مقهوراً ذليلاً

وبعد ما اصلح بومبايس حالة الممالك التي استولى عليها في الشرق وجازى جنودهُ كما يستحقون عاد راجعاً الى رومية واحتفل بنصرتهِ احتفالاً لم يرَ الناس قط نظيره

الفصل السابع

ملخص ترجمة حيوة سيسرون وبورسيوس كاتو وجوليوس قيصر وسرجيوس كاتلينا قبل شبوب نار الفتنة التي اضرمها الاخير

سيسرون — هو ماركس ظليوس سيسرون ولد في ٣ كانون الثاني سنة ١٠٦ ق.م قرأ العلوم والآداب على العلماء والفلاسفة المشهورين

في ذلك الزمان فبرع في جميع الفنون لا سيما في الفقه والخطابة ولما بلغ السنة الثامنة والعشرين من عمره رحل الى بلاد اليونان واقام فيها عامين صرفهما في الدرس والمطالعة وعند عودته الى رومية انتخب باتفاق الآراء خازنًا لولاية ليليبيوم في جزيرة سيسيليا فقام بعبء الاعمال التي فوضت اليهِ واكتسب ثقة الرومانيين ومحبة الاهلين ثم تقلب بعد ذلك في عدة مناصب عالية كان بها عنوان الفضل والشهامة وفي سنة ٦٣ ق.م انتخب قنصلاً وقدر ان يعرف مكيدة كاتلينا وبرد كيده في نحره كما هو مذكور في الفصل التالي

بورسيوس كاتو — هو المعروف بكاتو الصغير او كاتو الأُتيكيّ كان من صغره نشيطًا عنيدًا لا يثنيهِ تعب او خطر عن السعي لادراك ما يبتغيهِ فشب رجلاً ثابتًا في اعمالهِ يتحرى الحقائق بهمة عالية ويبغض التمليق والملقين وكان قليل المزاح بطيء الغضب ولكنهُ شديد العداوة لمن يضره او يناويه

ولما كان عمرهُ اربع عشرة سنة كان يتردد على سيلاً لكونهِ صديق ابيهِ فرأى مرارًا اعوان ذلك الظالم يأتونهُ برؤُوس الكبراء دامية وسمع تنهدات الحاضرين فسأل ذات يوم استاذهُ قائلاً لماذا لا يقتل احدٌ هذا الرجل اجابهُ الاستاذ لان خوف الناس منهُ اعظم من بغضهم لهُ فقال لهُ كاتو على الفور لماذا اذًا لم تعطني حسامًا حينما ذهبنا اليهِ لاهلكهُ بهِ واريح البلاد من مظالمهِ

وكان مولعًا بالفلسفة الرواقية وهي من تعاليم زينو اليوناني ومفادها احتمال المصائب التي تفاجئ المرء بصبر عظيم تحكيه رواسي الجبال ولكي يقوي جسدهُ ويمكنهُ ان يطيق الحر والبرد صيفًا وشتاءً كان يذهب في كل الفصول من مكان الى آخر حافيًا حاسرًا وكان اذا مرض يمتنع عن الاكل ويلزم منزلهُ الى ان يشفى

وبعدان خدم مدة في الجندية بحرب سبارتاكس وفي مكدونية ذهب الى البلاد الاسيوية ليشاهد مدائنها ويدرس عوائد اهلها وطباعهم فوصل الى انطاكية واراد الدخول اليها والاقامة فيها قليلاً لانها كانت من اجمل المدن الشرقية ولما دنا منها رأى عن بعد اناساً لابسين ثياباً بيضاء ومصطفين على جانبي الطريق فظن انهم خرجوا للقائهِ ومع ان هذا الامر ساءهُ جداً لانهُ لا يحب الاحتفال والاكرام امر اصحابهُ ان يترجلوا اجلالاً لهم حينئذٍ تقدم اليهِ الرجل الذي صف الجمع وكان لابساً تاجاً وماسكاً عصا وقال لهُ اين تركت دمتريوس (وهو عبد لبومبايس) وهل تعلم متى ياتي فضحك ارفاقهُ حينما سمعوا هذا الكلام حتى استغربوا اما هو فلم يجب الرجل ببنت شفة بل التفت وقال يالك من مدينة تعيسة

واقيم بعد ذلك خازناً فاصلح اموراً كثيرة واكره الذين اخذوا في عهد سيلاً من خزينة الحكومة اجرة لاجل قتل الاولى اهدر ذلك الديكتاتور دمهم ان يردوا ما اخذوه وبالجملة نرى كانو رجلاً ثابتاً في اعمالهِ وصديقاً صدوقاً لمن يحفظ ذمامهُ وعدواً الدّ لمن يغضبهُ او يضرهُ وكان مع هذا كلهِ رقيق الجانب شجاعاً حكيماً يحب العفة والعدل ويبذل الجهد في محاماة الضعفاء ورد كيد الظالمين في نحرهم

كايس جوليوس قيصر — ولد هذا البطل سنة ٩٩ ق.م من عائلة شريفة يتصل نسبها بايليوس بن انياس التروادي وهو من الرجال العظام او من اعظم الرجال الذين يبخل الزمان بمثلهم في كل آن ومكان قد برع في جميع الفنون وفاق معاصريهِ بالذكاء واصالة الراي ولا ريب ان سمات الفطنة والشجاعة كانت ظاهرة على محياه وهو غلام حدث حتى ان سيلاً خشي منهُ واهدر دمهُ كما ذكرنا في محلهِ ولما اشتد ساعدهُ هاجر الى رودس ليقرأ علم البلاغة على ابولونيوس مولو استاذ سيسرون فاسره القرصان بالقرب من جزيرة فاراماكوزا الواقعة تجاه مدينة ميليتوس في آسيا وسألوهُ ان

يفدي نفسهُ بعشرين وزنة فسخر منهم ووعدهم ان يعطيهم خمسين ثم ارسل اعوانهُ الى المدن المجاورة ليجمعوا الدراهم المطلوبة وبقي هو مع طبيبهِ وخادمين ثمانية وثلثين يومًا في سفن هولاءِ الاشقياءِ وكان ينفق ساعاتهِ في نظم الاشعار وتاليف الخطب وقراءة ما يكتبهُ للقرصان الذين كان يهددهم بالصلب وهو يمازحهم ولما نقدهم الدراهم التي طلبوها اطلقوا سبيلهُ فذهب الى ميليتوس وجهز بسرعة عظيمة جميع السفن الصغيرة التي وجدها في تلك المدينة وتاثر القرصان وقاتلهم فاغرق بعضهم واسر الباقين وصلبهم على رغم البر وقنصل الذي كان يرغب بيعهم طمعًا بالمال

وحين رجوعهِ الى رومية اخذ يتزلف من الكبراءِ ويجهد في مصادقة الجميع وكان كريمًا مسرفًا حتى ان اعداءهُ ظنوا سقوطهُ قريبًا لكثرة الديون التي عليهِ ولكونهِ زير نساءٍ ميالاً للهو والمسرات

وكان يحب ان ياخذ دائمًا بناصر الشعب ويرد عليهِ الحقوق والامتيازات التي حرمهُ اياها سيلاً وحينما توفيت عمتهُ جوليا زوجة ماريوس ارتقى المنبر في الفورم وأبنها وأمر بحمل صور بعلها في الجناز وكان سيلاً قد ابطل هذه العادة فسرَّ الجمهور جدًّا بما فعل وانصرف وهو يثني عليهِ ويعجب من شجاعتهِ وجسارتهِ وأبن امرأتهُ كورنيليا بنة سنًّا وذلك ايضًا مخالف للعوائد لان النساءَ الشابات لا يجوز تأبينهنَّ

وبعد ان تقلد عدة مناصب عالية اقيم اديلاً (انظر معنى هذا اللفظ صفحة ٩٠) فاحتفل بعيد لابيهِ واتى بستمائة واربعين سيافًا تقاتلوا وتصارعوا امام الشعب وعمل اعمالاً اخرى كثيرة لاشهار اسمهِ وارضاءِ العوام واغرائهم بمحاربتهِ وفي سنة ٦٣ ق.م انتخب حبرًا اعظم باكثرية الاصوات مع ان انتخابهُ لهذا المنصب كان مخالفًا للقوانين الرومانية لانهُ كان فتيًا لم يتول بعد القضاءَ

وخلاصة الكلام عن هذا البطل انهُ كان من احسن العائلات الشريفة

ربي في حجر التمدن والتهذيب فشب شهماً شجاعاً اديباً بليغاً كريماً يحب الشعب ولا يبالي بالاخطار في عمل ما يرضيه

لوسيوس سرجيوس كاتلينا — هو سليل عائلة شهيرة كان غريب الاطوار فاسد الاخلاق ولقد اجاد بعضهم بوصفهِ اذ قال كان هذا الرجل ذا عقل ثاقب ولسان طلق ويد قادرة على اجراءِ اعظم الاعمال واصعبها وكان دأْبهُ مذ شب القتل والنهب واثارة الحروب والفتن الاهلية لا يبالي بالمشقات وعندهُ سفك الدماءِ الذُّ من معاقرة الراح ومنادمة الخلان الا ان اطاعة واهوآءَهُ كانت تدفعهُ الى مهاوي الاخطار فيقدم على افعال دون اجرآئها خرط القتاد

واحب سيدة شريفة ففض بكارتها واغتصب ابنة متبتلة وقتل ابنهُ ارضاءً لامرأَة علق بها قال سلست واظن ان فعلة هذا قد مهد لهُ سبيل العصيان لان نفسهُ الشريرة المكروهة من الآلهة والناس كانت في عذاب دائم تطلب الراحة ولا تجدها لذلك كان اصفر الوجه وهيئتهُ هيئة رجل ذي جنة

الفصل الثامن

في مؤامرة كاتلينا

لا يخفى ان لنجاح الممالك في العالم اسباباً جديرة بالاعتبار اهمها الاتحاد وحب الوطن فلو لم توجد تلك الصفات الحسنة في قلوب الرومانيين منذ تاسيس مدينتهم لم يصلوا الى هذه الدرجة العليا من سلم المجد والفخار بل كانت ايدي الخراب قد اغتالتهم وجعلتهم بين امم الارض نسياً منسياً ولو كان القابضون على زمام احكام الجمهورية قبل هدم قرطجنة مثل ماريوس

وسيلا وكاتلينا وغيرهم من تعرق جبهة الانسانية عند ذكرهم خجلاً لسقطت رومية وخضعت للشعوب المجاورة

ويظن بعض الجهلاء ان حب الوطن هو من الامور الوهمية التي لا تتعدى حيز التصور لان الانسان محب ذاتهُ بالطبع فلا يمكنهُ ان يتخذ مصالحهُ الشخصية ظهريًا ويجهد في نفع غيره اقول ان ما بزعمهِ هولاء جهل مركب اذ حب الوطن هو بالحقيقة حب العاقل لذاتهِ لان الامة اذا تعاونت وجهدت في احياء السلام الداخلي وتوسيع نطاق الاعمال وتوفير اسباب النجاح عاد ذلك بالراحة والفلاح على كل من افرادها واي فخر يحرز الانسان اذا كان نظير كاتلينا الشرير الذي جمع فتيانًا طغامًا عودهم القساوة وسفك الدماء واعدهم لحرق وهدم مدينة رومية وذبح اعضاء المجلس ونهب مهج الابرياء وكان يشجعهم وينشطهم على تلك الفعال بخطبهِ الحماسية وكلامهِ البليغ من ذلك قولهُ قد ساءت يا قوم احوالنا واصبح زمام الاحكام بيد بعض انفس ظالمين يتسلطون على امم الارض ويتمتعون بالاموال التي يسلبونها الملوك والامراء غير مبالين بالشعب كأن الشعب عبدٌ خاضع طوعًا او كرهًا لما ينهون وما يامرون فهيوا بنا نخلع ثوب الذل ونموت شرفاء في ساحة القتال او نبلغ المنى واعلموا ان نجاحنا قريب واكيد وان الحرية والاموال والفخار هي ثمر الانتصار فبادروا الى اجتناء ما طالما تمنيتموهُ

ولما كان هولاء الفتيان قد قنطوا من الحيوة لانهم فقراء اثقلت الديون كاهلهم راوا في النهب والقتل خيرًا وتوسموا في الانقلاب السياسي حيوة جديدة ونعيماً دائمًا الى الممات فبادروا الى رئيسهم متطوعين واستعدوا لركوب متن الاخطار غير مبالين وكان من جملتهم شخص شريف اسمهُ كوربوس قد طرد من المجلس لسبب خفتهِ واعمالهِ القبيحة وكان هذا الرجل مهذارًا لا يحفظ سرًا ويخبر اعداءهُ واصدقاءهُ بكل ما يعلمهُ حتى انهُ لم يكن يستطيع ان يكتم من الناس ذنوبهُ التي اقترفها والتي بود ارتكابها فاسرَّ الى

حبيبته ما ينوي فعلهُ مع ارفاقهِ فاخبرت هذه انسباءها واخبر هولاء اصدقاءهم ولم تمضِ مدة الا وذاع الخبر فاوجس الاهلون خوفًا واخذوا يتحدثون بما كان وما يكون واقاموا سيسرون قنصلاً ليتلافى الخطب ويصلح الاحوال

وكان كاتلينا يسعى ان يكون قنصلاً ليمكنهُ ان يجري ما يروم اجراءه بسهولة فعلم ذلك سيسرون واتخذ الوسائل اللازمة لمنعهِ فعمد اذ ذاك كاتلينا الى قتلهِ مع بعض روساء المجلس يوم الانتخاب الا ان القنصل بلغهُ ما دبر عدوهُ فاخر زمن الانتخاب وفي اليوم التالي بينما كان المجلس مجتمعًا شكاهُ الى اعضائهِ وامرهُ ان يبرئ نفسهُ امام الجمع فتقدم كاتلينا الشرير وعوضًا عن ان ينكر او يجهد في تبرئة نفسهِ قال لهم ان الجمهورية مولفة من شخصين (يعني المجلس والشعب) احدهما مريض وراسهُ ضعيف والاخر ثابت لا راس لهُ ولا يحتاج الى راس ما دام حيًّا واجاب كاتو قبل ذلك ببضعة ايام ان النار اذا احتدمت وحرقت امواله لا يطفئها بالماء بل بخراب عمومي

ومن ذلك الوقت زاد همة ونشاطًا في انفاذ ما نواه فارسل كثيرين من اعوانه الى المدائن الايطالية لاثارة الفتن واستمالة الاهلين واقام هو في رومية يستعد لقتل القنصل وحرق المدينة وامر رجالهُ ان يتسلحوا ويكمنوا في جميع الاحياء وكان يقضي نهارهُ وليلهُ بلا نوم منهمكًا في تحقيق امانيهِ وتتميم اغراضهِ الشريرة وكانت الرسائل ترد تترى الى سيسرون والكبراء تحذرهم من كاتلينا وتحرضهم على الخروج من المدينة والفرار فاجتمع المجلس حينئذٍ وفوَّض الى القنصلين امر صيانة الجمهورية من الاخطار ومنحهما الحرية باجراء كل ما يريان اجراءهُ لازمًا

وجمع كاتلينا رجالهُ في ذلك الليل واخبرهم انهُ ذاهب الى بلاد أتروريا ليتولى قيادة الجنود التي جهزها هناك وامرهم ان يحرقوا المدينة ويقتلوا

الاهلين في يوم عينهُ لهم وارسل اثنين من اعوانهِ ليذبحا سيسرون باكرًا في الصباح وهو نائم في فراشهِ فعلم سيسرون ما دبر عدوهُ الالد فاحاط منزلهُ بالحراس الذين منعوا الرجلين من الدخول عليهِ وارجعوهما من حيث اتيا

وفي الغد جمع القنصل المجلس في الكابيتولينوس وهو مكان التئامهِ ايام الخوف والفتن وعرض للاعضاءِ ما حدث وما سيحدث وبينما كانوا يتذاكرون في الامر اقبل عليهم كاتلينا كانسان لا علم لهُ بما جرى فابتعد الآباء عنهُ ولم يردوا عليهِ السلام فنهض سيسرون وقد احتدم غيظًا وقال لهُ

حتى مَ نصبر يا كاتلينا ونحتمل الاهانة وانت لا تنثني عن غيك أتظننا جاهلين ما فعلتهُ وما تفعلهُ ولكن ياللهُ من عصر تعيس وجيل خبيث يعيش فيهِ المنافق الخائن لا بل يدخل المجلس بوقاحة ليرقب اعمالهُ ويعلم مَنْ مِنْ اعضائهِ المجتمعين يلزم اهلاكهُ قد مضى زمن الشجاعة ومحبة الوطن كيف لا وبوبليوس سيبيو وهو خارج عن دائرة الحكومة قدر ان يقتل قبلاً تيبيريوس غراكس لانهُ اراد ان يلقي الشغب بين الشعب ونحن القنصلين رئيسي الجمهورية ومدبري ممالك الدنيا نترك الان كاتلينا بقيد الحيوة وهو رجل خائن يريد ان يهلك العالم بالقتل والحريق

ايها الآباء انني طبعت على الشفقة ولكن ضميري يوبخني على التواني والاهمال بوقت اصبحت فيهِ بلادنا محاطة بالاخطار المهولة فاعلموا ان عدونا الالد الذي هو مقيم داخل اسوار المدينة قد جهز جيشًا جرارًا يزداد كل يوم عددًا وعددًا وهو محتل الديار الاترورية ومستعد للقتال

والان يا كاتلينا اذا امرت الشرط بالقبض عليك وذبحك حالاً لا اكون قاسيًا ظالمًا وانما اخاف ان يقال اني كنت بطيئًا باجراءِ العدل اما ما منعني ويمنعني عن قتالك فهو وجود اناس لئام طغام نظيرك يودون

خلاصك ويبذلون الجهد بتبرئتك فعش كما كنت محاطًا بالحراس والرقباء الذين اقمتهم ليعلموا اعمالك ويذيعوا افكارك وما تنوي فهيهات ان يستر ظلام الليل الحالك اجتماعاتك السرية مع رجالك واعوانك وان تمنع جدران منزلك صوت خيانتك من الوصول الى اذنيَّ

ثم نصح لهُ ان يترك المدينة ويعرض عن نواياهُ الشريرة وحذَّرهُ من عاقبة الظلم والاعتداء بعبارات هي منتهى البلاغة وحد الاعجاز (اه ملخصًا)

ولما كان كاتلينا اروغ من ثعلب واحيل من ضب نهض على قدميهِ وهو مطرق وقال للحاضرين بصوت ضعيف الا يصدقوا تلك التهم الكاذبة لان شرف عائلتهِ وسيرتهُ الحسنة مذ شب بوهلانهِ لان يرتقي ذرى العظمة والمجد وهل يمكن رجلاً شريفًا مثلهُ خدم هو واباؤُهُ الحكومة وجهد في توفير اسباب تقدم البلاد ان يخطر ببالهِ اضرار مواطنيهِ فاعترضهُ الاعضاء وشتموهُ ولم يدعوهُ ان يتم كلامهُ فحنق وازبد وقال لهم وهو خارج ما قالهُ قبلاً لكانوا انني اطفئُ النار التي يتوعدني بها اعدائي بخراب عمومي

وعلم كاتلينا ضرورة السرعة في العمل لبلوغ ماربهِ فرحل بالليل سرًّا الى أترور يا بعد ما حرَّض روساء اعوانهِ الا يهملوا الوسائل اللازمة لزيادة عدد جنوده وقتل سيسرون والاستعداد لحرق المدينة وتدمير اهلها فحكم المجلس عليهِ انهُ عدو البلاد وصرح بالعفو عن رجالهِ الذين يثوبون الى الطاعة وامر القنصلين بتجهيز العساكر والمبادرة الى قتالهِ حالاً قبل ان تقوى شوكتهُ ويستفحل امره

ولكي يغش هذا الشرير الكبراء ارسل الى كل منهم كتابًا يقول فيهِ لقد تفاقم الخطب واصبحت هدفًا لسهام التهم والوقيعة فها انا راحل الى مرسيليا فرارًا من كيد اعدائي وخوفًا من حدوث فتن يثيرها اصدقائي انتصارًا لي

وارسل الى احد خلانهِ كتابًا آخر يسالهُ فيهِ ان يعتني بحبيبتهِ اور يستلاَّ

ويخبرهُ بالاسباب التي حملتهُ على ركوب هذه الخطة قال

من كاتلينا الى كاتلس سلام

ايها الحبيب ان صداقتك الصادقة التي اختبرتها من زمان طويل تشجعني على الفكر انك غير مرتاب ببراءتي ومحبتي للوطن الا ان نم الحاسدين ووقيعة المبغضين قد الجأتني ان انهض لآخذ بيد الفقراء والمظلومين ولا تظنني عاجزاً عن تادية ما استقرضتهُ لان اموالي كما تعلم وافرة وكافية لوفاء تلك الديون ولما كنت لا استطيع ان اصبر على الخسف والذل وارى اناساً طغاماً يرتقون ذرى المجد والعظمة قد بادرت الى صيانة شرفي بالتي هي احسن فاطلب اليك الان ايها العزيز ان تعتني باورپستلاً وتصونها من كل ضرر

وجاء الى رومية في هذا الاوان سفراء الوبروجيون (هم قبائل غالية قاطنة في اقليمي سفوا ودوفيني من اعمال فرنسا) يستجيرون بالمجلس من ظلم وطمع حكامهم الرومانيين ويرغبون اليهِ بالاشفاق عليهم واصلاح حالتهم التعيسة فلم يصغ الاعضاء الى شكواهم وردوهم خائبين ولما علم ذلك لنتلوس احد زعماء العصاة في المدينة ارسل اليهم رجلاً اسمهُ اومبرينوس ليستميلهم الى حزب كاتلينا ويكونوا لهُ نصراء متى ثارت الحرب واحتدمت نارها فاقبل اليهم كانسان يهمهُ نفعهم واستخبرهم عن احوالهم وعما نالوهُ اجابوهُ ان الموت نصب اعيننا اذ لا نجاة لنا بغيره فحكامنا ظالمون قساة والمجلس قد اعارنا اذناً صماء

— قال لهم ان حالتكم تعيسة جداً ولا يمكنكم اصلاحها الا اذا كنتم شجعاناً تعملون ما اشير عليكم بهِ

— اجابوهُ خذ بيدنا ايها الرجل واشفق علينا واعلم اننا مستعدون ان نركب متن الاخطار لننقذ امتنا من الديون والمظالم التي اثقلت كاهلها

فاحضرهم اومبرنبوس اذ ذاك الى اصحابهِ وكاشفهم بسرّ موآمرتهم ووعدهم خيرًا فرضوا بالاشتراك معهم ومساعدتهم بفرقة عظيمة من الفرسان الا انهم حينما خلوا في منزلهم وفكروا في الاخطار والاهوال التي تكون بلا ريب عاقبة العصيان ندموا على ما فعلوهُ وذهبوا توًّا الى فابيوس سنغا وليّ امنهم واخبروهُ بالامر فاعلم هذا سيسرون الذي دعا حالاً السفراء وامرهم ان يتظاهروا للعصاة برغبتهم في محازبتهم وياخذوا منهم عهدة يوقعها زعماؤهم لتكون دليلاً بينًا على خيانتهم وسعيهم في اضرار الوطن وبنيهِ ففعل السفراء ما امر بهِ القنصل وابرموا عهدة مع الثائرين واخذوا كتابا الى كاتلينا وخرجوا مع بعض اعوانهِ من المدينة الا ان فرقة من جنود الحكومة كانت كامنة في المكان الذي يجب ان يمروا بهِ كما جرى الاتفاق قبلاً فانقضت عليهم واسرتهم وقبضت على الاوراق التي معهم

حينئذٍ التأم المجلس حالاً للمذاكرة في الامر والنظر في دعوى روّساء الثائرين الذين القي القبض عليهم والذين اقروا جهرًا بذنبهم وخيانتهم فحكم عليهم بالسجن وانصرف الاعضاء وهم يشكرون لسيسرون ويثنون على اعمالهِ وهمتهِ

وفي اليوم الثاني بعد جدال طويل وخصام عظيم في المجلس حكم على المسجونين بالموت فقتلوا في الفورم امام الشعب وزينت المنازل والشوارع ايذانًا بفرح الجمهور لنجاتهِ من تلك البلايا التي اوشكت ان تفاجئهُ وكانت النساء والاولاد والرجال تزدحم في الاسواق لترى سيسرون حينما كان راجعًا الى بيتهِ والآباء والفرسان تحيط بهِ كأنهُ عائدٌ من ساحات القتال يحتفل بنصرتهِ داخل المدينة وكان الشعب يناديهِ يا حامي البلاد ومؤسس رومية الثاني

وظن المجلس انهُ بالقبض على روّساء الثائرين وقتلهم قد سقط كاتلينا ولعبت بحزبهِ ايدي سبا لذلك استعفى سيسرون ورفيقهُ من منصبهما

وانتخبت الامة قنصلين جديدين وراح كل فرحاً آمناً حدثان الدهر كأن الدهر قد سالمهُ غير ان ذلك البطل المغوار عدو وطنهِ كان لا يفتر عن حشد الجنود والاستعداد لشن الغارة على مواطنيهِ فارسلت الحكومة لمحاربتهِ فرقاً من العساكر فالتقى الجيشان بالقرب من جبال الابنين وانتشب القتال وكان مهولاً لان الفريقين ثبتا في ذلك النهار ثبات من لا يرعهُ الحمام او كيف يرعهم الحمام وارواحهم مرهونة للنصر او الممات فقضى كاتلينا وعدد عديد من جنوده وانتهت بموتهِ تلك المؤامرة الشهيرة التي كادت تمحو اسم الجمهورية الرومانية من العالم

وفي سنة ٦٠ ق.م عاد جوليوس قيصر من الديار الاسبانية مكللاً بالظفر لانهُ اخضع تلك القبائل المتوحشة بسيفهِ البتار وهذبهم بقوانينهِ الحكيمة وتعاهد مع كراسس وبومبايس على الصداقة الصادقة والتعاون ودعي اتفاقهم هذا بالحكومة الثلاثية

الباب السابع

من حين اقامة الحكومة الثلاثية
الاولى سنة ٦٠
الى حين تسلط اوكتافيانوس سنة ٢٩ ق.م

الفصل الاول

اعمال قيصر في رومية
وحروبهُ في البلاد الغالية
مع ذكر حرب كراسس ببارثيا

قدر قيصر ان يتقلد سنة ٥٩ ق.م بمساعدة صديقيهِ منصب القنصلية ويستبد بالاحكام لانهُ على رغم كاتو والقنصل الآخر وجميع اعضاء المجلس اجرى القانون العقاري وقسم بين الوطنيين الفقراء اراضي كامبينيا وجعل الشعب يصدق على اعمال بومبايس في آسيا وحينما انتهت السنة عين والياً لمدة خمس سنوات على ايلريا وغاليا السيزالبية وقائداً الاربع كتائب (لجيون) وزوج بومبايس بابنتهِ جوليا لتدوم صداقتهُ ويكون لهُ نصيراً متى مست الحاجة

حروب قيصر في البلاد الغالية — ان غاليا ما خلا الولاية الرومانية كانت مقسومة في ذلك الحين الى ثلثة اقسام هم آكيتانيا وغاليا السلتية وغاليا البلجكية فالقسم الاول يحدهُ شمالاً نهر غارون وجنوباً جبال البيرنه وغرباً الاوقيانس وشرقاً الولاية الرومانية وهو الان اقليما البروفنس ولانغدوك من اعمال فرنسا والثاني يحدهُ نهرا السين والمارن وجنوباً نهر الغارون وغرباً الاوقيانس وشرقاً نهر الرين وهو يشتمل تقريباً على الاقاليم الفرنسوية الباقية ولا حاجة الى تحديد القسم الثالث لان اسمهُ خير دليل عليهِ

وكان اولئك الشعوب الثلثة مختلفي العوائد واللغات الا ان البلجكيين والألفتيين وهم ساكنو القسم الغربي من سويسرا كانوا اشجع من الجميع لقتالهم الدائم مع الجرمانيين القاطنين وراء نهر الرين

وحدث ان الألفتيين ملوا الاقامة في بلادهم لانها ضاقت بهم فعزموا على الرحيل منها واستيطان مكان اخر فحرقوا مدائنهم وقراهم وتقدموا الى جهة الولاية الرومانية ليجتازوا بها ويحتلوا البلاد التي يرونها حسنة وصالحة لسكناهم وكان ذلك في ٢٨ اذار سنة ٥٨ ق.م

وعلم قيصر بما جرى وكان وقتئذٍ معسكراً بالقرب من رومية فاسرع الى غاليا واخذ يجهز الجنود ويحشد الابطال وخرب جسر مدينة جنيفا

ليمنع الالفتيين من عبور نهر الرون و يظهر ان هولاء البرابرة لم يقصدوا مناواة الرومانيين بل ارسلوا رسلاً الى قيصر يعرضون له سبب رحيلهم من الاوطان و يطلبون اليهِ ان يسمح لهم باجتياز الولاية الرومانية ليمكنهم الذهاب الى بلاد اخرى فابى قيصر اجابتهم الى ما سالوهُ وردّ رسلهم خائبين

ولما رأى الألفتيون استحالة او صعوبة المرور بذلك المكان رجعوا على اعقابهم وتقدموا الى جهة اخرى ليجتازوا في بلاد امير غالي تجاور ارضهُ الولاية الرومانية فزحف قيصر اذ ذاك بجنوده ولقيهم عند نهر أرار (الان السون) ودهم فرقة من معسكرهم فكسرها وشتت شملها في تلك البطاح واستعد لقتال الاخرين فارسلوا اليهِ سفراء يسترضونهُ فلم يكترث لهم واخذ يتاثرهم ليوقع بهم و بعد مسير بضعة ايام فاجاهم بالقرب من مدينة بيبراكته (الان اوتون وهي على بعد ثلثمائة وواحد واربعين كيلومترًا من باريس) وهجم عليهم بعساكره فدام القتال الى الليل ولم ينج منهم سوى مائة وعشرين الفًا اكرههم على العود الى اوطانهم ليستعمروها ويردوا هجمات الجرمانيين على الشعوب الخاضعة للرومانيين

وكان ملك جرماني اسمهُ اريوفيستس قد اعتدى على بعض قبائل غالية فسالهُ قيصر ان يكف العداوة والاعتداء على اناس خضعوا للرومانيين او استجاروا بهم فابى ذلك الملك الاذعان لاوامره حينئذٍ زحف قيصر بجنوده واستعد لقتالهِ ومن عوائد الجرمانيين الغريبة هو انهم لا يباشرون حربًا الا بامر الساحرات اللواتي اعلنَّ في هذه المرة لاقوامهنَّ انهم يغلبون اعداءهم اذا قاتلوهم في هلة القمر غير ان قيصر هجم عليهم حالاً و بادرت اليهم جنودهُ كالضراغم فانتشبت الحروب وكانت عوانًا وبعد ان جرت وقائع يشيب هولها الاطفال وسالت على اديم ذلك الصحصحان دماء الفرسان والابطال انكسر الجرمانيون ولولا هار بين فتاثرهم الرومانيون وما زالوا

يطعنونهم و يضربونهم دراكًا حتى عبروا نهر الرين ونجوا بانفسهم

وفي السنة الثانية اتحدت القبائل البلجكية وعولت على محاربة الرومانيين لتضعف شوكتهم وتامن شرهم فعلم ذلك قيصر واتاها بعساكره كالبرق الخاطف وكسر جنودها في مواقع كثيرة فخضعت له جميعها صاغرة واقرت بسيادة الشعب الروماني نادمة على عصيانها وما فعلت

ولم تكن الوقائع التي حدثت كافية لاخضاع الغاليين تمامًا لانهم كانوا اقوامًا شجعانًا يحبون الحرية ويفدونها بالارواح لذلك كانوا دائمًا مجاهرين بالعصيان يشنون الغارة على الرومانيين ويشن الرومانيون الغارة عليهم فبقي قيصر يحاربهم تسع سنوات حتى استطاع ان يملك قيادهم ويجعل بلادهم الواسعة ولايات رومانية . قيل انهُ استولى عنوة في هذه المدة على ثمانمائة مدينة واخضع ثلثمائة شعب وقهر في ساحات القتال ثلثة ملايين رجل قتل منهم واسر اكثر من مليونين وفي اثناء ذلك ذهب مرتين الى بريطانيا وحارب اهلها وقهرهم الا انهُ لم يستولِ على تلك البلاد التي كانت وقتئذٍ خاضعة لسلطان التوحش والغباوة وقد كتب قيصر نفسهُ رسالة مسهبة في الحروب التي اثارها في غاليا وهي رسالة حسنة الوضع وجليلة النفع للذين يرومون التدقيق في درس تاريخ فرنسا القديمة اما نحن فقد اخذنا منها ما ذكرناهُ وهو خلاصة الخلاصة وبهذا القدر كما لا يخفى كفاية للمطالعين ومتطلعي الاخبار التاريخية في هذه الديار

كراسس وحربهُ في الشرق — كان كراسس يروم ان يجاري صديقيهِ في ميدان الفخار ويحاكيهما في البسالة والفتوح الا انهُ كان يفوقهما في الطمع وحب المال ولما عين واليًا للديار السورية حسب طلبهِ سرَّ جدًا وذهب الى ذلك القطر مصممًا على نهب ما يمكنهُ نهبهُ

روى يوسيفوس المؤرخ اليهودي انهُ سلب حين وصولهِ امتعة هيكل اورشليم الثمينة واخذ امواله البالغة عشرة الاف وزنة (نحو مليونين ليرة

انكليزية) وشرع يستعد لقتال البارثيين ليستولي على مدائنهم وينهب ما تحوي وبناءً عليهِ زحف بجنوده سنة ٥٣ ق . م لمحاربة شعب صديق وحليف الرومانيين فارسل اليهِ اورودس ملك بارثيا رسلاً يسالونهُ عن الاسباب التي حملتهُ على حربهِ ونقض العهود اجابهم قولوا لهُ انني اعلمهُ الاسباب حينما ادخل سلوقية عاصمة مملكتهِ

ولو كان طمع كراسس مقروناً بالفطنة واصالة الراي او الخبرة بالفنون الحربية لهان البلاء واصبح نجاحهُ مامولاً لكنهُ كان جاهلاً فخوراً ودليل ذلك الخطأ الذي ارتكبهُ في هذه الحملة لانهُ عوضاً عن ان يسير في بلاد ارمينيا كما نصح لهُ ملكها او يمشي بالقرب من ضفات الفرات اتبع مشورة شيخ قبيلة عربية اراد غشهُ وايقاعهُ بالمهالك فتوغل في مزوبوتاميا ظاناً انهُ يستولي على بارثيا غنيمة باردة فلقي بعد ما نهكهُ التعب جنود الاعداءِ وفرسانهم يتقدمون لقتالهِ

ولما كان البارثيون يفوقون الرومانيين عدداً وعُدداً وكانت فرسانهم صعبة المراس يصطلى بنارها هجمت على كراسس وعساكره هجمة الرئبال فنهبت المهجات وجندلت الابطال فرأى الرومانيين ان لانجاة لهم الا بالفرار وحينما ادلهم الليل زحفوا سراً وتركوا في المعسكر الجرحى ومن لا يستطيع ان يتبعهم فمات هولاء التعساءُ في اليوم الثاني قتلاً بسيف اعدائهم الذين لم يشفقوا على احد

واعتمد الرومانيون في هزيمتهم على بعض الوطنيين الخائنين الذين قادوهم في مسالك صعبة حرجة واوقعوهم مرة ثانية في ايدي الاعداءِ فادعى سيرينا قائد البارثيين ان مولاه يود ابرام الصلح مع الرومانيين ومقابلة رئيسهم فلم يغتر كراسس بكلامهِ وعلم ان ذلك دخيلة لكن عساكره الحوا عليهِ الا برفض تلك المقابلة وحينما وصل كراسس واعوانهُ الى معسكر الاعداءِ ورأى عين الغدر بادرت رجالهِ الى حمايتهِ فاحاط بهم البارثيون

ونكلوا بهم تنكيلاً واتوا براس كراسس الى ملكهم فصب في فمهِ ذهباً مصهورًا وهو يقول اشبع ايها الطمع من معدن قضيت حياتك في طلبهِ وجمعهِ

الفصل الثاني

في حرب قيصر مع بومبايس وموت الاخير مع ذكر اعمال قيصر في الشرق

قد مات الان كراسس وانحلت بموتهِ عرى الاتحاد الثلاثي واصبحت الحكومة هدفًا لسهام اطماع صديقيهِ الآخرين لان كلاً منهما كان يروم التسلط وحدهُ على العالم الروماني ويرغب في اهلاك خصمهِ ليتسنى لهُ ارتقاء اوج الفخار ولم يكن ذلك فيهما نزاعًا جديدًا ولكنهما خضعا اولاً لاحكام الضرورة والاحوال وسترا اهواءهم ببرقع الصداقة والتعاون ولما خلا لهما الجو وقويت شوكتهما ولم يبق مانع يمنعهما من اعلان العداوة اضرما نار الفتنة الاهلية التي امتد سعيرها الى كل الاقطار

وفي ذلك الحين كانت احوال الحكومة والحكام مختلة فاسدة وكان بومبايس قادرًا ان يصلح هذا الخلل ويريح الشعب من المظالم والبلايا لولا اطماعهُ ومحبتهُ للرئاسة لانهُ ترك الامور تجري مجراها ليتسع الخرق ويمكن الشعب ان يقدرهُ حق قدره فيقيمهُ رئيسًا للجمهورية ويخولهُ سلطة مطلقة وعليهِ ففي سنة ٥٢ ق.م تولى وحدهُ منصب القنصلية مع ان العوائد والقوانين تقضي بوجوب تعيين قنصلين في كل عام كما علمت قبلاً

ولما بلغ ذلك قيصر وهو في البلاد الغالية هاجت بصدره حاسات

الحسد وطلب الى المجلس والشعب تعيينهُ قنصلاً في السنة التالية فلبي الجميع طلبهُ ومنحوهُ هذا الامتياز الا ان بومبايس قدر بدسائسهِ ومكره ان يبطل ذلك الامر او يجعلهُ مهملاً لا يعمل بهِ فاحتدم قيصر غيظًا وقبض عند عليهِ ما جرى على فرند سيفهِ وقال ان هذا الحسام البتار سينيلني بعدل ما يمنعني ظلم اعدائي اللئام من الحصول عليهِ وفي الحال جمع عساكره واجتاز جبال الالب سنة ٤٩ ق.م ووصل الى نهر الروبيكون وهو المكان الذي لا يسوغ للجيوش الرومانية ان تعبرهُ وتتقدم في ايطاليا فبعد ان تردد قليلاً وهو يقول اذا كنت اعبر هذ النهر ساجلب على وطني مصائب عظيمة واذا توقفت في مسيري ساهلك لا محالة زحف بجنوده ووصل الى ريميني واستولى عليها وجال في البلاد طولاً وعرضًا بسرعة عجيبة واتى وحاصر بومبايس في برندزيوم ففرَّ بومبايس هاربًا الى درَّاخيوم في ايلريا وترك ايطاليا غنيمة باردة لعدوه القادر النشيط

وكان الشرفآء خائفين من قيصر يظنون انهُ سيفتك بهم فتكًا ذريعًا لمحازبتهم بومبايس الا ان ذلك البطل كان يسير وجيشا الرعب والحلم يتقدمانهِ ويفتحان لهُ بلا حرب ولا عناء المدائن والقلوب حتى وصل الى رومية فدخلها ظافرًا واقام فيها بضعة ايام صرفها في تأمين الخائف وتشجيعهِ وارضاءِ اعدائهِ واستمالتهم فاحبهُ الجميع وفرحوا بانتصاره بعد ان كانوا يضجون بالدعاء للآلهة ان تقهرهُ وتردهُ مخزيًا ولما استتب لهُ الامر مشى الى اسبانيا وحارب افرانيوس وبتريوس قائدي جيوش خصمهِ في تلك الديار فقهرهم وارتد راجعًا الى رومية

وحدث ان احدى الكتائب عصت اوامرهُ لانهُ لم يسمح للجنود ان ينهبوا المدن التي استولى عليها وطلبت اليهِ ان ياذن لها بالانصراف للاوطان فاحضرها ووبخها على صنيعها بكلام لطيف يخلب العقول ويجرح القلوب الى ان قال انهُ غير محتاج لخدمتها ولا يفتقر ابدًا الى جنود

يقاسمونهُ النجاح وفخر الانتصار وبناءَ عليهِ يرغب في صرفها ولكنهُ يريد معاقبتها بقتل عُشْر رجالها فرعب الثائرون والقوا بانفسهم عند قدميهِ وسالوهُ الصفح عن ذنبهم فعفا عنهم الا انهُ امرهم ان يسلموا اليهِ مائة وعشرين نفسًا من المذنبين قتل منهم عشرين وصفح عن الباقين

وجمع بومبايُس من بلاد اليونان والمشرق جيوشًا جرارة واستعدَّ لقتال قيصر الذي بعد ان تقلد منصب الديكتاتورية مدة احد عشر يومًا واصلح الاحوال عين قنصلاً باتفاق الآراء فاسرع اذ ذاك بالرحيل الى ايطاليا لمحاربة عدوهِ وقهرهِ فجرت بينهما وبين قوادهما وقائع كثيرة كان النصر فيها تارة لهذا وتارة لذاك اخيرًا التقى الفريقان في سهل فارزاليا في تساليا سنة ٤٨ ق . م وانتشبت الحرب وكانت سجالاً . وعلم قيصر ان فرسان الاعداء وهم عدد عديد ينوون الهجوم على فرسانهِ دفعة واحدة حتى اذا ما كسروهم وشتتوا شملهم في مجاهل تلك الارض كرّوا على رجالتهِ ونكلوا بهم تنكيلاً فامر ست فرق من جيشهِ ان تكمن وراءَ الميمنة وتهجم على فرسان بومبايس بغتة اذا تسنى لهم الانتصار كما املوا وعادوا الى ساحة الضرب والطعان ثم ردم الخنادق التي حول المعسكر وقال لجنوده دونكم الكر والكفاح لانهُ لا نجاة لنا الا بالنصر او الممات حينئذٍ حملت الرجال على الرجال وسالت دماءُ الابطال في ذلك النهار كالانهار وكانت فرسان بومبايس قد كسرت فرسان قيصر واستعدت لقتال رجالتهِ فالتقتها الفرق الست الكامنة وراءَ الميمنة واكرهتها على الفرار ثم ارتدت لمساعدة ارفاقها وهجمت معهم على رجالة الاعداء وهي تطعنهم وتضربهم دراكًا فذعروا وولوا منهزمين وفي اليوم التالي سلموا سلاحهم الى قيصر وامنوا اليهِ ففازوا بالامان اما بومبايس فغير ثيابهُ وفرَّ هاربًا مع بعض اعوانهِ يطلب النجاة فاتى اولاً امفيبوليس واصدر فيها منشورًا يامر بهِ الفتيان الرومانيين واليونانيين ان يبتدروا السلاح ويحضروا اليهِ ولما كان عدوهُ قيصر متاثرهُ وقد قرب

من ذلك المكان بادر الى الرحيل حالاً فذهب الى قبرص وعلم هناك ان السوريين لا يسمحون لهُ بالدخول الى بلادهم فجهز الفي جندي من تلك الجزيرة ورحل بهم الى مصر ليستجير ببطلماوس ملكها فدعاه هذا الامير الخائن الى بلاطهِ وامر بعض رجالهِ ان يقتلوه حينما يصبح في قبضة يدهم وارسل الى سفينتهِ قارباً يحضرهُ بهِ ولما خرج بومبايس من السفينة التفت الى امرأتهِ وقال لها بيتي شعر لسفوكلس اليوناني معناهما ان الذي يذهب الى بلاط ملك يصبح عبد ذلك الملك وحين وصولهِ الى البر اخترط احد المصريين حسامهُ وضربهُ بهِ ثم قطع راسهُ وترك جثتهُ مطروحة على الشاطىء فاخذها احد عبيده وحرقها واتى كورنيليا امرأتهُ برمادها غير ان المصريين بنوا لهُ بعد ذلك ضريحًا وزينوهُ بالتماثيل النحاسية

وما زال قيصر متاثرًا بومبايس ليأسره او يفتك بهِ حتى وصل الى مدينة الاسكندرية فعلم هناك بموت عدوهِ الالد قبل انهُ لما نظر راس وخاتم ذلك الرجل التعيس اغرورقت عيناه وامر ان يدفن حالاً بالتجلة والاكرام

وكانت الحرب وقتئذٍ قائمة على قدم وساق بين بطلماوس وكليوبترا اختهِ وسببها ان اباهما حين موتهِ اوصى لهما بالملك حسب عوائد وشرائع البلاد وامر ان يقترن الاخ باختهِ لتدوم محبتهما ويعيشا بالصفو والهناء وكان عمر كليوبترا سبع عشرة سنة وعمر بطلماوس ثلث عشرة فقط فبقيا متحدين حينًا من الزمان ثم تعاديا واقدم كل منهما على قتال الاخر ليقتلهُ ويستبد بعدهُ بالملك ظالمًا

واراد قيصر نفي النزاع وابقاء القديم على قدمهِ لان كليوبترا لجئت اليهِ وطلبت مساعدتهُ فاغضب ذلك بطلماوس وجمع عساكره واتى يحارب البطل الروماني الذي لم يكن معهُ اكثر من اربعة الاف جندي فتحصن في القصر وحرق كل السفن الموجودة في الميناء لئلا يستولي عليها الاعداء

ويمنعوا المدد من الوصول اليهِ الا ان اللهيب امتد الى المكتبة وحرقها وكانت هذه المكتبة شهيرة تحوي اربعمائة الف مجلد حسب رواية لفيوس وقيل اكثر

ولكي لا يبقى مانع من وصول المدد اليهِ ارسل شرذمة من عساكره الى جزيرة فاروس (الان راس التين وكانت هذه البقعة جزيرة صغيرة في الايام القديمة الا ان اسكندر الكبير امر ان توصل بالبر ليجعل المدينة ميناوين) ثم بنى متاريس حول قصر الملك والملعب الذي بقربهِ وعمل كل ما يلزم ليامن شر الاعداء ويمكنهُ القتال او الدفاع بسهولة ودامت الحال هكذا الى ان جاءت جنود رومانية جديدة فبادر قيصر الى محاربة المصريين وملكهم فكسرهم في عدة وقائع ومات ذلك الامير الخائن سنة ٤٧ ق.م غرقًا في نهر النيل فنال بلا ريب جزاء خيانتهِ ومكره لانهُ قتل بومبايس صديقهُ وولي نعمتهِ وغدر بقيصر بعد ان اسره وخلى سبيلهُ

ولم تأت حرب قيصر بالديار المصرية بفائدة للرومانيين لانهُ لم يخضع ذلك القطر لسلطتهم بل تركهُ مستقلاً كما كان قبلاً ويظهر انهُ فعل ما فعلهُ حبًا بكليوبترا التي اقام معها تسعة اشهر فحبلت منهُ وولدت غلامًا دعتهُ قيصريو ومن المؤكد ان هذا البطل قد غادر الاسكندرية كرهًا لان الضرورة قد احوجتهُ الى ذلك

ولما رأى فرناسس بن متريدات وقاتلهُ ان نار الحرب بين بومبايس وقيصر قد تأججت ظن الاوان قد آن لخلع نير تسلط الرومانيين على وطنهِ فجاهر بالعصيان واخذ يحارب الامم المجاورة ليوسع نطاق مملكتهِ وقهر حاكم البلاد الاسيوية الروماني وشتت شمل عساكره فرحل لذلك قيصر من القطر المصري وتقدم في الديار السورية وما زال سائرًا حتى لقي فارناسس وجنوده فهجم عليهم برجالهِ ونكل بهم تنكيلاً وكان انتصاره على البونتسيين سريعًا جدًا حتى انهُ قال يابومبايس السعيد ان

اعدآءك الذين قهرتهم واكتسبت بقهرهم لقب الكبير هم مثل هولآء ولكي يظهر لاحد اصدقائهِ سرعة انتصاره في هذه الوقعة لم يجد وجهاً للتعبير ابلغ من قولهِ جئت ونظرت وغلبت

ثم عاد الى ايطاليا وحينما وصل الى برندز يوم لقية سيسرون ماشياً لانهُ كان محازباً لبومبايس فاراد بذلك استرضاءهُ فتلقاه قيصر بالبشاشة والاكرام وسمح لهُ بالرجوع معهُ الى رومية وحدث ان عساكرهُ جاهروا بالعصيان لكونهِ لم يعطهم الجزآء الذي وعدهم بهِ فاخمد نار تلك الفتنة بكلامهِ فقط وتهديدهِ اياهم انهُ يصرفهم ولا ياذن لهم بالذهاب معهُ الى افريقيا لمحاربة اعدائهِ هناك

الفصل الثالث

في حروب قيصر بافريقيا واسبانيا واعمالهِ في رومية وموتهِ سنة ٤٤ ق.م

لقد اصبح قيصر بقهره بومبايس واعوانه في الشرق الرجل الوحيد الذي يتسلط حقيقة على العالم الروماني والحاكم الفريد الذي يرجى منهُ اصلاح الاحوال وتوفير اسباب الراحة الداخلية والسلام ولو كان هذا البطل حقوداً نظير من تقدمهُ لخضب ارض ايطاليا وعاصمتها بدمآء اعدائهِ الشرفآء ولكنهُ كان حليماً يحب العدل ويانف من القتل لذلك لم يردِ قط عدواً استسلم لهُ او قدر على اخضاعهِ فاحبهُ الجميع واقامهُ الشعب ديكتاتوراً لمدة عشر سنوات ولما استتب لهُ الامر جمع جنودهُ وذهب الى افريقيا ليحارب هناك لابينوس وكاتو وغيرهما من بقي من حزب بومبايس فجرت

بين الفريقين وقائع كثيرة اشهرها وقعة ثابسس حيث انتصر قيصر انتصارًا مبينًا وشتت شمل اعدائهِ الاولى هرب بعض منهم الى اسبانيا وخضع لهُ البعض الآخر اما كاتو الشجاع فحينما راى تضعضع احوال قومهِ وانكسارهم يئس من الحيوة وانف من الذل والخضوع لعدوه الالد فدخل غرفتهُ وبعد ان قرأ مرارًا الفدو وهو كتاب لافلاطون الفيلسوف وموضوعهُ خلود النفس اخترط سيفهُ وضرب بهِ صدرهُ ووقع على الارض مغشيًا عليهِ فانتبه اصدقاؤُهُ واتوهُ مسرعين وضمدوا جرحهُ ولما افاق وابصر ما فعلوه حنق وفتح الجرح وسحب احشاءَهُ بيدهِ ومات سنة ٤٦ ق.م

وقدر ابنا بومبايس ورفاقهما الذين هربوا من افريقيا ان يستميلوا السواد الاعظم من الاسبانيين وان يجهزوا جنودًا كافية للقاء عدوهم وقتالهِ فارسل قيصر لمحاربتهم بعضًا من قواده وعاد هو الى رومية ودخلها ظافرًا غانمًا واحتفل بنصراتهِ العديدة ثم اخذ في اصلاح الاحكام واجراء العدل غير مبالٍ بالصعوبات ولا خاشٍ في جانب الحق لومة لائم

ومن اعمالهِ الحسنة التي تذكر فتشكر هو اصلاح حساب السنة لان نوما ملك رومية الثاني قد جعل العام ثلثمائة وخمسة وخمسين يومًا اي زاد يومًا واحدًا على السنة القمرية المستعملة اذ ذاك في بلاد اليونان واضاف اليها كل عامين شهرًا واحدًا عدد ايامهِ اثنين وعشرين ولما كانت سنتهُ هذه تزيد يومًا واحدًا او ثلاثة ارباع اليوم على السنة الشمسية وكان الموكلون بذلك يهملون احيانًا زيادة الشهر المذكور اصبح الخلل على مرّ الزمان عظيمًا فانتبه قيصر لهذا الامر وجعل السنة الرومانية شمسية اي ثلثمائة وخمسة وستين يومًا واضاف كل اربعة اعوام يومًا واحدًا الى شهر شباط كما هو جارٍ الان في سائر الممالك المسيحية

واستفحل امر ابني بومبايس باسبانيا لان القواد المرسلين لمحاربتهما لم يستطيعوا ان يقمعوهما فزحف ذلك البطل الى تلك الديار سنة ٤٥ ق.م

ولقيهما بالقرب من مدينة موندا فانتشب القتال وكان مهولاً ويظهر ان عساكر الديكتاتور قد نسيت نصراتها السابقة والفخر الذي حازتهُ في حروبها الماضية فلم تثبت بادىء بدء بل رجعت الى الوراء وعولت على الفرار فوقف قيصر وقفة الحائر الكئيب لا يعلم ما يعمل ولا يدري كيف يكون الخلاص من الفضيحة حتى انهُ اراد ان ينتحر في ذلك النهار اخيرًا جرّد حسامهُ واخذ مجنًا وهجم وحدهُ على صفوف الاعداء مؤثرًا الموت الزؤام على الحيوة بالذل والعار فشجع حينئذٍ القواد والجنود وتبعوه بقلب ثابت الى حومة الوغى وساحة الاخطار وحدث ان لبيونس احد قواد الاعداء ارسل خمس فرق لقتال بوغد ملك موريتانيا فاغتنم قيصر هذه الفرصة واذاع ان عساكر البومبيين اخذت في الفرار فانتشر هذا الخبر في الجيشين وكان من نتيجتهِ انكسار الاعداء حقيقة فمات منهم في هذه الوقعة ثلثون الف رجل وقواد كثيرون من جملتهم لبيونس واحد ابني بومبايس وهكذا انتهت هذه الحرب الاهلية التي امتد سعيرها الى جميع اقطار العالم الروماني ولما رجع قيصر الى رومية احتفل بنصرتهِ واعلن العفو عمن ناواه وحازب خصمهُ وبنى هيكلاً لالهة الرحمة ونصب تمثالهُ بالقرب من تمثال هذه المعبودة

ومنحهُ المجلس العالي في ذلك الحين كل الالقاب الشريفة وعينهُ امبراطورًا اي قائدًا عامًا لجميع الجيوش الرومانية ومفتشًا ومدبرًا لاموال الحكومة طول حياتهِ ودعاهُ ابا ومخلص الوطن وبنى هيكلاً للحرية لان الرومانيين قد نالوها على يده واعلن شخصهُ مقدسًا نظير وكلاء الشعب وسمى باسمهِ الشهر السابع من السنة لانهُ ولد فيهِ وسمح لهُ ان يضع دائمًا على راسهِ اكليلاً من الغار وان يلبس في ايام الاعياد ثوب الانتصار وان يكون لهُ محل مخصوص في الملاعب وان يجلس في المجلس والفورم على كرسي ذهبي وان ينصب تمثالهُ في جميع المدائن وسائر هياكل رومية وان يكتب على

بعض تلك التماثيل الى الاله الذي لا يغلب

ومعلوم ان قيصر قد طبع على محبة العظمة والرئاسة ودليل ذلك الحروب المهولة التي خاض عجاجها غير مبال وقولهُ دائمًا لاصدقائهِ اني اود ان اكون الاول في قرية ولا الثاني في رومية غير ان اطماعهُ التي مهدت لهُ سبل المجد والفخار قد سببت هلاكهُ لانهُ لم يرضَ بالالقاب الشريفة التي منحهُ اياها المجلس الروماني ولم تكفهِ المناصب العالية التي تقلدها بل تطلب ان يكون ملكًا و يرتقي عرش الملك قبل ذهابهِ الى بارثيا ليحارب اهلها و ياخذ بثار صديقهِ كراسس فاهاج سعيهُ هذا بغضهُ في قلوب كثيرين من جملتهم بروتس وكاسيوس وستون اخرون من عظماء وشرفاء رومية فتآمروا بقتلهِ وتعاهدوا على هذا الامر باوثق الايمان وفي اليوم المعين لتنصيبهِ ملكًا اتاهُ هولاء المؤامرون و بينما كان جالسًا في دار الندوة تقدم احدهم المدعو سمبر وجثا عند قدميهِ يسالهُ حاجة ثم امسك بذيل ثوبهِ وهي العلامة التي جعلوها لاشهار السلاح وقتلهِ فانقضوا عليهِ حينئذ انقضاض الصواعق وضربوهُ ثلثًا وعشرين ضربة سقوهُ بها كاس المنون وذلك عام ٤٤ ق . م في السنة السادسة والخمسين من عمره

الفصل الرابع

في الحكومة الثلاثية الثانية
وما جرى بعدها
الى حين موت انطونيوس
واستبداد اوكتافيانس بالاحكام

هيهات ان ينجو الوطن بقتل قيصر من الاستعباد وان تصبح

الجمهورية وطيدة الاركان والشعب حرًّا كما كان قبل امتداد سلطته على اقطار العالم المعروف وفساد اخلاقهِ بسبب ذلك لان العظمآء ورجال السياسة حينما راوا تنعم ملوك الشرق وذاقوا لذة الاستبداد وعلموا ان لا عدو لهم في الدنيا يستطيع قتالهم فقدوا تلك الشجاعة التي اسسوا بها عظمة بلادهم ونسوا محبة الوطن حصن رومية الوحيد لدى النوازل الجلى واقبلوا على الدسائس والمكر يحبطون اعمال بعضهم ويسعون في اهلاك مواطنيهم لادراك ما تزينهُ لهم الاطماع فلا ينثنون عن غيهم ولو ادركوا المنية بدلاً من المنى وبنآء عليهِ نجد الرومانيين بعد وفاة حاكمهم قيصر النشيط هدفًا لسهام البلايا ورزايا الحروب لان الاطماع قد عصفت برؤوس الروسآء وغدت المدائن والاقاليم ساحات قتال تجري فيها دمآء البشر انهارًا

وكان في بلاد اليونان فتى روماني لم يتجاوز بعد السنة التاسعة عشرة من عمره قد عرك الدهر من صغره فشب شجاعًا طمعًا حكيمًا فلما علم بموت قيصر جآء مسرعًا الى رومية لان الديكتاتور قد تبناهُ وهو ابن بنت اختهِ المسمى اوكتافيوس الذي دعاهُ المجلس اوكتافيانوس فاخذ يستميل القلوب ويسعى في تمهيد سبيل ارتقائهِ اوج الفخار فاتحد لذلك مع انطونيوس قائد الفرسان وقائم مقام قيصر والمتولي وقتئذٍ منصب القنصلية ورجلاً آخر خاملاً اسمهُ ليبدوس ودعي اتحادهم هذا بالحكومة الثلاثية الثانية

وحينما استتب لهم الامر نالوا ما كانوا يبتغونهُ احيوا في رومية والمدائن الخاضعة لها اعمال ماريوس وسيلا الوحشية لانهم اهدروا دماء كثيرين اعدآء واصدقاء من جملتهم سيسرون خطيب اللاتينيين الفريد الذي تحامل عليهِ انطونيوس لانهُ ثلبهُ في الخطب التي القاها في ذلك العام دفاعًا عن حرية الجمهورية وبينما كان ذلك العالم العلامة سائرًا في البلاد هاربًا لقيهُ رجال الحكومة المرسلين لقتلهِ فاراد خدامهُ ان يقاتلوهم ويموتوا فدآء

سيدهم الا ان سيسرون منعهم من هذا الامر ومدَّ عنقهُ للقتل فضربه هولاء الرجال وأتوا انطونيوس براسهِ فعلقهُ بالمنبر في ساحة الفورم مضمار مجده

و بعد ان خضب اعضآء الحكومة الثلاثية ارض رومية بدمآء ابنائها جهزوا الجنود وذهبوا سنة ٤٢ ق .م الى مكدونية ليحاربوا بروتس وكاسيوس اللذين حشدا الفرسان والابطال وكانا مستعدين للحروب انتقامًا من اعدآئهم ودفاعًا عن حرية الرومانيين فالتقى الجيشان بالقرب من مدينة فيلبه وانتشب القتال وكان بروتس تجاه اوكتافيانس فهجم عليهِ برجالهِ وصدمهُ صدمة الرئبال فدحر جنودهُ وما زال يضربهم و يطعنهم حتى شتت شملهم في تلك البطاح ودخل معسكرهم واستولى عليهِ اما انطونيوس فقاتل كاسيوس وقهرهُ وظن هذا القائد ان رفيقهُ قد قهر ايضًا فضاق ذرعًا واخترط حسامهُ وانتحر وكانت نتيجة هذا الامر القآء الرعب واثارة الياس في قلوب عساكر الجمهوريين و بعد ايام قليلة انكسر بروتس فاقتفى اثر صديقهِ وسلب مهجتهُ بيده ولقد اصاب مؤرخ يسوعي بقولهِ في عرض الكلام على معركة فيلبه هذه ان الانتحار داب الكافرين الذين يرون في قتل النفس دوآء شافيًا لادوآء الحيوة ولكن الدين والعقل وفطرة الانسان تانف منهُ ووثنيون كثيرون قد نسبوه الى جبن المرء الذي لا يستطيع الصبر على حدثان الدهر غير ان المؤرخ المذكور لم يخبرنا ماذا كان واجبًا على بروتس ان يعمل لو صبر لينجو من اعدائهِ الراغبين في قتلهِ وتعذيبهِ لانهم لم يثيروا الحرب الا لاهلاكهِ

واقتسم اوكتافيانوس وانطونيوس بعد وقعتي فيلبه املاك الجمهورية الرومانية فنال الاول بلاد الغرب واخذ الثاني بلاد الشرق ولما كان انطونيوس زير نسآء تيمهُ هوى كليوبترا ملكة مصر واصبح اسير جمالها يقاد لها طوعًا بازمة حبها ومكرها وكان يقضي لذلك اوقاتهِ بالولائم

والمسرات ناسيًا مجدهُ وفخرهُ ومهملاً واجباته لتوطيد سلطتهِ وصيانة شرفهِ حتى انهُ طلق امرأتهُ اوكتافيا اخت صديقهِ وحليفهِ وتزوج حبيبتهُ كليوبترا التي وسع نطاق مملكتها بمنحهِ اياها ليبيا وقبرص وسهل كليسيريا (البقاع) وفي هذه الاثناء زحف بجنوده لمحاربة ملك بارثيا فقاتلهُ مرارًا وعاد من تلك الديار بالذل والفشل الا انهُ قهر سكستس بن بومبايس الكبير الذي استفحل امرهُ في سيسيليا وجمع جيشًا عرمرمًا ليستولي بهِ على ايطاليا . اما اوكتافيانوس فكان باذلاً جهدهُ في توطيد سلطتهِ واتخاذ الوسائل اللازمة لارداء رفيقهِ والاستبداد بالاحكام وحدهُ وعليهِ ففي سنة ٣١ ق . م حينما رأى ضعف انطونيوس وانهماكهُ في الملذات اضرم نار العداوة وسود سيرتهُ لدى المجلس والشعب وجهز عمارة مولفة من ثلثمائة سفينة واتى لمحاربتهِ في البلاد الشرقية ويظهر ان الخطر قد نبه انطونيوس من رقدة الاهمال فجمع جيشهُ وسفنهُ وتقدم لقتال صديقهِ القديم وشريكهِ في السلطة والمجد فالتقت العمارتان بالقرب من راس اكتيوم وانتشبت الحرب وكانت عوانًا وثبت الفريقان فيها ثبات الابطال الى ان ولت كليوبترا هاربة الى مصر فلحق بها انطونيوس لانهُ كان يؤثر التمتع بجمالها على فخر الانتصار وملك العالم باسره فظفر حينئذٍ اوكتافيانوس على من بقي من جيوشهِ وسفنهِ وسار مسرعًا الى الديار المصرية لمحاربتهُ هناك ويقتلهُ

ومعلوم ان اصدقاء المرء يكثرون او يقلون حسب نجاحهِ وتاخره في العالم لان الصديق الصدوق نادر وجودهُ والاخلاص في سائر الاحوال امرٌ شبيه بالمستحيل وعليهِ فحلفاء انطونيوس حينما راوهُ مقهورًا ذليلاً تركوه وشانهُ وتباروا في مصادقة اوكتافيانس والخضوع لهُ حتى ان عمارتهُ وجنوده بعد ان نازلت اعداءهُ مرتين او ثلث خانتهُ وامنت الى اوكتافيانس ففازت منهُ بالامان

ودخلت كليوبترا الى قصرها واوصدت ابوابهُ واذاعت انها يئست

من الحيوة وقتلت نفسها وبلغ ذلك حبيبها فضاق ذرعًا وقال الويل لك يا انطونيوس ماذا تامل في هذا العالم وقد مضت التي كنت تحب الحيوة لاجلها ثم ذهب الى غرفته واخذ في النحيب وهو يقول يا كليو بترا ليس فراقنا اعظم سبب لحزني لاننا سنجتمع مرة اخرى ولكنني اموت اسىً حينما اراك قد فقتني بالشجاعة انا الذي تسلط على الابطال ودانت له سادة الناس صاغرة وفي الحال دعا اروس اصدق خدامه وامره ان يستل سيفه ويقتله فلم يصدع اروس بامره بل اخترط حسامه وضرب نفسه وخرَّ قتيلاً عند قدميه ولما رآه يتخبط بدماه صرخ قائلاً ياصديقي اروس اني اشكرك على تعليمك اياي ان اعمل ما ابيت انت اجراءه اكرامًا واجلالاً لي ثم جرد حسامه وضرب به صدره وسقط على فراشه فارسلت كليو بترا احد خدامها واحضرته الى قصرها فقضى نحبه بعد برهة مسرورًا ان يراها قبل موته

وكانت كليو بترا آملة انها ستفتن اوكتافيانس بجمالها الباهر فخاب املها لان ذلك القائد الفتى كان لا يعرف سلطانًا غير الاطماع ولا يحب شيئًا سوى التسلط على البشر وكان مراده ان يحضرها الى رومية لتمشي امام مركبته حينما يحتفل بنصرته فبذل جهده في ارضائها حتى تمكن من القبض عليها ولما علمت هي بما نوى ذهبت الى ضريح انطونيوس وندبته بعبارات نفتت الاكباد ثم عادت الى منزلها ولبست لباس الزينة وبعد ان اكلت دخلت مخدعها ووضعت على ذراعها حية اتوها بها في قرطل تين فلدغتها الحية وماتت عام ٣٠ ق.م في السنة التاسعة والثلثين من عمرها والعشرين من ملكها على الديار المصرية وانقرضت بموتها دولة البطالسة التي تسلطت مائتين واربعًا وتسعين سنة وجُعلت مصر لذلك ولاية رومانية

وفي سنة ٢٩ ق.م رجع اوكتافيانوس الى رومية واحتفل بنصرته واغلق ابواب هيكل جانس دلالة على السلام العام وتولى جميع المناصب العالية ودعي ابا الوطن وامير السلام ومصلح العالم وهكذا تلاشت الحكومة

الجمهورية حقيقة واستبدلت بالحكومة الملكية وسمى المجلس اوكتافيانوس باوغسطوس اي المعظم وهو اول سلطان تسلط على العالم الروماني

قال مولفهُ نجيب ابرهيم طراد هذا ما اردت جمعهُ من اخبار امة سادت بشجاعتها وملكت الخافقين ببطشها وحكمة بنيها وزالت ولم تزل كتبها واعمالها تبصرة لارباب السياسة والنهى بها ينتصح الجاهل ويهتدي العاقل في ليل حياتهِ البهيم ولا بدع اذا راينا علماء الغرب يقضون سنوات عديدة في درس لغتها التي درست لانها مصدر لغاتهم واساس ادابهم وقد جهد اشهر كتبتهم مثل رولان ومنتاسكيه وغبون في وضع تاريخها وشرح اسباب تقدمها وسقوطها فشرحوا الصدور بكلامهم البليغ وحلوا جيد افعالها بعباراتهم الدرية فاكسبوها طلاوة جديدة ولكل جديد طلاوة ولا يخفى عن القارىء اللبيب انني سلكت في هذا المولف مسلك الاختصار كما نبهت مرارًا في عرض الكلام على بعض الحوادث لا سيما في صفحة ١٦٥ فليراجع كل ذلك في موضعهِ وساباشر قريبًا طبع تاريخ سلاطين رومية والدولة الرومانية الشرقية ايفاء بالوعد

فهرس

اصلاح غلط

تنبيه . قد وردت في بعض الصفحات لفظة العدوان بدلاً من العداوة ولفظة زنة بدلاً من وزنة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤ و ١١٥	١٦ و ١٠	الرومانيين	الرومانيون
١٦	١٨	لهم	لهما
١٦	٢٢	التي	اللواتي
٢٤	١٦	ثلاث	ثلاثًا
٣٦	١٦	ضعفا	صعفا
٣٩ و ٤٠	٦ و ٥	اغلال	غلال
٤٢	٩	(في بعض النسخ) موادًا	موادّ
٤٤	٩	اللذان تزيًا	اللذين تزييا
٧٢	٦	خمس عشر	خمس عشرة
٨١	١٥	باريها	باريها
٨٨	١٩	يعذرهم	يعوذهم
٩٠	١٢	هذا الاثناء	هذه الاثناء
١٠٤	٩	الامرآء	الاسرآء
١١٨	٤	استاجرها	استاجروها
١٣٢	٢	الواردة	والواردة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣٨	١٢	ادلآء	ادلآء
١٣٩	٢	حاربوه	حازبوه
١٤٠	١٦	الى كان	الى ان كان
١٤١	٦	الذين	اللذين
١٨٢	٩	حيثئذٍ	حينئذٍ
١٨٣	١٥	الزمار	الذمار
١٩٣	٢٣	بعسكره	بعسكره
٢١١	١٢	اهواءهم	اهواءهما
٢١٢	٢٠	فقهرهم	فقهرهما